

# الاستيفاء اللطيف

في خاطر الحاج إلى أفدست مطاف  
وهي الرحلة الحجازية لأمير البيان ونادى الزمان

الأمير مكيب أرسلان

وقف على تصحيحها وعانق حواشيا

الشيخ محمد رشيد رضا

مفتي مجلس العلماء

الطبعة الأولى في سنة ١٣٥٠

مطبعة المنار بمصر

شارع الأنشاس رقم ١٤

# مقدمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الخلاق، وسبحان الله وبحمده في العشي والإشراق،  
ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة الإخلاص التي نرجو بها الخلاص يوم  
التلاق، وتهون بها سكرات الموت إذا حشرجت الأنفس في التراق،  
ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أشرف الخلق على الإطلاق، المبعوث  
لإقامة الحق والعدل وإمام مكارم الأخلاق، يكتب باهر الحجّة، وسنة  
واضحة الحجّة، وبراهين كالصبح في الأفلاق، والشمس في الأثلاق،  
صلى الله عليه وعلى آله الطاريف، وعلى أصحابه الصناديد، وعلى  
انصاره الكرام العتاق، الذين نشروا اتوحيد المحض في الآفاق، وجمعوا  
كرم الأفعال إلى كرم الأعراق، ما هبت نسائم الأسحار، وتفتقت  
كأثم الأزهار، وسجعت الورق على الأوراق، وسلم تسليماً كثيراً  
(وبعد) فقد مضت علي حجج كثيرة وأنا عمّ بآداء فريضة الحج،  
والمواثيق تعوق، والله من حولي حولي تحول، إلى أن يسر الله  
بإظنه وحسن توفيقه في أداء هذا الفرض في سنة ١٣٤٨ أي منذ سنتين  
كاملتين. فكان قصدي إلى الحجاز من لوزان بسويسرة، عن طريق نابولي.

بايطالية، اذ ركبت منها البحر على باخرة انكليزية الى بورسعيد حيث  
 تزلت، وفي اليوم التالي ذهبت الى السويس، ومنها اجرت الى الحجاز، في  
 باخرة مكتظة بالحجاج، فأحرمتنا ولبيتنا من بحر رابع، ووصلنا الى جدة  
 من السويس في اليوم الرابع، على ما وصفت في رحاتي الحجازية التي  
 سيقراها المطالع. وفي مساء يوم وصولي الى جدة يسر الله دخولي الى البلد  
 الامين. مبادرا الى البيت العتيق بالطواف، والى المروة والصفاء بالسعي،  
 وبعد ذلك بيومين صعدنا الى منى فعرفة، ثم افضنا منها الى المزدلفة،  
 حيث بتنا ليلة، ثم عدنا الى منى حيث لبثنا ثلاث ليال، وعدنا الى البيت  
 الحرام، وعممنا مفاسك الحج، والله يتقبل منا، ويتوب علينا، انه قابل  
 التوب غافر الذنب العلي الكبير، لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون  
 ذلك لمن يشاء ويعفو عن كثير.

ولقد وجدت مناسبا ان انشر ما ارتسم في مخيلاتي من هذه المشاهد،  
 وما انطبع في لوح دماغي من مناظر تلك المشاعر المباركة والمعاهد،  
 مقرونا بما يعن لي من الآراء، مشتملا على ما عندي من الملاحظات التي  
 احب أن يطالع عليها القراء، فارسلت الى جريدة «الشورى» بمقالات  
 كنت أنشرها فيها الفينة بعد الفينة، ذاكرآ فيها مكة وعرفة، ومنى  
 والمزدلفة، وتلك البقاع المعظمة المشرفة، ولما كنت بعد ذلك قد صعدت  
 الى الطائف مستشفيا من سقم اصابني في اثناء اداء الفريضة، كتبت

أيضا عن الطائفتين وجباها واربعا ومارها، وجناتها وكروما وفواكها، ولم أقتصر في الوصف على جناتها الناضرة، وأحوالها الحاضرة، بل كررت النظر الى الوراء من امور تاريخية ماضية، ومددته الى الامام في امور اجتماعية مستقبلية، بحيث جمعت في هذه الرسائل بين مباحث جغرافية وتاريخية، ومواقف سياسية واجتماعية، ومسائل عمرانية واقتصادية، ودقائق لغوية وأدبية، متناولا من القديم والحديث، ومتنقلا بين التالد والطريف. ومن حيث اني كنت أصدرها من وقت الى آخر في جريدة سيارة كانت هيئتها اقرب الى اسلوب الجرائد منها الى اسلوب الكتب، لان الكتاب اذا كتب بين اسبوع وآخر متأثرا بالعوامل المختلفة، ملاحظا المتجددات اليومية، مراعيًا حالة قرائه الروحية، ذهب به الاستطراد كل مذهب، وشردت به شجون القول فشرق وغرب، ولهذا جاء في هذا الكتاب استطراد ليس ييسر من فصل الى فصل،

وان كان جميعه مرتبطا بالموضوع ومردودا الى الاصل ثم رأيت ان اكمل هذا التأليف على الخطة التي انتهجتها اولاً من نشره رسائل متفرقة على الاسابيع قد يأخذ وقتا طويلا ولا ينتهي باقل من سنتين أو ثلاث، على أني صرت مشغولا مستغرقا برحلي الاندلسية، التي قد تأخذ مجلدات عدة، ولا يتأتى لي الاشتغال بنيرها هذه المدة، فمدت مؤخرًا عن الطريقة الاولى، وقطعت رسائل هذه «الارتسامات» عن الشورى، وانصرفت الى اكمل هذا التصنيف تواترًا

حاشا مطية القلم الى غايته ، ماضيا به بلا توقف الى آخره ، فكان ما نشر  
منه في الشورى نحو الثلث ، وما لم ينشر في الشورى ولا في جريدة  
غيرها بنحو الثلثين

هذا ولما تسنى اكمله ، وبلغ الابدار هلاله ، رأيت ان أتوجه باسم جلالته  
الملك الهمام ، الذي هو غرة في جبين الايام ، عبد العزيز بن عبد الرحمن  
الميصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، تذكارا لجميل الامن الذي  
مد على هذه البلدان سرادقه ، وعرفانا لقدر العدل الذي وطد فيه دعائه  
وناط بالاجراء موافقه ، وابتهاجا بالملك العربي الصميم الذي صان للعروبة  
حقها وللاسلام حقائقه ، أدام الله تأييده ، واطلع في بروج الاقبال  
سعوده ، وخذل شمسها الشارقة ووقفه للاتفاق مع سائر ملوك العرب  
وامرائها ، والعمل مع رجالها الماملين لرقبها وعلائها ، ولا سيما الملكين  
الهمامين ، الفاضلين الكاملين ، الماهدين المجاهدين ، المتوكل على الله الامام  
يحيى بن محمد بن حميد الدين صاحب النمن ، والملك فيصل بن الحسين ،  
صاحب العراق والرافدين ، أدام الله توفيقهم جميعا لما به حفظ تراث  
الامة العربية ، وابلاغها المقام الذي تسمو اليه نفوس العرب الالية ،  
وحياطتها بوحدة الكلمة من سطوات القدر ، وغوائل المكر ، التي لا تفارق  
حركات الدول الاجنبية ، والله تعالى سميع الدعاء ، كفيل بتحقيق الرجا: آمين  
وكتب بلوزان في ٥ ذي الحجة الحرام ١٣٤٩

تكتب أرسله

## من السويس إلى جدة

### (ووصف الأحرام والتلبية)

فصلنا من ميناء السويس في ٨ مايو على باخرة تقل نحواً من ١٣٠٠ حاج من اخواننا المصريين ، وفيهم بعض المغاربة ، فسارت بنا الباخرة رهواً ورخاء لم نشعر فيها الى جدة بأدنى حركة للبحر تزعج الراكب ، وانما كان الزعج هو اكتظاظ السفينة بالراكبين حتى لا يقدر أحد أن يمر من شدة الزحام وفي اليوم الثالث من مسيرنا نأوحنا ميناء رابغ ، ولما كان الحجيج الوارد من الشمال في البحر الاحمر عليه أن يحرم من رابغ فقد احرم جميع الحجاج الذين في الباخرة ، وارتفعت الاصوات من كل جهة « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » فاستشعر الناس من الخشوع في اثناء ضجيج الحجيج هذا ما اتصل باعماق القلوب ، وتملغل في سرائر النفوس ، وأحس الجميع ان البيت الذي يخضع الناس تعظيماً له اتوا بهم قبل الوقوف بهتبه بمسيرة يومين ، ويشتملون في المقصد اليه ما ليس فيه شيء من الخيط ، لبيت مقدس ، لا يؤمه الناس كما يؤمون سائر البيوت ، وانه فوق بيوت الملوك ، وفوق مقاصير القياصرة ، وأواوين الاكاسرة ، التي لا يحرم في الطريق اليها احد لا من بعيد ولا من قريب

وما زال الناس مستشعرين الخشوع تلك الليلة ، مواظبين على التلبية ، مترقبين طلوع الفجر الذي يدينهم من جدة ، ميناء البيت العظيم الذي يؤمنونه ، إلى أن انفلق الصبح ، وأخذت تبدو جبال الحجاز للعين المجردة ، فارتفعت الاصوات بالتهليل والتسبيح والتكبير ، وازداد ضجيج التلبية للعلي الكبير ، وخالط أهلية والخشوع

بالتقدم على البيت الحرام ، الفرح والابتهاج بالوصول إلى أطهر بقعة وأقدس مرام ، ولم تكن ترى إلا عيوننا شاخصة ، ولا نحس الا قلوبنا راقصة ، والجميع متطلعون إلى سواحل الحجاز منتظرون بذهاب الصبر أن يقبلوا على جدة . فلما كان ضحى اليوم الرابع من ذي الحجة دخلت الباخرة مرسى جدة ، لكن بتؤدة عظيمة لما في هذا المرسى من الجبال والصخور التي تكاد رؤوسها تبرز من تحت لجج البحر وإذا بنخمس عشرة باخرة راسيات في ذلك الميناء على أبعاد متفاوتة من البر

### وصف مبره و غرابة ألوان بحرها

واقعد طابلي من ميناء جدة منظران لا يزالان إلى الآن منقوشين في لوح خاطري ( احدهما ) رؤية هذه البواخر الواقفة في الميناء ناطقة بلسان حالها : انه وإن كانت هذه السواحل قفاراً لا تستحق ان تروا إليها البوارج ولا السفن فان وراءها من المعنوي امرأ عظيماً ، ومقصداً كريماً ، هذه البواخر الكثيرة ماثلة أمام جدة من أجله ، ولقد قبل لي في جدة ماذا رأيت ؟ فن العادة ان تحتمع في مياه جدة ثلاثون باخرة وأربعون باخرة ، وقد يبلغ عدد الراسي فيها الى خمسين باخرة ، حتى يعود البحر هناك غاباً أتبأ ، وتظن نفسك في هامبورغ أو نيويورك وأما المنظر الثاني فهو منظر مياه هذا الميناء ، فلقد طففت كثيراً من البحار . وعرفت أكثر البحر المتوسط والبحر الاسود وبحر البلطيك وبحر المانش والاقيانوس الاطلانتيك ، ولم يقع بصري على شيء يشبه مياه بحر جدة في البهاء والمعان . كنت كيفما نظرت يمناً أو يسرة اشاهد خطوطاً طويلة عريضة في البحر اتبته بقوس قزح في تعدد الالوان ، وتألق الانوار ، من احمر وأزرق وبنفسجي وعنابي وبرتقالي وأخضر الخ . ولا فرق بين هذه الخطوط وبين قوس قزح سوى ان هذه الخطوط مستقيمة وان قسي قزح مقوسة ، وان هذه في السماء ، وهاتيكن في الماء ، وقد تشبه هذه الخطوط ذبول الطواويس ، لا فرق بينهما إلا في كون هذه الذبول

المنسحبة على وجه البحر عظيمة جداً تمتد مئات من الامتار وبعرض عشرات منها، ولكن في تعدد الالوان وموازاة بعضها لبعض وشدة تألقها الآخذ بالابصار لا تجد بينها بونا . فكأن في كل جهة من بحر جدة مسرح طواويس ساححة في الاجج الخضر وظهورها إلى سطح الماء الواحد منها بقدر الف طاووس مما نهى

قضيت اعجب من هذا المنظر وقلت ان مثل هذا الميناء لا تله النواظر ، ولا تشبهه المناظر، مهما كانت نواضر . ثم سألت ربان الباخرة - وهي من البواخر الهندية ربانها انكليزي - عما إذا كان رأى هذا المنظر في بحر آخر وقلت له اني جلت كثيرا في الدنيا، ورأيت أبحرا وبحيرات وأنهارا لا تحصى ، ولم أعهد مسرح لمحمة على سطح ماء يحاكي في البهاء هذا الميناء، فماقوثك انت ؟ قال لي : مها يكن من سيرك في الارض ومعرفتك للبحار فلا تعرف منها جزءاً مما اعرف، وانا اقول لك اني لاعهد هذه المناظر البديعة الا لهذا الميناء وحده . فسأته عن السبب في تشكل هذه الالوان . فقال : ان قعر البحر هنا ليس ببيعيد وان فيه اضلاعاً مكسوة نباتا بحريا متنوع الالوان والاشكال ، وان هذه الاضلاع ناتئة قريبة من سطح الماء فتنعكس مناظرها الى الخارج، ويزيدها نور الشمس رونقا واشعاعا وقيل لي فيما بعد ان ملوحة البحر الاحمر زائدة، وان هذه الملوحة هي السبب في تكون هذه الشعاب التي تكثر في هذا البحر وتجعل مسالكه خطيرة، وان هذه الشعاب تنمو وتعلو حتى تقارب سطح الماء، ومنها ما يبرز عن سطح الماء فيكون جزيرة . وان هذه الشعاب متكونة من أعشاب وحيوانات بحرية من طبقة الاسفنج، وهي ذوات ألوان شتى كلها ناصع، ومنها ما هو أحر ساطع، ومنها ما هو أخضر ناضر ، ومنها ما هو اصفر فاقع، ومنها ما هو دون ذلك، وقد يقتلع الملاحه والقواصة منها أستجاراً تسمى بشجر المرجان ، وهي في غاية الجمال ، ومن ابهى ما يوضع في ابهاء القصور للزينة .



فهذه الشعاب هي التي تنعكس ألوانها على سطح الماء فتكون أشبه بديور الطواويس أو بقسي السحاب ، وهي في الوقت نفسه الاخطار الدائمة على السفن ، والغيلان المتحفزة لابتلاعها . فسبحان الذي أودع فيها الحسن ولكنه أنزل فيها البأس ، وجمالها غائلة للمرء كعب . واقد صدق المثل ( ان من الحسن شقوة )

قالوا : وان آمن مرسي في الحجاز مرسي رابع ، ذلك لعمق غور ودقلة تعابيه ، وعللوا ندور الشعاب فيه بكون ملوحة ببحر رابع اقل من ملوحة سائر المراسي ، وهذا من كثرة السيول المنصبية على رابع ، فالماء الحلو قد نقص من ملوحة ميناء رابع ، وعاقاه من تلك الشعاب التي هي آفة الموانئ الاخرى في البحر الاحمر

وحبذا لو قامت هيئة جيولوجية بالفحص اللازم لحوال البحر الاحمر الطبيعية وأعطت حكامها في اسباب تكون هذه الشعاب وكثرتها في هذه الموانئ . وفي منشأ هذه المآثر الخبيثة التي تلوح للرائي اذا أقبل عليها ، فن الاسباب التي ذكرناها لم نتوكل فيها على تقرير فني ، بل على الكلام الذي يدور على ألسنة الناس

هذا ما كان من تأثير بحر جدة في خاطري . وما بر حدة فالبلدة لا بأس بها ، ولا بوحش الداخل منظرها . نعم ان ببناءها لا يزال كأنه من القرون الوسطى ، ولكن بناء القرون الوسطى ليس كله منبوذاً . وقد بدأ المهندسون يقلدونه ويرجعون إلى كثير منه . وامرني استم من يحب الجدة لخدمة في طرز البناء ولكني أمتناها لها في استعمال الآلات انيكانيكية الحديثة ، والطرز العصرية في مرافق الحياة وفي الصماعة والتجارة وسائر أركان العمران ، وما أسلوب البناء فليس فيه ما يستهجن بل أرى نجارة الابنية فيها راقية . وهذه الرواشن الكثيرة اللطيفة التي قد أعجبت الكولونل لورانس الانكليزي — يوم جاء جدة في الحرب الكبرى — قد أعجبتني انا ايضا

وقد اخنت الحرب الكبرى على معظم عمران جدة فيما اخنت عليه من عمران هذا العالم . وازداد جزرها في الحصار الاحير- قبل ان استولى عليها الملك ابن سعود فلما ألت بمقاليدها إلى جلالته بدأ يتراجع اليها العمران ، واستؤنف النشوء . ولا تمضي سنوات معدودات حتى تسترجع درجة عمرانها السابقة

# شعوري القومي

## في جدة والمحجاز

يلذ الانسان عند دخوله إلى جدة تذكره انها باب مكة المشرفة وان المزار أصبح قريبا . وقد لذني انا يوم دخولي اليها زيادة على ذلك ما شعرت به من اني هنا لست تحت سيطرة أوربية ... نعم شعرت منذ وطئت بقدمي رصيف جدة اني عربي حر في بلاد عربية حرة . شعرت اني تخلصت من حكم الاجنبي الثقيل الملقى بكل كلكه على جميع البلاد العربية - ويا الالاسف - حاتا مملكتي الامامين عبدالعزیز ابن سعود وبیحيى بن محمد حمید الدين .

شعرت اني حر في بلادتي وبين أبناء جلدتي، لا يتحكم في رقبتي المسيو فلان ولا المستر فلان الخ بحجة انتداب او احتلال ، او سيطرة او حماية او وصاية، او غير ذلك من الاسماء المخترعة التي يراد بها تنعيم منس «الفتوحات» وتخفيف مرارتها في الاذواق . شعرت اني إن كنت خاضعا هنا لحكومة فكخضوع لويد جورج لحكومة إنكلترة ، وكخضوع كايمنسو لحكومة فرنسة، اي اني خاضع لحكومة عربية بمحبة رأسها وأعضاؤها مني وإلي وانامنها واليها، وبعبارة أخرى اني هنا خاضع لنفسي، وان كل من أراه من رعاياها انما هو خاضع لنفسه ، وأن الامر في هذه الديار مع العرب هو على حد ما قال الصوفية : المكلف هو المكلف . وان تعدد الوجودات هو تعدد ألوان لا تعدد أنواع

شعرت ان رئيسي هنا هو ابن جلدتي الذي يغار علي كما اغار على نفسي، وان الجند الذي يحيط بي ويحفظ الامنة علي وعلى غيري هم ممن اجتمع واياهم في ارومة واحدة، ومن أرمي واياهم الى هدف واحد، فلا تثقل علي سلطتهم، ولا يتكاهمني

الخضوع لنظامهم، لاني أرى فيه نظام أمّتي وانتظام شملي . وليس هنا ذلك الرئيس  
الفاشم ، اشتغال الوطاة ، السوء النية ، المتكبر المتعجب المتفطرس ، الغريب عني ،  
الذي لست منه ولا هو مني ، الآتي إلى بلادى ايتحكم في أمورها ويستغل خيراتها ،  
وبضرب على سكانها الذل والمسكنة ، لانه لا يقدر ان يعتز إلا بذلم ، ولا ان يثري  
إلا بفقرهم ، ولا ان يقوى إلا بضعفهم ، ولا ان ينصع وجهه إلا بفقر دمهم . وس يأتي  
يوم نقول فيه : ولا يحيا إلا بموتهم

لم أكن هنا في البلاد التي مع انها وطني ووطن آبائي وأجدادي ، ووطن قومي  
وأمتي ، وجني سواعدهم ، وتمرة دماهم التي سات فيها أنهاراً ، لا يؤذني ان ألقى  
عليها نظرة بعد غربة متطاولة ، ونبوة متنادية ، ولا ان أدوس على تراها بقدم  
خفيفة ولو ساعة من الزمن ، وذلك لان غريبا غاب عليها فقمض على أعتها وتصرف  
بها كيف شاء ، يدخل من يشاء ، ويخرج من يشاء ، فأصبح هو صاحب البيت وأصبح  
أصحاب البيت هم الغرباء ...

سمرت في الحجاز اني تظللني راية عربية محضة حقيقية ، لاراية مشوبة بشعار  
أجنبي ، ولا راية ليس يسير من محتها جند عربي إلا ما كان من قبيل مرتزقة او  
مستأجرين تحت قيادة من لا يرقب في هذه الامة إلا ولا ذمة ، وانما ينظرون

اليها كخمام الالم التي تدعي عليها الوصاية وكتمم لاسباب رفاهيتها ونعيمها  
لقد صدقت الجريدة الدمشقية التي قالت : انه لم يبق في البلاد العربية بلاد

أقدر ان أذخاها إلا الحجاز . والحقيقة اني أدخل أية بقعة أردت دخولها من جزيرة  
العرب حامداً لله على بقاء هذه الجزيرة تحت سلطان أهلها دون سواهم ، وعلى ان  
حكومات الحجاز ونجد واليمن لا تعرف شيئاً من الامتيازات الاجنبية التي تكاد  
تفرق في لججها الالم التي تحت الوصاية ، والتي لا يزال منها رسيس حتى في تركيا  
فالفرنجي - سواء في مملكة ابن سعود او في مملكة الامام يحيى - خاضع للشريعة  
الاسلامية بجميع أحكامها .

## الملك ابن السعود

ثم شاهدت جلالة ملك هذه الديار وخادم الحرمين الشريفين عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن سعود وكان في جدة ذلك اليوم . فوجدت فيه الملك الاشم الاصيد، الذي تلوح سماء البطولة على وجهه ، والعاهل الصنديد الانجد الذي كأنما قد ثوب استقلال العرب الحقيقي على قدمه ، فحمدت الله على ان عيني رأت فوق ماأذني سمعت، وتفاءات خيراً في مستقبل هذه الامة

لأقصد في اعجابي هذا بشخصية الملك ابن سعود تنقص أحد من ملوك العرب الآخرين ، ولا التعريض باي ملك او أمير ينطق بالضاد ، بل نحن نتمنى تأييد الجميع وتسديد الجميع كما نتمنى تأييد ابن سعود وتسديده بدون فرق ، وحباً بمصلحة الامة العربية التي استقلالها مروط باستقلالهم فأما اذا كانوا يشترطون على المحب لهم والمتواجد على خيرهم ان يكره لهم ابن سعود ، او ان يسكت عن الاشادة بحسناته، والاعجاب بما آتاه الله من المواهب ، فان شرطاً كهذا ليس من الانصاف في شيء . ويكون من البديهي اننا لانقبله

ركبت بدعوة جلالة الملك ابن سعود إلى يساره في السيارة ( اصطلاحوا في الحجاز على تسمية الاوتوموبيل سيارة وقد يقولون موتر اي Moteur ويجمعونها على مواتر ) وسرنا بمعيتته مساء يوم وصولي ، وذلك إلى البلد الامين ، حماه رب العالمين

ولم أجد الحرارة في جدة فوق ماتتحمله النفس حتى نفس الذي لم يتعود الحر، نظير هذا العاجز . بل هواء البحر يرطب جو جدة ويخفف من سموم الصحراء ، وذلك بخلاف مكة التي حرها شديد

## الطريق من جدة إلى مكة

فأما الطريق من جدة إلى مكة في هذا الفصل فليس فيها مايسرح به النظر في مؤنق او ناضر . فلا تری من أولها إلى مايقارب آخرها غصنا أخضر يلوح ، ولا رقعة بقدر الكف خضراء . ولا يكاد يقع بصرك من الجانبين إلا على رمال

محرقه تدخل العشايا ويجن الليل وهي حافظة لحرارة النهار ، وعلى آكام  
وأهاضيب أكثرها من الحجارة السود كأنها من بقايا البراكين

ولما وصلنا الى بحرة ظننت اني أرى فيها قرية أشبه بالقرى فاذا بمجموع  
عشاش واخصاص وبيوت لاترضي ناظراً ، وهناك اماكن استعاروا لها اسم  
المقاهي ، وهي في الحقيقة اخصاص تشتمل على مقاعد من خوص يجلس عليها  
المسافرون الذين بلغ بهم الجهد ، فيشربون شيئاً من الشاي او يتعمون غلتهم بماء  
لا غناء فيه . وكان الاولى بأهل مكة وجدة ان يجعلوا من بحرة منزلاً تقر به  
عين المسافر ويجد فيه خضرة ونعماً بعد تلك الرمال المحرقة والآكام الجرداء  
والامل ان حكومة الملك ابن سعود تنظر الى هذه العلة فتزيها

وقد قيل لي ان طريق جدة الى مكة ليست طول السنة في هذه القسوة التي  
رأيتها فيها ، بل هي في الربيع غيرها في الصيف إذ يرى منها المسافر في الربيع كلاً  
كثيراً ، وخصباً فضيراً ، وقتاداً وطالحاً ، وشجراً وسرحاً

وكانت قوافل الحجاج من جدة الى مكة خيلاً غير منقطع والجمال تتهادى  
تحت الشقادف ، وكثيراً ما تضيق بها السبيل على رحبها ، وكان الملك أيده الله  
من شدة اشفاقه على الحاج وعلى الرعية لا يرفع نظره دقيقة عن القوافل والسوايل  
ولا يفتأ ينتهر سائق السيارة كلما ساقها بعجلة قاتل له : تريد ان تدبح الناس .  
وكل هذا لشدة خوفه ان تمس سيارته شقدف او تؤذي جملاً او جمالاً ، وهكذا  
شأن الراعي البر الرؤف برعيته ، الذي وجدانه معمور بمعرفة واجباته

وما زلنا نسير حتى دخلنا حدود مكة التي يحرم فيها الصيد والمسافة بالسيارة  
لا تتجاوز اربع ساعات ، وبعد ذلك وصلنا الى الثكنة العسكرية وصرنا بين  
البيوت ، فعلمنا اننا قد عرفنا بدخول البلدة التي تشرفت بمولد محمد سيد الوجود ،  
وبالبيت الذي طهره ابراهيم واسماعيل للطائفتين والعاكفين والركع السجود ، فقمصدنا  
تواً الى البيت الحرام حيث طفتنا وسعينا ، وجارنا ودعونا ، والله يتقبل الدعاء  
ويغفر الذنوب في ذلك المقام الكريم ( قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم  
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم )

## الكلام على مكة المكرمة

( صفتها الحسية ، ومكانتها المعنوية ، وكعبتها البهية ، وهوي القلوب  
اليها من جميع البرية ، ورزقها من جميع الاغذية والثمرات ، استجابة  
لدعاء ابراهيم عليه السلام )

جعل الله مكة مكانا لعبادته تعالى لاغير . وكأنه سبحانه وتعالى لما قضى  
بأن تكون محلا للعبادة ومتابة للناس وأمناء، قضى ايضاً بتجريدتها من كل زخارف  
الطبيعة، ولم يشأ أن يطرزها بشيء من وثنى النبات، ولا أن يخصصها بشيء من  
مسارح النظر المؤتفة، حتى لا يلهو فيها العابد عن ذكر الله بخضرة ولا غدبر ،  
ولا بنضرة ولا نمير ، ولا بهديل على الاغصان ولا هدير ، وحتى يكون قصده  
إلى مكة خالصاً لوجه ربه الكريم، لا يشوبه تطلمع إلى جنان أو رياض ، ولا حنين  
إلى حياض أو غياض . وحتى يبتلئ الله عباده المتخاصين الذين لا وجهة لهم سوى  
التسبيح له والتأمل في عظمته تعالى، فكانت مكة أجرد بلدة عرفها الانسان،  
واقحل بقعة وقعت عليها العينان .

مكة هذه البلدة المقدسة التي هي فردوس العبادة في الارض وجنة الدنيا  
المعنوية ، عبارة عن واد ضيق ذي شعاب متعرجة ، تحيط بذلك الوادي جبال  
جرداء صخرية صماء ، لا عشب ولا ماء ، فآتمة اللون كأنها بقايا الراكين ، إذا  
مر عليها الانسان يوم من أيام الصيف في هاجرة ظن نفسه يدوس بلاط فرن  
او يضطجع في حمام . وان ترك على تلك الصخور منها كاد يشتوى بلانار ، او ماء  
كاد يغاي بلا وقود . وليس في تلك الشعاب اشجار ولا أنهار ، ولا مروج  
ولا عيون تلطف من حرارة تلك الحجارة السود في حمارة القيظ . وكأن القاصد

إلى هذا الوادي إنما يزداد بهذه التسوية الجغرافية أجراً وثواباً وارتفاع درجات .  
فبقدر ما أفاض الله على هذا المكان من الشماع المعنوي قضى بحرمانه من  
الحلية المادية .

وقد وصف الله تعالى هذه الحالة فقال عن اسان ابراهيم عليه السلام ( ربنا إني  
أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا  
الصلاة ) وظهر من هنا انه واد مجرد للعبادة دون غيرها ، وانه غير ذي زرع  
ولا ضرع ليزداد اجر الناس بالقصد اليه وانعكوف فيه . ولما كان سد الرحال  
إلى واد كهذا خال من جميع اسباب الحياة تقريبا ليس مما يرغب فيه الناس الذين  
من عاداتهم ان يقصدوا الاماكن لرغيدة والمتنزهات ، وأن يعملوا على البقاع المريعة  
التي يأتيها رزقها رخاء ورغدآ دعا ابراهيم ربه فقال ( فاجعل أفئدة من الناس  
تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون )

فبدعوة ابراهيم هذه هوت الى هذا المكان والى المتمكنين فيه أفئدة  
ورفرفت عليهم جوائح من جميع جناس الازض ، وترى الناس منذ ألوف من  
السنين يحجون هذا البيت المحرم ، ويحرمون قبل لوصول اليه بمراحل ، ويوفضون  
اليه كأنما يوفضون الى انزه بقاع البسيطة واطيها نجمة واكثرها خيراً وميراً ،  
وتجد قلوبهم في الرحلة اليه . ملأى بالفرح ، لا يكادون يصدقون انهم مشاهدوه  
من شدة الوجد ، وغلبة الهيام ، حتى اذا شاهدوه فضت المبرات وخفقت الجوائح  
وتمايلت الاعطاف ، وانتقل الناس الى عالم تكاد تقول انه غير هذا العالم قال ابن دريد :

يحمئن كل شاحب محقوقف من طول تدآب الغدو والسرى

ينوى التي فضلها رب السما لما دحا تربتها على النوى

حتى اذا قابلها استعبر لا يملك دمع العين من حيث جرى

وم اذا وصلوا الى مكة وجدوا عندها من الثمرات والخيرات مالا يجيدونه .

في البقاع التي تشقها الانهار، وتظللها الاشجار . وذلك أن المجلوب الى مكة من أصناف الحبوب والخضراوات والفواكه والمحمول اليها من البضائع والمتاجر واللباس والفراش والرياش والطيب وغير ذلك يفوق ما يجلب الى عشر مدن من أمثالها في عدد السكان وربما أكثر .

ولا يكاد الحاج يشتهي شيئا إلا ويجده في هذه البلدة القاحلة ، فحول مكة من المزارع والمباقل والمباطخ والمقاني، وفي جمال الطائف من الجنان والبساتين والكروم مالا يأخذه العد، ومالا يدرك منه شيء في فصل من الفصول إلا أنهدر به اهله الى مكة ، فالثمرات التي دعا إبراهيم ربه من أجلها تفيض على البلد الأمين كاسيل المتدفق ، أو العارض المتدفق

### مياه مكة في الجاهلية والاسلام

وأما الماء فقد كان في أم القرى من أيام الجاهلية آبار نبع ومصانع مما يجتمع من مياه المطر . ومن هذه الآبار اليسيرة التي حفرها لؤي بن غالب ، والروي التي حفرها مرة بن كعب ، وخم ورم وهما من حفر كلاب بن مرة ، والجفر والمجول وبذر التي حفرها هاشم بن عبد مناف . وسجاة وخم ورم أخريان حفرها عبد شمس بن عبد مناف وأم احراد ، والسنبلة وهي حفر بني جمح ، والغمر لبني سهيم ، والحفير لبني عدي ، والسقيا لبني مخزوم ، والثر يا لبني تميم ، والنقع لبني عامر بن لؤي ، وبئر حويطب لحويطب بن عبد العزي من بني عامر بن لؤي ، وبئر أبي موسى الأشعري بالمعلاة ، وبئر شوذب ، وبئر بكار ، وبئر وردان ، وسقاية سراج ، وبئر الاسود للاسود ابن سفيان من مخزوم ، وغيرها ، ومن هذه الآبار ما هو معروف الى اليوم باسمه ومكانه ، ومنها ما قد طوي اسمه أو ردم مكانه ، فاذا سألت علماء مكة لم يعرفوه . والظاهر ان جميع هذه الآبار لم تكن لتكفي مكة في الجاهلية ، الى أن وسع عبدالمطلب بئر زمزم فكثر الماء وارتوى الحجيج .



## عين زبيدة - صحرها - الله

أما بعد الاسلام فكثر الحجاج أضعاا مضاغفة عن ذي قبل ، واشتدت أزمة الماء ، لاسيما في عرفة ومنى أيام الحج ، فانتدبت زبيدة امرأة الخليفة هارون الرشيد رحما الله لهذا الامر وأسالت العين المسماة بعين زبيدة من مسافة نحو اربعين كيلومتراً ، وهو عمل عظيم جداً يستنطق الالسن بالترحم عليها كما ذكرت أو كما روى حاج ظمآه أو أسغ وضوءه منذ نحو ١١٠٠ سنة الى اليوم - والى ماشاء الله واقد حرت زبيدة رحما الله هذا الماء من وادي نعمان الشهير في قناة كانت تنتهي قبل الوصول الى مكة بمسافة ثلاثة ارباع الساعة ، وهذه القناة اكثرها تحت الارض ، وفي بعض الاماكن تظهر على وجه الارض تابعة لخطتها الهندسية ، وأما علو سقف القناة ففي بعض الاماكن يقدر أن يمر فيها الفارس راكباً ، وفي غيرها لا يقدر أن يمشي إلا الراجل ، وليس خطها مستقيماً على اطراد بل فيه تعاريج كثيرة قد تكون اقتضتها طبيعة الارض أو يكون مهندسو القناة مروا بعيون أرادوا أخذها في طريقهم فخرجوا لمبها وحيثان اقناة من الجانبين غير مطالية بالجبر ولا مجصصة، بل مبنية بالحجر المسيط وذلك حتى ترشح الماء من خلال الحيطان ، لان الجص من تشبه أن ينعمه كما لا يخفى ، ومن دقائق هندسة هذه القناة انهم جعلوا انحدار الماء في المجرى خفيفا وذلك خشية من ان يحفر في الارض فيما لو كان شديداً فتصير أرض المجرى مع توالي القرون أسفل كثيراً من الحيطان فتصبح هذه على شفا جرف هار ، ولهذه القناة خرزات مفتوحة من سطحها على مسافة كل ٢٠ أو ٣٠ ذراعاً واحدة وذلك لاجل سهولة التعزيل قالوا ان زبيدة انفقت على هذه العين مليون دينار ، وانها لما انتهت من العمل جيء اليها بدفاتر الحسابات لمراجعتها فأمرت بطيها وقالت انما عملنا ما عملناه في سبيل الله، فلا فرق بين أن تكون النفقة اكثر أو اقل

وكان في الماضي موكلاً بهذه القماة ثلاثمائة رجل من بيضة ، وكانوا يحرسونها ليلاً ونهاراً ومنهم أناس عند كل خرزة ، فأما الآن فإن الحكومة جاعلة لها دركاً خاصاً ومفتشين لا يزالون يتعهدونها من رأس نبعها إلى مكة . وقيل لي أنه لا يزال في وادي نعمان عيون من الممكن شراؤها وإضافتها إلى عين زبيدة ، ثم إنه يوجد عين أخرى اسمها عين الزعفران جدتها مالكة أخرى اسمها زعفران قيل لي أنها من إحدى الأسر المالكة كانت بمصر ، ولم أجد ذلك في كتاب . فهذه العين مجرورة من وادي حنين من مسافة لا تقل عن مسافة قناة عين زبيدة إلا أن ماء عين زبيدة أغزر وأعذب ، وتتصل قناة الزعفران بقناة عين زبيدة في محلة المعابدة في أول مكة من جهة الداخل من منى ، وكان أحد سلاطين بني عثمان قد أوصل هذه المياه إلى مكة فأكل ذلك العمل العظيم الذي قامت به زبيدة واقتدت بها الزعفران فيما قالوا ، وبعد ذلك منذ نحو أربعين سنة جاء أحد الهنود المسلمين وتبرع بمبلغ من المال وجمع من مسلمي الهند مبالغاً آخر وبني بهذه الأموال بضعة عشر خزاناً للماء ، في كل حارة من حارات مكة خزان ، فكان بذلك للناس مرفق عظيم ، وهذا الخزان يقال له اليوم بمكة « بازان » وهي لفظة إنكليزية جاءتهم من الهند معناها بركة أو صهريج ، ومع هذا فقد بقي الماء عزيزاً في موسم الحج فرجما بيعت قرية الماء بأربعين قرشاً

ولما تولى الحجاز الملك عبد العزيز بن سعود زاد سبل الماء في مكة ومنى فأزاح جانباً كبيراً من العلة ، وفي أيامه تأسس في مكة معملان الجمدة (الثلج) فكان في هذين المعاملين من إزاحة العلة وشفاء الغلة مالا يخفى على من يعلم حر مكة في أيام السرطان والاسد والسنبلة ، فقد أصبح أكثر الحجاج والسكان يشفون أوامهم بالماء المثلوج ، ولعمري لا أجد مؤنساً في حر كهذا الحر كألواح الجمد التي ترتاح النفس إلى مجرد النظر إليها ، قبل النهل والعمل منها ، وكأنها في فصل كهذا حصون منيعة يتقي بها الإنسان لفحات السموم ،

## الحرف في الحجاز وما يقتضيه من كثرة المياه

والحرف في الحجاز نوعان: احدهما الومد وهو الحر الشديد مع انقطاع الريح، والثاني السموم وهو الريح الحارة، وهذه الريح اذا اتقاها الانسان بمنشفة مبلولة بأثناء او بحصير مرشوش بالماء معلق فوق باب او نافذة انقلبت باردة وبالجملة فأشد ما يعاني المرء من حر مكة هو فيما لو تعرض للشمس في وسط النهار، أما المتعودون وابناء مناطق خط الاستواء فلا كلام لنا فيهم، فقد كنت اراهم في وقت الظهيرة يمشون ويتهادون في الشمس كما يمشي الواحد منا في ظلال جنة، ولم يكن يصيبهم ادنى ضرر، ولم يكن يصاب بضربة الشمس إلا من تعرض لها من حجاج الشمال لا غير

من فوائده هذه الحرارة الشديدة في مكة في أيام الموسم انها تقتل بشدتها جميع الجراثيم المضرّة، فلا تجد في الحج شيئاً من الاوبئة السارية. وقد مات في هذا الموسم من مائتي الف حاج نحو ٢٥٠ نسمة فقط كما هم تقريبا ذهبوا بضربة الشمس. ولا أريد أن أجعل الفضل كله في قلة الامراض الحارة القويظبل الادارة الصحية في الحجاز بفضل تدابير مديرها وهمة الخمسة والعشرين طبيباً الذين يعاونونه هي خير ادارة صحية عرفها الحجاز الى اليوم ماعدا الايام التي كان فيها المرحوم قاسم بك عز الدين في زمن الامير عون الرفيق، وأسس الترتيبات الصحية التي لاتزال نبراسا إلى هذه الساعة. فالدكتور محمود حمدي يحدو حدو المرحوم الدكتور عز الدين وتجدده هو واطباؤه في أيام الموسم لا يعرفون لذة الكرى من أجل سهرهم على صحة الحجاج. وكل سنة يستزيد الدكتور حمدي جانباً من التخصصات المالية لاجل انشيام بتدابير صحية جديدة، وفي هذا الموسم رأيت العربات في منى ترش الحوامض الطهرة، فكان لذلك أحسن وقع في النفوس.

وأما الجمد فتقاتل به الصحية كثيراً من الامراض ولا سيما الحمى وان كانت

تنهى عن الإفراط في شرب الماء المذاب من الثلج . فلتلح إذا اقتصد في شربه روح للأرواح ، وشفاء للمتاح ، في مثل الحجاز - حاشا الطائف وجبالها حيث لا لزوم له ألبتة - وكنت هممت بنشر رسالة اسمها « قطف العثلوج ، في وصف الماء المثلوج ، بجوار البيت المحجوج » أصف فيها محاسن هذا الماء في مكة أيام القيظ وأجعلها مقدمة للاستاذ الاكبر السيد محمد رشيد رضا

ونعود إلى حديث الماء في مكة فقد سمعت انهم حفروا فيها في محلة الشهداء فعثروا على قني قديمة عدمية تحت الارض وعلى مياه جارية وأخرى مطمورة، ولعل الحكومة السعودية تتابع الحفر في هذه المحلة فتنشر هذه المياه من قبرها ولعالمها تهتم إضافة مياه من وادي نهمان إلى عين زبيدة . ولكن هذا العاجز يرى ان كل هذه الجهود لا تنفي عن مشروع آخر لا بد منه لبلد الحرام والمشاعر العظام وهو احتفار الآبار الارتوازية

ان مكة اليوم أصبحت لا تكفي بسد حاجتها من جهة الشرب ولو ازم البيوت ولو فاض فيها الماء فيضاً زائغياً الحاج والسكان عن شراء الماء بالدرهم بل مكة محتاجة إلى مياه تكفي لرش طرق وسقيا حدائق بلدية واحدار شلالات من مرتفعات مكة الكثيرة، وان مكة بعد اليوم محتاجة إلى ري الشجر فضلاً عن ري البشر . ذلك ان فصول مكة الاربعة تنحصر في فصلين : أحدهما الشتاء وهو في غاية اللطف وكأنه فصل الصيف في اعلى لبنان . والثاني فصل القيظ المصادف مايسمونه باشهر السرطان والاسد والسنبلة، وهو فصل قد تصعد فيه الحرارة في الظل بميزان سنتيغراد إلى الدرجة ٤٥ والى ٤٩ وفي الليل يتعذر النوم حتى على سطوح المنازل . فان الذي يبقى لاصقاً بتلك الصخور من لعاب الشمس يكفي لتسخين صفحة الليل إلى أن ينبلج الصبح . وان اليوم الذي تكون فيه الحرارة ٣٨ او ٣٩ يعده المكيون معتدلاً ويقولون « اليوم براد » فاذا نزلت الدرجة إلى

٣٥ قالوا « براد بالحليل » بفتح فسكون أي « بروذة زائدة » وقد تأتي في هذه الاشهر الثلاثة أيام وليال مقبولة الا ان هذا من النادر الذي لا يعتد به . فالحج الشريف يصادف على مدة ستة أشهر فصل القيظ الذي فيه حر شديد وحر أشد هو حر السرطان والاسد والسنبلة . وهذا لا يطيقه إلا اهالي خط الاستواء وانتكارنة ومن هم في ضربهم . فلما حجاج مصر والشام والمغرب والاناضول والبلقان وتركستان وشمالى فارس وافغانستان وشمالى الهند فانهم يتطوقون من هذا الحر عذابا واصبا . وقد شاهدت علماء من العراق فسأتهم عن نسبة حر العراق إلى حرتهائم الحجاز فقالوا ان حر الحجاز أشد . وأكثر من يموت من الحجاج في المواسم المصادفة لفصل القيظ انما هم من حجاج الشمال ، وذلك بضربة الشمس . وأكثر ما تصيبهم هذه الضربة في عرفات حيث يجب أن يكونوا مكشوفى الرؤوس . فليتأمل المتأمل في قضية الحسر عن الرأس في عين الشمس عند ما تكون درجة الحرارة في ظل الخيمة ٤٨ بميزان سنتغراد . ومع انه يجوز للحجاج اتقاء للضرر ان يستظل بمظلة عالية فوق رأسه فتجد أكثر الحجاج يتورعون عن ذلك ابتغاء زيادة الاجر والثواب وعملا بان الاجر على قدر المشقة . وهم ينسون ان الله نهى عن القاء الانسان بيده إلى التهلكة ، وان احتمال المشقة ان كان فيه اجر وثواب ، فلتهور في الهلكة ليس فيه اجر ولا ثواب ، بل يكاد يكون انتحارا والانتحار ممنوع حتى في العبادة . ان الانسان لا يجوز له أن يهدم بنية الله تعالى ابتغاء مرضاة الله تعالى الذي لا يرضى بذلك منه . وانه ليس في الشرع الاسلامي ما يجيز للمسلم أن يضر بجسمه ضررا يينا متحققا ولو في سبيل التعبد . فعدم الاستظلال بمظلة عند ما تكون درجة الحرارة كما وصفنا نراه مخالفا لروح الشرع (١) ومن باب

(١) قد احتاط الأمير في قوله هذا ولو قال انص الشرع لم يكن مخطئا ، فالنلو في الدين منهي عنه ولو لم يكن فيه ضرر بدني محقق ولا مرجح ونصوص الكتاب والسنة في ذلك كثيرة . والافضل للمحرم أن يضحى (أي يبرز للشمس) إذا كانت الشمس لا تضره ، فان خشي الضرر كره له ، فان تحققة بالتجربة أو بقول طبيب يعتقد صدقه حظر عليه ووجب الاستظلال ، وكتبه مصححه

طلب الزيادة والوقوع في النقصان

ان الهنود الهندوس الذين يرون في فصال النفس عن هذه الحياة الدنيا رجى منها إلى الروح الكاوية التي الاتحاد بها أعلى درجات السعادة عندهم يقصدون الهلاك ويستعدون العذاب، ويرون في المحن سبكا للنفوس وتصفية لها كما يصفي الذهب الابريز بالنار . فتجدهم في عبادتهم ينزعون إلى الموت نزوعا . ولكن الشرع الاسلامي خال من هذه العقائد وهو شرع دنيا واخرى، وكما انه نهى عن الافراط في حب الدنيا نهى عن الافراط في كرهها . وان كان الاسلام انتدب المؤمن إلى عزائم هي قوام الرجولية والانسانية فقد أوجب عليه القيام بها مالم يتحقق منها عليه ضرر او خطر . وان الموطن الوحيد الذي حبيب فيه القرآن احتقار الموت هو موطن الجهاد حيث يموت البعض لحياة الكل، ولان الامة التي يميز على أفرادها أن يموتوا لا يمكنها أن تمحيا . فلهذا قل تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ) فالشهادة انما وعد الله بها الذين يموتون في الآب عن بيضة الاسلام ، وفي صد العدو عن أن يستذلهم ويستعبدهم، ولكنه لم يعد بها الذين يموتون من ضربة الشمس في عرفات او منى لانهم أبوا أن يتقوا لهيب حرارتها بمظلة . فتحمل المشاق في القيام بمناسك الحج واجب وفيه تمحيص للذنوب واكن اوجب من ذلك الوقوف فيه عند الحد الذي لا يؤذن بالخطر . وكان حقاً على العلماء أن يعطوا هذا المعنى حقه في الدروس التي يلقونها في الحرم أمام الحجاج المتواردين فان قتل النفس في العبادة أشبه بان يكون منزعا هنديا من أن يكون منزعا اسلاميا .

على ان منع جميع الحجاج من مثل هذه الامور مع كثرة العامة بينهم سيبقى متعذراً . فكان الاولى أن ينظر في امر عرفة ومنى وان تقلبا عن حالتها الرملية

للصحراوية الحاضرة . فينبغي أن يبادر إلى حفر آبار ارتوازية في طول صحراء  
 عرفة وعرضها حتى تفيض من تحت الارض المياه إلى ما فوق الارض ثم تبني  
 القنوات والصهاريج وتغرس حفافيتها صفوف الاشجار والرياحين، فتهدل هناك  
 الاغصان، وتتدلى الافنان، وترف الظلال، ويتسلل الزلال، فتتخف حرارة الشمس  
 ويلجأ الحجاج في مثل هذه الايام العصيبة إلى ظل ظليل، وهواء بليل . فتكون  
 درجة الحرارة تحت فيضان الدوح ادنى منها في الشمس بخمس عشرة درجة، ويصير  
 الحاج إذا تعرض للشمس قادراً أن يفيء إلى الظل . وقد يجد القاريء هذا الفكر  
 خيالا، ويصعب عليه أن يرى في تلك الصحراء حياضا وجنانا، وروحا وريحانا، وهذا  
 كله خطأ في خطأ او استخذاء في الهمم .

فلاوربيون احتلوا بلدانا كثيرة من افريقية وآسية هي في الحرارة مثل  
 مكة، ومنها ما هو اشد حرارة من مكة، وترى هذه البلدان الآن - بفضل العلم  
 والفن والدأب واثبات - غير ما كانت من قبل، قد بدأت فيها الارض غير  
 الارض، وقد خفت فيها الحرارة درجات عما كانت بما اسالوا اليها من مياه،  
 وما غرسوا من أشجار وما احدثوا من مروج خضر وما أزالوا من غبار،  
 وهكذا صارت قابلة للسكنى وصار كثيرون من الاوروبيين يقيظون فيها  
 بالسهولة، وذلك انهم سألوا العلم فأجابهم، واستندروا ضرع الفن فجاد عليهم  
 واعتصموا بمجبل الثبات فأورثتهم اثبات نباتا، وتعابوا على الطبيعة وخففوا  
 بأسها ونعموا حرشتها، ونحن باقون على ما كنا عليه في القرون الوسطى او قريب  
 من ذلك، نجد كل تغير بدعة، وكل بدعة ضلالة، وننسى ان من البدع بدعا  
 مستحسنة لا بد منها، وان الضلالة كل الضلالة هي الجمود على القديم الذي لا قوة

له إلا حكم العادة؛ ولا كتاب يأمر به ولا سنة (١) وان لم يبق لنا عذر من قبل الدين والعرف رجعتنا نلتمس لانفسنا المعاذير من عدم اجابة الطبيعة نفسها إلى ما نريد واجيب - بشأن عرفه - بان صحراءها رملية وانها بمخاض جبال عالية وكل من رآها يحكم بان في باطن أرضها مياه، لا بل فيها آبار قديمة مسمولة تدل على وجود المياه، فمعلينا إلا أن نجرب عملية الآبار الارتوازية في عدة مظان منها، فان رأينا الارض لم تبض بالماء في كل ذلك السهل الافيح تركنا المشروع من أساسه . ولقد بلغني ان الملك ابن سعود - أيده الله ووفقه إلى كل خير - قد أذن لاناس من الهولانديين أن يجربوا حفر آبار ارتوازية بين جدة ومكة، فشكرت لجلالته هذا الاذن، ورجوت أن تثمر هذه التجربة بما ينشط الملك على الامر بالحفر في مواضع كثيرة من هذه البلاد من جهتها عرفة والمزدانة ومنى . فله قد جعل من الماء كل شيء حي في الاقاليم الباردة، فكيف في الحجاز والارض الرملية التي مثل عرفة؟ هي أسرع نباتا وابدرا إلى الخضرة، فاذا جاءها الماء لم تكن إلا سنة واحدة حتى اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . وقد يؤتى من البلاد الحارة كلهند والجاوى باشجار سريعة البسوق، ورياحين باكرة السموق، لآتمضي سنوات حتى ترى فروعها في السماء، وأغصانها لاحقة بالارض، فتقلب عرفات من هذه الغيرة الباسرة، إلى الخضرة الناضرة، التي لا تضر شيئاً بمناسك الحجاج، بل تزيدهم من الفرح والابتهاج

«١» قوله (ص) «كل بدعة ضلالة» مراده به البدعة في الدين نفسه كما يدل عليه السياق . وقول العلماء ان البدعة تنقسم الى حسنة وسيئة مرادهم به ما يتجدد للناس من المصالح والمنافع العلمية والعملية ودائلمهم عليه حديث «من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» رواه مسلم



# عرفة في القديم

## وخبير عبد الله به عامر به كبريز

ان في صحراء عرفة آباراً معطلة احترفها آباؤنا وأهملناها نحن ، فدلت على ان الابناء قصرُوا عن شأو الآباء، وان الالباء انما ارتفقوا بما عجز الحدثن عن طمسه من مآثر الآباء ، ولكنهم لم يزيدوا عايتها شيئاً، بل هم لم يصلحوا ما عطله الدهر من حلاها . والحال ان الآخر حقيق بان يزيد على الاول، وان الذي يتسنى للخلف بما استفادوه من عبر الدهر التراكمه ، واستثمروه من اتجاريب المتكررة، لم يكن يتسنى للساف ، فنحن ترانا بعكس القاعدة نعجز في عنفوان المدنية عن مباراة ما حققه أجدادنا في حداثتها . وايت شعري لو لم تكن زبيدة امرأة هارون الرشيد جرت مياه نهمان إلى عرفات ، من يقول ان رجلا من مسلمي اليوم فضلا عن امرأة تسمو همته إلى القيام بمشروع كهذا ؟

فعرفات التي هي ماهي اليوم من اتمحولة واليبوسة، والتي كان الحاج يظن فيها إلى الموت لولا قياة عين زبيدة المارة بها قد كانت في الماضي ذات رباح وغياض، وسقايات وحياض، انظر مافي معجم البلدان بشأن عرفات فهو يقول :

« قل ابن عباس حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبالها إلى قعر آل مالك ووادي عرفة . وقال البشاري فرعة قرية فيها مزارع وخضر ومبائطخ وبها دور حسنة لاهل مكة ينزلونها يوم عرفة والموقف منها على صيحة عند جبل متلاطىء ( أي متدان إلى الارض ) وبها سقايات وحياض وعلم قد بني يقف عنده الامام الخ »

وقد ذكروا في أخبار عبد الله بن كبريز العبشمي الذي كان من شجعان

الصحابة واسود فتوحات الاسلام وهو الذي فتح فارس وخراسان وسجستان وكابل (بضم الباء) « انه اتخذ النجاج (١) وغرس فيها فهي تدعى نجاج ابن عامر واتخذ القريتين او غرس بها نخلا وأنبط عيوننا تعرف بعيون ابن عامر بينها وبين النجاج ليلة على طريق المدينة وحفر الحفير، ثم حفر السمينة، واتخذ بقرب قباء قصرآ وجعل فيه زنجبا ليعملوا فيه، فماتوا فتركة، واتخذ بعرفات حياضاً ونخلاً وولي البصرة لعثمان بن عفان فاحتفر بها نهريين وحفر نهر الابلّة. وكان يقول: لو تركت لخرجت المرأة في حدايتها على دابتها ترد كل يوم ماء وسوقا حتى توافي مكة. وكان علي بن ابي طالب يقول عنه انه فتي قريش. مات سنة ٥٩ »

فالاسلام ولا سيما العرب في أشد حاجة اليوم إلى رجال كعبد الله بن عامر ابن كرز العبشمي الفاتح الماتح المعمر النائم الذي كان مغرماً بالعمارة حيث حل وأينما ارتحل. وناهيك بمن يقول فيه أمير المؤمنين كرم الله وجهه انه « فتي قريش » (٢) ولنا الرجاء في معالي همم جلاله ابن سعود الذي حضر طائفة كبيرة من الاعراب وبنى لهم « المهجر » ( جمع هجرة — وأصل معنى المهاجرة في العربي النزوع من البادية إلى الحضرة (٣) وحملهم على الحرث والزرع ولا يزال يشوق الناس إلى الحضارة — ان تنصرف تلك الهمم السماء، إلى استنباط المياه، واحتفار الآبار

(١) هو بالكسر ككتاب اسم قرية

(٢) قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من الاصابة: ولد على عهد النبي (ص)

وأنى به اليه وهو صغير فقال « هذا اشبهنا » وجعل يفل عليه ويؤذم فيل يتبلع ريق النبي (ص) فقال النبي (ص) « انه لمسقي » وكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء حكاة ابن

عبد البر اه ثم قال وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة وأجرى إليها العين

(٣) أي ثم عم استعماله في كل تحول من مكان سكنى الى غيره ومنه هجرة

النبي ﷺ واصحابه (رض) من مكة الى المدينة. ولفظ الهجرة اسم للمهاجرة

واسم المكان « مهاجر » بفتح الجيم بوزن اسم المفعول، وفي نجد يسونه هجرة

الارتوازية في الصحارى المحرقة، حتى يعود بها الغامر عامراً، واليابس ضراً،  
والموات حياً، والجماد غصاً طرباً

وانذكر شيئاً عن البتاع التي عمرها الصحابي الجليل عبد الله بن عامر بن كريز.  
فالنباج كما نقله ياقوت عن أبي منصور نبالان أحدهما موضع على طريق البصرة  
يقال له نباج بني عامر وهو بمحذاء قيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين، وقال  
غيره: النباج لحجاج البصرة، وقيل النباج بين مكة والبصرة للكريزيين، وقال  
عبد الله السكوتي: النباج من البصرة على عشر مراحل، وقال النباج استنبط  
ماءه عبد الله بن عامر بن كريز شق فيه عيوناً وغرس نخلاً وولده به، وساكنه  
رهطه بنو كريز ومن انضم اليهم من العرب « انتهى

وأما الحفير فانه اسم لاكثر من عشرين بئراً ومتزلاً في بلاد العرب، هذا  
على تقدير انه بوزن فعيل بفتح الاول وكسر الثاني، وأما اذا كان لفظه مصغر حفر  
أى بضم الاول وفتح الثاني فهو اسم لمنازل عدة أيضاً (١) وقال الهصبي اذا خرجت  
من البصرة تريد مكة فتأخذ بدان فلج. فأول ماء ترد الحفير. قل بعضهم:  
ولقد ذهبت مراغماً أرجو السلامة بالحفير  
فرجعت منه سالماً ومع السلامة كل خير

وأما السمنية - بضم الاول وفتح الثاني على التصغير - فني المعجم انه أول منزل  
من النباج للمقاصد إلى البصرة. وأما قباء التي اتخذها عبد الله بن عامر بن كريز

(١) قال في المصباح: والحفر بفتحين بمعنى الحفور مثل العدد والحبط والنقض  
بمعنى المعدود والحبوط والمنقوض ومنه قيل للبئر التي حفرها ابو موسى بقرب البصرة  
«حفر» وتضاف اليه فيقال: حفر ابي موسى وقال الازهري: الحفر اسم المكان  
الذي حفر كخندق أو بئر والجمع احفار مثل سبب وأسباب، والحفيرة ما يحفر في  
بالارض فعيلة بمعنى مفعولة والجمع حفائر والحفرة مثلها والجمع حفر. نل غرفة وغرفاه

قصرًا فلا نظنها قباء التي في المدينة على مسافة ميلين منها على يسار القاصد إلى مكة والتي فيها المسجد الذي أسس على اتقوى من أول يوم، ولكنني أظنها قباء التي يقول عنها ياقوت في معجمه انها «موضع بين مكة والبصرة» والدليل على ذلك ان عبد الله بن عامر ولي البصرة لعثمان بن عفان فأكثر من البناء والحفر والغراس على الطريق المؤدية من البصرة إلى مكة، فالنباج والحفير (بضم ففتح على التصغير) والسمنية (بالتصغير أيضاً) كلها على هذا السميت. فالاشبه ان تكون قباء التي بنى عبد الله فيها صرحا هي قباء التي موقعها بين مكة والبصرة. ولقد أورد ياقوت بعد ذكره قباء التي بين مكة والبصرة أبياتا للسري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الانصاري، مما يوهم ان هذه الابيات قيلت في قباء هذه والاولى هو ان تكون قباء المقصودة في شعر السري بن عبد الرحمن الانصاري هي قباء المدينة المنورة لان الانصار كان لهم مساكن فيها، ولأنه يصف فيها ماء بئر عروة الشهيرة بالعدوبة والتي يقال انه كان يحمل من مائها إلى هارون الرشيد وهو بالرقعة. وبئر عروة هي في ضواحي المدينة كما هو معلوم، وعندها بستان لطيف، وقد قسم الله لي النزهة «او القيلة كما يقول أهل الحجاز» عند هذه البئر منذ خمس عشرة سنة قبل الحرب العامة بقليل، ووجدت من خفة مائها وحلاوته ما تذكرته هذه المرة عند شربي من بئر جمرانة التي في ضواحي مكة. أما الابيات التي استشهد بها ياقوت فهي هذه:

ولها مربع ببرقة خاخ	ومصيف بالقصر قصر قباء
كفنونني إن مت في درع أروى	واغسلوني من بئر عروة مائي
سخنة في الشتاء باردة الصيف	سراج في الليلة الظلماء

وخاخ هي روضة خاخ بقرب حمراء الاسد من المدينة كانت من الاحماء التي حماها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون يقال انها في حدود العقيق بين الشوطي

والناصفة . وقد أكثر من ذكرها الشعراء ، وكانت فيها منازل لأئمة من آل البيت وغيرهم من أعيان المدينة ،

وأما نهر الابله الذي يقال ان عبد الله بن عامر شقه فهو نهر بالبصرة وهو إحدى جنان الدنيا الاربع بحسب قول بعضهم وهي غوطة دمشق ، وصغد سمرقند ، وشعب بوان ، ونهر الابله . وحكي ان بكر بن النطاح مدح ابا دلف المعجلي بقصيدة فأثابه عليها عشرة آلاف درهم فاشترى بها ضيعة بالابله ثم جاء بعد قليل وأنشده:

بك ابتعت في نهر الابله ضيعة عليها قصير بالرخام مشيد

إلى جنبها أخت لها يعرضونها وعندك مال للهبات عتيد

فقال ابو دلف : وكم ثمن هذه الضيعة الاخرى فقال : عشرة آلاف درهم فأمر ان يدفع ذلك اليه فلما قبضها قال له ابو دلف « اسمع مني يا بكر ان إلى جنب كل ضيعة أخرى إلى الصين وإلى مالا نهاية له فاياك أن تجياني خدأً وتقول إلى جنب هذه الضيعة ضيعة أخرى فان هذا شيء لا ينقضي » خاف ابو دلف أن تصير ضياع بكر ابن النطاح مثل مستعمرات الانكايز كل واحد تجر جارتها وهم جراً .

## المناهل في مكة

وزكر الاءتراء على الاءوقاف التي وقفها السلف

نعود إلى عرفات التي كنا فيها ، وإلى عبد الله بن عامر بن كريز المعرم كان بالعمارة وإحياء الارضين فنقول :

قال ابن حوقل - صاحب كتاب المسالك والممالك الذي عاش في أوائل القرن الرابع للهجرة ، وهو من أشهر جغرافيي العرب « وعرفة ما بين وادي عرنة إلى حائط بني عامر ( الحائط البستان ) إلى ما أقبل على الصخرات التي يكون . موقف الامام وإلى طريق حصن ، وبحائط بني عامر نخيل ، وكذلك في غربي

عرفة بقرب المسجد الذي يجمع فيه الامام بين صلاتي الظهر والعصر في يوم عرفة ونخل الحائط والعين تنسب الى عبدالله بن عامر بن كريز — إلى أن يقول — وليس بمكة ماء جار إلا تبيء قد أجري اليها من عين قد عمل فيها بعض الولاة واستتم في أيام المقتدر ، ويمتدح (اي يمتد) إلى مسيل قد جعل إلى باب بني شيبه في قناة عملت هناك ، وكانت اكثر مياههم من السماء إلى مواجن بها كانت عامرة فخرت باستيلاء انتولين على أموال أوقافها ، واستثثارهم بها ، وليس لهم آبار تشرب وأطيبها زمزم ولا يمكن الادمان على شربه »

هذا ما يقوله ابن حوقل ، ولا أعلم هل يقصد بهذه العين قناة زبيدة أم عيناً غيرها (١) وكنت أود لو سألتنا عن ذلك انقرشي العريق والعبدي العتيق الشيخ عبد القادر الشيبى زعيم بني شيبه سدنة البيت الكريم ، ومقام ابراهيم ، والذين اليهم مفاتيح الكعبة بمحكم الذكر الحكيم ، فان الشيخ الشيبى من أعلم الناس بخطط مكة ، وأهل مكة أدري بشعابها ، فكيف إذا كانوا من أعرق بيت فيها ؟

وأما (المواجن) فإظهار انه يريد بها ما نسميه اليوم (بالسبل) ولكننا لم نجد في متون اللغة المواجن بهذا المعنى وإنما (المواجن) جمع (ميجنة) وهي مدقة القصار كما لا يخفى . نعم يوجد في اللغة (ماء مجان) أى كاف مستفيض . ويوجد (مجان) أى بدون من . وكلاهما يطابق هذا المعنى ، ولكن على هذا يكون ابن حوقل عدل عن (فعال) الى (فاعل) ولو أن المؤلف ذكرها مرة واحدة في كتابه لكننا نقول لعلها من غلط النسخ والطبع ، ولكنها وردت في كلامه مراراً بالجمع (مواجن) وبالمفرد (ماجن) وكل ذلك بالنون . وأما الازرقى أبو الوليد محمد صاحب كتاب [ أخبار مكة ] فقد أوردتها باللام فهو يقول عند ذكر العميون التي أجريت إلى الحرم (ومنها) حائط خرمان وهو من ثنية اذاخر إلى بيوت جعفر الملقمى

(١) الراجح انه ينيها إذ لم يكن ثم غيرها يطلق الكلام عليها دونها

وبيوت ابن أبي الرزام ، وماجله قاشم إلى اليوم وكان فيه النخل والزرع حديثاً من الدهر وكانت له عين ومشروع يردده الناس » ويقول في موضع آخر « وكانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وذهبت فأمر أمير المؤمنين الرشيد بعيون منها فعملت وأحييت وصرفت في عين واحدة يقال لها ( الرشاد ) تسكب في الأجانب اللذين احدهما لامير المؤمنين الرشيد بالمعلاة ثم تسكب في البركة التي عند المسجد الحرام وفي اقاموس : الماجل كل ماء في أصل جبل أو واد . وقال الزبيدي في التاج : ان بعض ثقات اللغة رواه بدون همز وان الآخريين تحفظه بالهمز . وجاء في القاموس ما هو أصح وهو ان الماجل موضع بباب مكة يجتمع فيه ماء يتحاب اليه واستدرك صاحب التاج في هذه المادة بقوله : وفي حديث أبي واقد كنا تماقل في ماجل او صهرجج ، قال ابن الاثير هو الماء الكثير المجتمع ، وقيل هو معرب والتماقل اتفاوص في الماء

وبالاختصار الماجل هو في مكة مايسمونه اليوم ( بالبازان ) وهي Bacin الانكليزية ، او Bassin الافرنسية . وهكذا الالفاظ مثل سائر الاشياء تحيا وتموت بأجال مقدرة ، ففي دور من الادوار يقولون حوض ، وفي آخر بازان الخ والمعنى واحد ، ولعلهم في زمان ابن حوقل ( نحو سنة ٣٣٠ ) كانوا حرفوا هذه اللفظة من اللام الى النون كما قولوا في جبريل جبرين (١) وأما في زمان الازرقى ( نحو المائتين للهجرة ) فقد كانوا يلفظونها باللام

« ١ » لاشك في تحريف الكلمة وان أصلها باللام والارجح أن المحرف لها التناسخ ويحتمل أن يكون ابن حوقل نفسه فقد قال صاحب كشف الظنون انه لم يضبط الاسماء

## سوء تصرف المسلمين في اوقاف سلفهم

وأكلها بالباطل

وأما الذي لم نجده - مع لاسف - نحرف ولا تغير فهو اكل أموال الاوقاف حتى التي على حياض الماء فقد رأيت كيف ان ابن حوقل يذكر خراب تلك المواجن أو المواجل ( باستيلاء المتولين على اموال اوقافها واستئثارهم ) وهذه شذشنة قل أن يخلو منها بلد من بلدان الاسلام ، وبسببها تعطلت هذه البلدان من الحلي التي تجدها في بلاد الافرنج . فآباؤنا لم يقصروا في حبس العقارات الدارة على كل ما يخطر في البال من طرق الانسانية ، ووسائل المدنية ، ولكن الخلف (إلا من رحم ربك ) خانوا امانات السلف ، وخاسوا بجهودهم وتركونا خجالي أمام الاجانب في مساكننا ومدائننا . وكل ما اورده الشرع من الاعظام والاكبار لكبيرة الاكل من الاموال المرصدة للخير العام ، بل ما قدف به من الصواعق على من يستبيح لنفسه الغلول منها ، قد ذهب سدى . فالوقف لا يمضي عليه قرن أو نصف قرن حتى تنه اورد الايدي بالاكل والبيع (١) وكثيراً ما يندرس ولا يبقى إلا ذكره في الكتب او على السنة الناس ، يا كاون في بطونهم ناراً ولا يخافون الله ولا يشعرون . وبأيت شعري ماذا تنفع صلاة من يفعل ذلك ؟ وماذا يفيد صيامه وتلك النار في بطنه ولهذا تحامى كثير من المتورعين والمتحققين بالشرع الشريف النظارة على الاوقاف ، وأخذمقابل عمله من ربهها . قال الامام خير الدين الرملي رحمه الله :

بورك لي في المر والمسحاة فما هو الموجب للجهات  
وهي لمن قام عليها صدقة وللذي فرط نار محرقة

(١) احفظ عن أخي جدي السيد احمد أبي الكمال وكان يعني بالتاريخ : في كل مائة سنة يتحول وقف طراباس ملكا ، وملكها وقفا



## أهمية المياه في الحجاز

أعود الى ذكر المياه والعيون بمكة . وقد يقال لي : لماذا هذا الاسهاب كله في قضية الحياض والقني والواجل والبازانات وفيما عملته زبيدة وفيما عمله عبد الله ابن عامر بن كريب وغيرهما من المومنين والمنظمين الخ

والجواب : من لم يعرف الحجاز لم يعرف قيمة المياه في الارض واذا كانت آية ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) صحيحة في اسوج وتروج ، لا بل في القطب الشمالي حيث اسلوج عامة للاقطار طامة للانظار ، فلم تكون هذه الآية الكريمة صحيحة في قطر مثل الحجاز تصعد درجة الحرارة فيه بالصيف الى ٤٧ و٤٨ بميزان سنتغراد ، وكثيراً ما يعز فيه المطر فتنضب من ذلك عيون كانت جارية ، وآبار كانت دايقة ، وتمت قف سوان كانت دائرة ، وتصوح جنان كانت بهجة للناظرين ، وتموت اشجار كانت آية للسابلين ، وتصح الرياض التي كانت اشبه بالزمرد قاحلة غرباء مربدة كأنها فيافي بني اسد .

ان شأن الحجاز في هذا المعنى هو غير شؤون سائر البلاد ، فالماء فيه يجوز أن يوزن بالثقال والماء فيه هو الذهب ، والماء فيه هو الماس ، ونقط الغيث فيه هي الآلى . وبالجملة فالماء فيه هو الحياة نفسها ، وهي اغلى من كل هذه . ولو ألف حجازي قاموس لغة وعند تعريف الحياة قل انها الماء او عند تعريف الماء قال انه الحياة لسكان جديراً .

ورب قائل : ان هذا لا يخص الحجاز دون غيره بل الماء هو الحياة في كل أقسام الكرة . والجواب : انه في سائر البلاد لا تبدو من الماء هذه العزاة والكرزاة التي تبدو منه في الحجاز ، واينما تحولت نجد عيوناً جارية ، واودية سائلة ،

وأحياناً تجدد انهاراً مثل البحار، وبحيرات تسير فيها السفن الكبار . هذا والامطار في بعض البلاد تسح في اشهر الشتاء سحاً لا يخشى معه ظمأ ولا قحط ، وقد تشح آونة لكن سحاً لا تنضب به العيون ولا تجف الآبار، وإنما تنقص نقصاً قد تنقص معه الثمرات وتذبل الاشجار ، وتذوي الزروع ولكن لا يقتلها العطش هذا القتل الوحي الذي يقتلها في الحجاز . ومن بلاد الله ما الامطار فيها لا تكاد تقلع لاصيفاً ولا شتاء فتجدها دائماً زمردة خضراء

وأما الحجاز فالغيث فيه قلما يعمواً كثيراً ينزل نفضاً ( جمع نفضة بضم أوله وهي المطرة تصيب القطعة من الارض وتخطىء القطعة ) فاذا اصاب النفضة ارضاً زهت تلك السنة وثمرت وعاش أهلها . واذا اخطأتها أو جاءت بها رذاذا يبس كل ما هناك من زرع ، وعطش كل ما هناك من زرع ، ولم يبق امام أهلها إلا التحول عنها الى ارض أخرى يكون الغيث قد سقاها . ولا يعودون الى الارض الاولى إلا اذا اصابها الرحمة ، وقد تكون الارضات متجاورة ، وانك لتجد هذه زاوية ناضرة ، وهذه على مسافة ربع ساعة منها غامرة بامرة ، وذلك لأن الغيث اصاب هذه واخطأ هذه

وصادف انه لما كنا بعرفة جاءنا عرض صحبته رواعد (١) بينما نحن مفيضون من عرفات الى المشعر الحرام وكان المطر على الجبال أشد منه على الاماكن التي كنا فيها . وبعد ذلك بثلاثة اشهر كنا نتنزء في جبال الطائف فقصدنا قرية « الهدا » الموصوفة التي يفضاها كثيرون على الطائف بحجة انها أعلى مكانا وأفسح منظرا . وهي أعلى من الطائف بنحو مائتي متر . تعلمو الهدا عن سطح البحر نحو آمن

(١) الامراض السحاب الذي يمرض في الافق قبل أن يطبق السماء وحده بعضهم بما يمرض في قطر من أقطار السماء من العشي ثم يصبح وقد حباوا استوى ، والرواعد السحاب التي فيها رعد . قال في الاساس : سحابة راعدة وسحاب رواعد

١٨٠٠ متر فلما دخلنا القرية لم يبق الا قليل حتى نقول انها خاوية على عروشها :  
 وجدنا بعض أهلها نازحين الى حيث يقدر أن يشربوا والبعض الآخر يردون  
 المناهل البعيدة. ووجدنا تلك البساتين قد علتها غمرة الموت، فمنها ما صوح شجره،  
 ومنها ما مات موتا لا حياة بعده. وقصدنا الى ساقية كانت مشهورة بغزارة المياه  
 فنظرنا الى قعرها فوجدنا الذي فيها قد يكفي لشربنا فجلسنا نقيّل تحت شجرات  
 هناك ونزعنا بالدلو حتى سقيننا نحن وربعنا، ولكن الانفس ارضها منظر الاشجار  
 المحزن فلم نملك الا ساعتين حتى فارقنا الهدا مهرواين الى واد قريب منها يقال  
 له وادي الكمل ( بضم ففتح مع التشديد ) وقد علمنا من أهل الهدا أن العارض  
 الذي جاء الحاج يوم عرفة لم يكن ممطرم ولقد امطر جيرا منهم على درجات متفاوتة،  
 فمنهم من رزقوا ثمرات وغللات وافرة، ومنهم من اتهم غلة متوسطة، ولكن الهدا  
 كانت محرومة مغمورة تماما هذا الصيف كله وبقيت في هذه الأواء ليس فيها  
 نبت أخضر إلا الصبير حتى دخل فصل الخريف ( وفي الحجاز يقولون له الشتاء ويقولون  
 للشتاء الذي عندنا الربيع ) فجاءنا الخبر ونحن في الطائف أن الهدا سقيت وأغيثت  
 ورجعت إليها روحها .

وليس في الحجاز أوحى من أخبار المطر ، فهي لشدة غزارة القطر تسري  
 من واد إلى واد ومن نجم الى نجم بسرعة اللاسلكي ، وتراهم من شدة ترقيهم  
 للمطار يعرفون من مواقعها بمجرد النظر مالا نعرفه نحن في بلادنا ، فإذا تلبدت  
 السحب في افق من الآدق أو قصف رعد أو أومض برق قالوا لك : هذا في  
 ارض عسير أو في بلاد تمالة أو في الشفا أو في بلاد هذيل وهلم جرا ، وقد تكون  
 المسافة ساعات بل أياما وتجدهم يخمنون ويصيبون . وبالجملة سكان البوادي أقرب  
 الى الطبيعة الفجة وآلف لها ، وأعرف بالسحب ومساقط العيث وبالارض  
 وأنواعها والتراب وخواصه وروائحها ، والنبات وحياته، والنجوم ومطالعها ومغاربها  
 وما أشبه ذلك — من سكان الحواضر .

## لذة الماء والخضرة في البلاد الحارة

(غيرها في البلاد الباردة)

ترى مما تقدم ان معارة واحدة في الحجاز تحيي وتميت ، وليس الامر كذلك في سائر البلاد التي تهطل فيها الامطار فتعم وان لم يصب هذه القطعة عارض ممطر هذه المرة أصابها مرة أخرى . نعم ان الودق في الحجاز — وفي جميع البلاد الحارة — أشد منه في البلاد الضاربة إلى الشمال ، وان مزنة واحدة في الاحياء لا تستمر أكثر من نصف ساعة فتسيل لها اودية بقدره ، وتجرف وتجحف ، وقد تذهب بالحيطان والبيوت ، وقد تفتال اقوافل والسوايل إذا جاتهم على غرة . ولكن طغيان المياه هذا لا يستمر الا ريثما ترفع النقطة ، فعند ذلك تنظر في الارض فاذا هي قد باعت ماءها ، وعاد ما كنت تراه نهراً هداراً قد نصب ماؤه ، وصحت سماءه ، وكأنه لم يمر من هناك ماء ، ولم تمطر سماء . وفي مدينة الطائف واد شهير مذكور في الكتب يقال له (وج) إذا سال هذا الوادي شبعت الطائف وكل ماجاورها خيرات وأقواتاً ، ومع هذا لا يسيل في السنة كلها إلا مرة او مرتين ، وكل مرة ساعة أو ساعتين

فمن أجل هذا كان الماء في الحجاز ثمن وأغلا منه في سائر الاقطار ، وكان ألد وأبهج وأعلق بالقلب وأشرح للصدر ، وكان الماء في الحجاز يساوي الماء خمسين مرة في الشام ومائة مرة في سويسرة مثلاً . وكان الفصن الاخضر في الحجاز أحلى منه مائة مرة في أوربة . وكمن عين لو كنت في سورية ومررت على مثلها لم أقف دقيقة ولا نظرت اليها إلا كما أنظر إلى التراب ، فأما في الحجاز فقد كنت أقبل إلى جانبها ، وأحرق في قطرات مائها ، ولا ابرح أنحدث إلى الاخوان عن قسالة جريها ، وصفاء لونها ، وكمن مرة جلسنا في الحجاز الى ثمد وأوشال ،

لا تمر في غير الحجاز على بال، فكنا نستعذبها، وتلذذ بالمقيل عندها، كالماء كنا على نبع الباروك أو نبع الصفا في جبل ابنتان

لا جرم ان الامور في الغالب نسبية تغلو وترخص وتحسن وتسمح بحسب الزمان والسكان، وقد يلذ لك في الصيف ما تجده ثقيلًا في الشتاء، وترتاح في الاقاليم الحارة إلى ما تفر منه في الاقاليم الباردة، والثلاج فاكهة الجروم، على حين ان النار فاكهة الصرود، وهلم جرا. ولذلك أراني أتلذذ بالماء، والظل والخضرة في الحجاز وفي الشرق كله اكثر مما أتلذذ بها في اوربة لاسيما في القسم الشمالي منها. ففي اوربة مياه تتدفق، وأنهار تهدر، وشلالات تتحدر، ولكن كل ذلك في جو لا ترتفع حرارته عن ١٥ او ٢٠ بميزان سنتيغراد إلا أياما قلائل من السنة، وكل ذلك في جو مطير متلبد بالسحب اكثر السنة. فأني لذة لماء الجداول والانهار الجارية على الارض حينما تكون المياه نازلة من السماء؟ وأية لذة يجدها الانسان في الظل والظليل والخرجات المنلثة إذا كانت الشمس في الغالب محجوبة بالغمام؟ والماء البارد انما يولع به الخلق في بوارح القيظ يتبردون به بالعمل والنهل والغسل والمجاورة. فأما إذا كان الهواء باردًا من أصله فما لك وللتبرد والابتراد؟

ان الانسان يفي مزاجه على التمديل فتجده لا يعرف الراحة والهناء الا بتسليط العناصر بعضها على بعض حتى تصل الى درجة الاعتدال، فاذا أفرط به الحر لجأ الى الماء والثلاج وأهوية الجبال، واذا أفرط به البرد لجأ الى النار والشمس والصوف وأهوية السواحل. فما دام الانسان لا يشعر بالحرارة، فالبهجة التي عنده للماء الزلال والظل والارج الاخضر والشجر الملتف لا تكاد تذكر بالقياس الى البهجة التي عنده بها والسهموم تهب والجوف يتلهب

فالجنات والعيون والانهار والاشجار انما جعلها الله نعمًا في البلاد الحارة والمعتدلة كجزيرة العرب ومصر والمغرب والشام والعراق وفارس وماني ضربها

ففي هذه الاقاليم تظهر قيمتها ، ويغالي المرء في ثمنها . ويلحق بهذا الضرب من البلدان ايطالية واسبانية والجزائر التي في البحر المتوسط وجميع جنوبي أوربة  
وانقد وُجِدت مرة في رومية في فصل القيظ فنردت منها الى بلدة تيفولي على مسافة ساعتين من رومية في سفح الجبل ، ونعمت من انهر العذب الفياض المنحدر من هناك ، وبشلالات ذلك النهر وبحيراته وحياضه بما لا أنساه طول حياتي ، وانما كانت درجة الحرارة البالغة ٣٤ هي التي توحى الي تلك المحاسن التي رأيتها على نهر تيفولي ، وتنطقني بهذه الفقر الشاعرة في وصفها

## اثر السيدة زبيدة

من حيث قد تقرر ان الماء هو في البلاد الحارة والمعتدلة أحيا وأعذب وأبرد على الاكباد وأطيب أضعافا مضاعفة منه في البلاد الباردة فقد كان أعظم ما يرزق به الانسان من الصواب واشواب، وما ترتفع به درجة في الابدأ والمآب ، هو تفجير الينابيع واسالة الجداول وتقريب الشارع في بلاد نظير الحجاز تقصد اليها الحجاج من الحار والبارد والرطب واليابس، بالالوف وعشرات الالوف ومئات الالوف زائداً إلى من فيها من السكان

فالمشروع الذي شرعته زبيدة بنت جعفر في هذا المشروع العظيم الذي فتحته لجيران البيت الحرام ، ولقصاده من جميع بلاد الاسلام ، هو كما تقدم عمل قصر عن مثله الاولون والآخرون . وانظر إلى مقاله ابو الوليد محمد الازرقى الفسائي في هذا الشأن وقد عاش في عصرها

« ثم كان الناس بعد في شدة من الماء وكان أهل مكة والحاج يلقون من ذلك المشقة حتى ان الراوية لتبلغ في الموسم عشرة دراهم وأكثر وأقل فبلغ ذلك أم جعفر بنت أبي الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور ، فأمرت في سنة أربع

وتسمين ومائة بعمل بركتها التي بمكة فاجرت لها عيننا من الحرم ( لا يقصد بالحرم هنا المسجد الحرام وانما يقال حرم لمنطقة مخصوصة معينة حول مكة (١) كما لا يخفى) فجرت بماء قليل لم يكن فيه ري لاهل مكة وقد غرمت في ذلك غرما عظيما فبلغها فامرت جماعة من المهندسين أن يجروا لها عيوننا من الحبل ( أي من الارض الخارجة عن الحرم ) وكان الناس يقولون ان ماء الحل لا يدخل الحرم لانه يمر على عقاب وجبال، فارسلت باموال عظام ثم امرت من يزن عينها الاولى فوجدوا فيها فسادا فأنشأت عينا أخرى إلى جانبها وأبطلت تلك العيون فعملت عينها هذه باحكم ما يكون من العمل، وعظمت في ذلك رغبتها وحسنت نيتها، فلم نزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية « خل » فاذا الماء لا يظهر في ذلك الجبل فامرت بالجبل فضرب فيه وأنفقت في ذلك من الاموال ما لم تكن تطيب به نفس كثير من الناس حتى أجراها الله عز وجل لها وأجرت فيها عيوننا من الحل منها عين من المشاش ( جاء في معجم البلدان : المشاش بالضم قال عرام : ويتصل بجبال عرفات جبال الطائف وفيها مياه كثيرة اوشال وغطا ثم قني منها المشاش وهو الذي يجري بعرفات ويصل إلى مكة ) واتخذت لها بركا تكون السيول إذا جاءت تجتمع فيها ثم اجرت لها عيوننا من حنين، واشترت حائط حنين فصرفت عينه إلى البركة وجعلت حائطه سداً يجتمع فيه السيل فصارت لها مكرمة لم تكن لاحد قبلها وطابت نفسها بالنفقة فيها بما لم تكن تطيب نفس أحد غيرها به فاهل مكة والحاج انما يعيشون بها بعد الله عز وجل.

ثم أمر أمير المؤمنين المأمون صالح بن العباس في سنة عشر ومائتين أن

(١) حرم مكة هو ما حرم الله فيه القتال والصيد وقطع النبات وعضد الشجر وله حدود معروفة من كل جهة بأعلام مبنية كالذي بين جدة ومكة وبين المزدلفة وعرفة، فمرفقات الحل لا يحرم فيها الصيد على غير الحرم

يتخذ له بركا في السوق، خمسا لثلاثا يتعنى أهل اسفل مكة والثنية واجيادين (بالثنية) والوسط إلى بركة ام جعفر فأجرى عيننا من بركة ام جعفر من فضل مائها في عين تسكب في بركة البطحاء عند شعب ابن يوسف في وجه دار ابن يوسف، ثم يمضي إلى بركة عند الصفا ثم يمضي إلى بركة عند الحناطين، ثم يمضي إلى بركة بقهوة سكة الثنية دون دار أويس، ثم يمضي إلى بركة عند سوق الحطب باسفل مكة ثم يمضي في سرب ذلك إلى ماجل أبي صلابة، ثم إلى الماجلين اللذين في حائط ابن طارق باسفل مكة، وكان صالح بن العباس لما فرغ منها ركب بوجوه الناس إليها فوقف عليها حين جرى فيها الماء ونحر عند كل بركة جزورا وقسم لهما على الناس « انتهى

وقال ابن خلكان: « ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر النصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم هي أم الامين محمد بن هارون الرشيد، وكان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمده في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها. قال الشيخ ابوالفرج ابن الجوزي في كتاب الالقاب انها سقت أهل مكة الماء بمد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وانها أسالت الماء عشرة أميال بخط الجبال وتحت الصخر حتى غلغلته من الحل إلى الحرم، وعمات عقبة البستان فقال لها وكيها يلزك نفقة كثيرة فقالت أعملها ولو كانت ضربة فاس بدينار. وكانت وفاتها سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الاولى ببغداد رحمها الله تعالى « انتهى

وأما ابن جبير الاندلسي وقد كانت حجته في سنة ٥٧٩ فانه ذكر زبيدة

في كلامه الذي يلي:

« فاجتمع بعرفات من البشر جمع لا يحصي عدده إلا الله عز وجل. ومزدلفة بين منى وعرفات من منى إليها ما من مكة إلى منى وذلك نحو خمسة أميال ومنها



إلى عرفات مثل ذلك أو أشف قليلا، وتسمى المشعر الحرام وتسمى جمعا ( قال .  
الحريري في مقاماته :

وقات لعاذلي مهلا فاني سأختار المعام على المقام  
. وأنفق ماجمت بارض جمع واسلو بالخطيم عن الخطام

فلها ثلاثة أسماء . وقباها بنحو الميل وادي محسر، ومضت السنة بالهرولة فيه  
وهو حد بين مزدلفة ومنى لانه معترض بينهما ، ومزدلفة بسيط من الارض  
فسيح بين جبلين وحوله مصانع وصهاريج كانت للماء في زمان زبيدة رحما الله «  
أقول هذه الخمسة الاميال من عرفات إلى منى أخذت معنا أكثر من خمس  
ساعات من بعد المغرب إلى نصف الليل على اننا كما في سيارة . وهذا مع سعة  
الطريق الذي هو أحيانا سهل افيح . ولا عجب فان نحو آمن مائتي الف نسمة كانوا  
مفيضين ذلك المساء في وقت واحد من عرفات الى مزدلفة فتمها قطر الجمال  
بالالوف لا بالمئات، وعليها الهوادج ينخيل لرائتها من كثرتها وارتفاعها وحركة  
الاباعر من تحتها ان هناك مدينة سائرة على متون الايانق . وهناك الركبان  
والفرسان، والمشاة على الاقدام، وبالاختصار محشر من الخلائق . وقد يبلغ الحاج  
في بعض الاعوام ثلاثمائة الف وأربعمائة الف وجميعهم لا بد لهم من الافاضة في وقت  
واحد . وقد يتأخر حجاج الشيعة ايلة أخرى ان لم تثبت عندهم هم رؤية الهلال  
و بعضهم يرى انه يسمهم ماوسع أهل السنة . وعندني ان الاولى ترك الناس  
وحريرتهم في أمور كهذه، إذ ايس في ذلك مخافة للشرع وانما هو مجرد اجتهاد لا غير (١)

(١) اما تركهم وشأنهم فذلك ما جرت ولا تزال تجري عليه الحكومات من  
أهل السنة — واما هدي أئمة السانف وهو اللائق بالوحدة الاسلامية فهو  
عدم الخلاف واجتناب التفرق في الشعار الاسلامية العامة وذلك بأن يترك امر  
اثبات اول ذي الحجة الى حكومة الحجاز ولا يحاول الشيعة اثبات ذلك فيها بشهادة  
من يشهد منهم برؤية الهلال في حال مكان الرؤية الخ وانما كان يعمل كل احد  
باجتهاده الشخصي في المسائل الشخصية ، وحكم الحاكم برفع الخلاف في المسائل  
الاجتهادية المتعلقة بمصلحة الامة ، وتصيل الموضوع ايس هذا عمله

## روعة موقف عرفات العام

( ومواكب الحج فيها أيام دول الاسلام )

### ﴿ ووصف ابن جبير الاندلسي لها في القرن السادس ﴾

ما أنس لأنس منظر عرفات ليلاً . فهو من أبهج ما ارتسم في خاطري من مناظر هذه الدنيا الغانية مع كثرة ماتاهدت في حياتي وما تقلبت في الامصار والعواصم . فقد أقبلنا عليها غلباً آتين من منى ، فكانت أليه بسما في كواكبها وطراتقها ، منها بسهولة وهضاب في خيامها ، وقبابها المضروبة ، ومصايبها المعانقة ونيرانها المشبوبة . فكان منظر آقيد النواظر لا يشبع منه الرائي تطلعا ، ولا يزداد به إلا ابتهاجا . وايدست عرفات في النهار باقل حسنا وجلالا في توج جموعها وتراص قبابها ، ولا سيما في مناظر الخشوع التي تأخذ بالالباب ، ومسامع الادعية التي ليس بينها وبين الله حجاب .

واني أترك وصف عرفات في مثل ذلك اليوم لكاتب شهير لا يلتفت إلى فقير فقراتي بجانب مليء أمليه ، ولا يؤبه بمقير خرزاتي في معرض بديع لآليه إلا وهو ابن جبير الكنتاني الاندلسي برد الله ثراه قال :

### وصف ابن جبير لموقف عرفات

« فأصبح يوم الجمعة المذكور في عرفات جمعا لاشبيه له إلا الحشر ، لكنه إن شاء الله حشر للثواب ، مبشر بالرحمة والمغفرة يوم الحشر للحساب . زعم المحققون من الاشياخ المجاورين انهم لم يعاينوا قط في عرفات جمعا أحفل منه ، ولا رؤي كان من عهد الرشيد الذي هو آخر من حج من الخلفاء جمع في الاسلام مثله ، جمعه الله جمعا مرحوما معصوما بمزته ، فلما جمع بين الظاهر والمصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين ، وإلى الله عز وجل في الرحمة متضرعين ، والتكبير قدعلا ، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع ، فما رؤي يوم أكثر مدامع ،

ولا قلوباً خواشع ، ولا اعناقاً لهيبة لله خوانع خواضع ، من ذلك اليوم ، فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تلتفح وجوههم الى أن سقط قرصها ، وتمكن وقت المغرب ، وقد وصل أمير الحاج مع جملة من جنده الدارعين ، ووقفوا بمقربة من الصخرات (١) عند المسجد الصغير ، وأخذ السرو اليمانيون مواقعهم بمنازلتهم المعلومة لهم في جبال عرفات المتوارثة عن جد من عهد النبي ﷺ ، لا تتمدى قبيلة على منزل أخرى ، وكان المجتمع منهم في هذا العام عدداً لم يجتمع قط مثله ، وكذلك وصل الامير العراقي في جمع لم يصل قط مثله ، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخراسانيين ، ومن النساء العقائل المعروفات بالخواتين ، ومن السيدات بنات لامراء كثير ، ومن سائر المعجم عدد لا يحصى فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم الامام المالكي «

إلى أن يقول :

« أثار الامام المالكي بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعاً ارتجت له الارض ، ورجفت الجبال ، فياله موقفاً ما أهول مرآه ، وأرجى في النفوس عقباه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه ، وتممده بنعماه ، انه منعم كريم حنان منان ، « وكانت محلة الامير العراقي جميلة المنظر ، بهية العدة ، رائقة المضارب والابنية ، عجيبة اقباب والاروقة ، على هيئات لم ير أبدع منها منظاراً ، فأعظمها مرأى مضرب الامير ، وذلك انه أحدق به سرادق كالسور من كتان ، كأنه حديقة بستان ، أو زخرفة بنيان ، وفي داخله القباب المضروبة وهي كلها سواد في بياض ، مرقشة

« ١ » هذه الصخرات التي يتكرر ذكرها معروفة وهي التي وقف النبي الاعظم

ﷺ عندها في حجة الوداع ولكنه قال « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » رواه مسلم - يعني ان وقوفه هنا لك اتفاق لا لفضيلة في المكان ، لئلا يتهافت الناس بعمده عليه ، ولكنهم يفعلون ذلك ما استطاعوا

ملونة كأنها أزاهير الرياض ، وقد جمت صفحات ذلك السرادق من جوانبه  
 الاربعة كلها أشكال درقية ( الدرقة هي الترس ) من ذلك السواد المنزل في البياض  
 يستشعر الناظر اليها مهابة يتخيلها درقا لمطية ( نسبة إلى قبيلة في المغرب الاقصى  
 عندهم أحسن التراس ) قد جللتها مزخرفات الاغشية . ولهذا السرادق الذي هو  
 كالسور المضروب أبواب مرتفعة كأنها أبواب القصور المشيدة يدخل منها إلى  
 دهايز وتعاريج ، ثم يفضي منها إلى الفضاء الذي فيه القباب ، وكان هذا الامير  
 ساكن في مدينة قد أحرق بها سور تنتقل بانتقاله ، وتنزل بنزوله ، وهي من  
 الابهات الملوكية المعهودة ، وداخل تلك الابواب حجاب الامير وغازيته ، وهي  
 أبواب مرتفعة يجيء الفارس برايته فيدخل عليها دون تنكيس ولا تطأطؤ ، قد  
 أحكت ذلك كله احراش ( من حرش اي خشن ) وثيقة من الكتان يتصل باوتاد  
 مضروبة ، أدير ذلك كله بتدبير هندسي غريب .

ولسائر الامراء الواصلين صحبة هذا الامير مضارب دون ذلك ، لكنهما على  
 تلك الصفة ، وقباب بديمة المنظر عجيبة الشكل ، قد قامت كأنها التيجان المنصوبة ،  
 إلى ما يطول وصفه ويتسع القول فيه من عظيم احتفال هذه المحلة في الآلة والعدة ،  
 وغير ذلك مما يدل على سعة الاحوال وعظيم الانحراف ( اعلمها الاحتراف وهو  
 الكسب والتصرف وحرف اعياله كسب ومنه الحرفة ) في المكاسب والاموال .  
 ولهم أيضاً في مراكبهم على الابل قباب تظلمهم بدبعة المنظر عجيبة الشكل ،  
 قد نصبت على محامل من الاعواد يسهونها القشاوات وهي كالتوايدت المحوفة ، هي  
 لركابها من الرجال والنساء كالامهدة للاطفال ، تملأ بالفرش الوثيرة ، ويقعد الراكب  
 فيها مستريحاً كأنه في مهداين فسيح ، وبازائه معادله أو معادلته في مثل ذلك . من  
 الشقة الاخرى والقبة مضروبة عليها ، فيسار بهما وهما نائمان لا يشعران أو كيفما  
 أحبا ، فعند ما يصلان إلى المرحلة التي يحطان بها ضرب سرادقهما للحين إن

كانا من أهل اترفه والتنعم، فيدخل بهما إلى السرادق وهما راكبان وينصب لهما كرسي ينزلان عليه فينتقلان من ظل قبة المحمل إلى قبة المنزل دون واسطة هواء يلحقهما ، ولا خطافة شمس تصيبهما ، وناهيك من هذا اترفيه فهو لاء لا يلحقون لسفرهم وإن بعدت شقته نصباً ، ولا يجدون على طول الحل والترحال تعباً ،

ودون هؤلأء في الراحة راكبو المحارات وهي شبيهة الشقادف لكن الشقادف أبط وأوسع وهذه أضيق وأضيقت عليها ظلال تل تقي حر الشمس ، ومن قصرت حاله عنها في هذه الاسفار فقد حصل على نصب السفر الذي هو قطعة من العذاب الخ» إه

أقول : وكم رأيت عرفات من هذه القباب والسرادقات وهذه المناظر الشائقات ، وكم رأيت طريق البيت الحرام من هذه المحارات وهذه الشقادف ، وكم رأيت من راكب وفارس وحاف وناعل ، وكم تطهرت نفوس ، وتمهدت أرواح ، وصفت قلوب ، وزكت أعمال ، وخزيت شياطين ، وحقنت دماء ، وكفكت دموع ، وصينت أموال ، كل ذلك بسبب هذه الآفة الكريمة (ولله على الناس حجاج البيت من استطاع إليه سبيلاً) وكم عاشت بهذه الآفة مخلوقات ودخلت على الحجاز أموال ، اللهم إن كل ذلك لما هو فوق تصور العالمين

أما النعمة والرفاهية اللتان أشار إليهما ابن جبير من حال حجاج العراق وفارس وخراسان في ذلك الوقت فلم يبق منها شيء تقريباً إلى العصر الاخير لان تلك الحال انحوت بسبب الحروب المتواصلة ولا سيما غارة المغول التي أتت على الحرث والنسل ، ونسفت عمران المشرق نسفاً ، فاقفرت البلاد ، ونقلصت الزراعة ، وتشمت العباد ، ونضبت موارد التجارة ، وجاء فتح ترعة السويس في الزمن الاخير فتحوات به تجارة الهند والصين عن فارس والعراق والشام ، واستأثر بها الاوربيون رأساً مع ان ثروة بغداد والبصرة وشيراز واصفهان وسيراف الخ كانت أيام العباسيين مما تعجز عن وصفه الاقلام ، وتتقاصر الارقام ، وتلك الأيام نداؤها بين الناس

ولقد أخطر بيالي ذكر المحامل التي ينتقل منها إلى المنازل بدون أن يخرج الراكب من الظل إلا إلى الظل عمل الملك ليوبولد ملك بلجيكا السابق فقد رأيت له في بروكسل قصرًا حوله حديقة فيحاء وكان أشأ فرعا من سكة الحديد إلى الحديقة فالقصر داخلًا في نفق تحت الأرض إلى ماتحت القصر فيأتي القطار الخاص بالملك من الخارج فيدخل إلى ماتحت القصر ويخرج الملك من العربة التي هو جالس فيها بخطوة واحدة إلى المصعد الذي هو محاذ لباب العربة فيرقى به المصعد تواءً إلى غرفة نومه الخاصة . وهكذا ينتهي من السكة الحديدية إلى غرفة مييته بدون أن يتكاف لامشيًا ولا صعودًا ولا نعلم هل كانت عنده آلة ترفعه من أرض الغرفة إلى السرير !؟

## الوزير الجواد الاصفهاني جمال الدين

### وزير أتابك زنكي صاحب الموصل

من حيث اننا في ذكر العمرين (عمر المنزل بالتشديد جملة أهلا) والشميرين (نمر المال بالتشديد أيضا كثره) والمسدين للمرات ، والسابقين الى الخيرات ، والمشيدين للممالك ، والممهدين للمسالك ، وان سيرة مثل هذه الطبقة في الاسلام هي أحسن السير ، وبها يحسن المبتدأ ويعطر الخبر ، فليسمح لنا القراء بنشر شيء من سيرة الجواد الاصفهاني ، وزير صاحب الموصل اتابك زنكي بن آق سنقر . فهو الوزير أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور ، اتصل بخدمة اتابك زنكي في الموصل في الثلث الاول من القرن السادس للهجرة ، وبعد أن قتل الملك المذكور على قلعة جعبر استوزره سيف الدين غازي بن اتابك زنكي ، وفوض الامور وتدير أحوال الدولة اليه . قال ابن خلكان :

« فظهر حينئذ جود الوزير المذكور ، وانبسطت يده ، ولم يزل يعطي

ويبذل الاموال، ويباغ في الانفاق، حتى عرف بالجواد، وصار ذلك كالمعلم عليه حتى لا يقال إلا جمال الدين الجواد» إلى ان قال « وأثر آثاراً جميلة وأجرى الماء الى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد وعمل الدرج من أسفل الجبل الى اعلاه (١) ونى سور مدينة الرسول ﷺ وما كان خرب من مسجده، وكان يحمل في كل سنة الى مكة شرفها الله تعالى والمدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام من الاموال والكسوات للفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة، وكان له ديون مرتب باسم ارباب الرسوم والقصاد لا غير، ولقد تنوع في فعل الخير حتى جاء في زمنه بالموصل غلاء مفرط فواسى الناس حتى لم يبق شيئاً. وكان إقطاعه عشر مقل البلاد، على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية» إلى ان قال عن وفاته «توفي في العشر الاخير من شهر رمضان المعظم — وقيل من شعبان — سنة تسع وخمسين وخمسة و صلي عليه، وكان يوماً مشهوداً من ضجيج الضمفاء والارامل والايتام حول جنازته، ودفن بالموصل الى بعض سنة ستين فنقل الى مكة حرسها الله تعالى، وأطيف به حول الكعبة، وكان بعد أن صعدوا به ليلة الوقفة الى جبل عرفات، وكانوا يطوفون به كل يوم مراراً مدة مقامهم بمكة شرفها الله تعالى، وكان يوم دخوله مكة يوماً مشهوداً من اجتماع الخلق والبكاء عليه، وقيل انه لم يمهّد عندهم مثل ذلك اليوم، وكان معه شخص مرتب يذكر محاسنه ويعدد ماآثره» إلى ان قال :-

« ثم حمل الى مدينة الرسول ﷺ ودفن فيها بالبقيع بعد ان أدخل المدينة وطيف به حول حجرة الرسول ﷺ مراراً، وأنشد الشخص الذي كان مرتباً معه:

« ١ » يعني جبل عرفات الذي في وسطها المعروف بجبل الرحمة فانه مقسم الى درج بعضه فوق بعض كما يرى من وقوف الناس عليه طبقة فوق طبقة وهذا الجبل هو الذي كان يسمى إلا لا - بكسر الهمزة وحكى فتحها

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما      سرى جوده فوق الركاب ونائله  
يمر على الوادي فتثني رماله      عليه وبالماضي فتبكي أرامله  
انتهى كلام ابن خلكان (١)

وانظر الى مايقوله عن هذا الزير وماآثره — الرحالة ابن جبير الاندلسي  
وقد عاش في ذلك العهد وهو

« ولهذا البلدة المباركة (أي مكة) حمان (أحدهما) ينسب للفقير الميانشي  
أحد الاشياخ المحققين بالحرم المكرم (واشقي) وهو الاكبر ينسب لجمال الدين ،  
وكان هذا الرجل كصفته جمال الدين له رحمة الله بمكة والمدينة شرفها الله من  
الآثار الكريمة، والصنائع الحميدة، والمصانع المبنية في ذات الله المشيدة، ما لم يسبقه  
اليه أحد، فيما ساف من الزمان ولا أكبر الخلفاء، فضلا عن الوزراء، وكان رحمه  
الله وزير صاحب الموصل، تهادى على هذه المقاصد السنية المشتملة على المنافع العامة  
للمسلمين في حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ أكثر من خمس عشرة سنة لم يرل  
فيها باذلا أموالا لا تحصى في بناء رباع بمكة مسجلة في طرق الخير والبر، مؤبدة  
محبسة، واختطاط صهاريج الماء، ووضع جباب في الطريق يستقر فيها ماء المطر،  
الى تجديد آثار من البناء في الحرمين الكريمين. وكان من أشرف أفعاله أن جلب  
الماء الى عرفات وقاطع عليه بني شعبة سكان تلك النواحي الجلوب منها الماء بوظيفة  
من المال كبيرة، على أن لا يقطعوا الماء عن الحج. فلما توفي الرجل رحمة الله عليه  
عادوا الى عادتهم الذميمة من قطعه

(١) هذه الاعمال من نبش القبر والسفر بالجثة أو العظام وأعمال المناسك والزيارة  
والندب كلها محرمة في الاسلام. فهل أكرها العلماء ولم يسمع لهم كلام؟ أم  
اشتركوا مع الحكام والعوام؟ والعبرة في هذا أن بذل المال في المنافع البامة ولا  
سبا عمران الحرمين الشريفين وتسهيل الحج والزيارة فيهما له أكبر شأن في قلوب  
المسلمين ويكبرون من شأن صاحبه حيا وميتا ما برقونه على العلماء والخلفاء والسلاطين



« ومن مفاخره ومناقبه أيضا أنه جعل مدينة الرسول ﷺ تحت سورين عتيقين أنفق فيهما أموالا لا تحصى كثيرة . ومن أعجب ما وفقه الله تعالى إليه انه جدد أبواب الحرم كلها، وجدد باب الكعبة المقدسة وغشاه فضة مذهبة، وهو الذي فيها الآن حسبا تقدم وصفه ، وجلال العتبة المباركة بلوح ذهب ابريز، وقد تقدم ذكره أيضا، فأخذ الباب القديم وأمر بأن يصنع له منه تابوت يدفن فيه. فلما حانت وفاته أوصى بأن يوضع في ذلك التابوت المبارك ويحج به ميتا، فسيق الى عرفات ووقف به على بعد، وكشف عن التابوت فلما أفاض الناس أفيض به وقضيت له المناسك كلها وطيف به طواف الافاضة. وكان الرجل رحمه الله لم يحج في حياته

ثم حمل الى مدينة الرسول ﷺ وله فيها من الآثار الكريمة ما قدمنا ذكره، وكاد أشرفها يحملونه على رؤوسهم، وبنيت له روضة بازاء روضة المصطفى ﷺ وفتح فيها موضع يلاحظ الروضة المقدسة، وأبيح له ذلك على شدة الضئانة بمثله لسابق أفعاله الكريمة . ودفن في تلك الروضة وأسعده الله بالجوار الكريم، وخصه بالمواراة في تربة التقديس والتعظيم ، والله لا يضيع أجر المحسنين » اهـ

ثم يعود الى سيرته أيضا فيقول « ولهذا الجل رحمه الله من الآثار السنية، والمفاخر العلية التي لم يسبقه اليها أكبر الاجواد ، وسراة الابطحاد ، فباسلف من الزمان ما يفوت الاحصاء ، ويستغرق اثناء ، ويستصحب طول الايام على الألسنة بالدعاء ، وحسبك انه اتسع اعتناؤه باصلاح عامة طرق المسلمين بجهة الشرق من العراق الى الشام الى الحجاز حسبا نذكره . واستنبط المياه وبنى الجباب واختط المنازل في المغازات، وأمر بعمارتها مأوى لأبناء السبيل وكافة المسافرين. وابتنى بالمدن المتصلة من العراق الى الشام فنادق عينها لتزول الفقراء ابناء السبيل الذين يضعف أحدهم عن تأدية الاكرية، وأجرى على قومة تلك الفادق والمنازل

ما يقوم بمعيشتهم، وعين لهم ذلك في وجوه تأبدت لهم فبقيت تلك الرسوم الكريمة ثابتة على حالها الى الآن. فسارت بجميل ذكر هذا الرجل الرفاق، وملئت ثناء عليه الآفاق، وكان مدة حياته بالموصل - على ما أخبرنا به غير واحد من ثقات الحجاج التجار من شاهد ذلك - قد اتخذ دار كرامة واسعة الفناء، فسيحة الارحاء، يدعو اليها كل يوم الجفلى (الوليمة العامة) من الغرباء، فيعمهم شبعاً ورياً، ويرد الصادر والوارد من أبناء السبيل في ظله عيشاً هنياً، لم يزل على ذلك مدة حياته رحمه الله، فبقيت آثاره مخلدة، وأخباره بالسنة الذكر مجددة، وفضى حميداً سعيداً والذكر الجميل للسعداء حياة باقية، ومدة من العمر ثانية « اه

قلت : ولو لم تكن آثار هذا الرجل مخلدة، وأخباره بالسنة الذكر والشكر مجددة، لما جئنا نحن بعد سبعائة وثمانية وثمانين سنة نجددها، وننوه بها، ونجعلها مناراً للمهتدين، وقدوة للمقتدين، ولا شك أن التاريخ انما يشرف ويكرم بتراجم رجال كهؤلاء جعلوا أنفسهم مصداق الحديث الشريف «الخلق كلهم عيال الله فاحبهم إلى الله أنفعهم لعِيالِهِ» (١)

فتأمل في هذا الرجل وما أجره من الخيرات العامة، وما برد من حر، وما أغنى من فقر، وما آوى من قفر، وما أمن من خوف، وما قوى من ضعف. وتبصر فيما شاده من الفنادق في الطرقات، وما بناه من المنازل في الفلوات، وما حبس على هذه المؤسسات الخيرية من الاوقاف الدارة، الى غير ذلك من المآثر التي يتحلى بها تاريخ الاسلام، وتطيب بقراءتها الانفس، وترتفع الارؤس،

## العبرة بتعمير السلف وتخريب الخلف

وقابل هذا الصبر على الخير، وهذا الجلد في الانسانية، وهذا الثبات في الفعل الجميل بما تعرفه من غيره، ممن هم وباللأسف أكثر عدداً في ولاية الامور وأعز نفراً، وذلك في صرفهم أموال المسلمين الى جيوبهم، وإنفاقهم ريع اوقافهم وغلة رباهم على شهوات أنفسهم، وفي إعراضهم عن المصالح العامة الى المنافع الخاصة بل المنافع الخاصة

(١) رواه ابو يعلى والبخاري من حديث أنس والطبراني من حديث ابن مسعود

الخسيسة ، والمطامع الشخصية الدنيئة ، وهوهم بسفساف الأمور عن معاليها، وخيانتهم  
الامة في أماناتها التي حملوها بالاجرة، وراهم لاتهمز لهم أريحية الى مبرة، ولا تسمو لهم  
همة الى عمل شريف، ولا اذا تداعى جدار جددوا بناءه ، ولا اذا توعرت طريق  
أزالوا حرستها ، ولا اذا جفت عين أسالوا غيرها ، ولا اذا تشعثت قناة بادروا  
الى رمها . لا يهمهم حفظ الماضي على حاله فضلا عن أن يبدأوا ما أثر ، ويقترعوا مفاخره ،  
بل دأبهم في ولاية أمور المسلمين كما جاء في المثل العامي ( يا كاون الخضراء ويقطعون  
اليابسة ) وكأنما أوردتهم الله خراج المسلمين لينفقوه في السرف والسفه ، ولذات  
الكروش والفروج ، كأنما هو تراث آباؤهم وأجدادهم ، بل لو كان تراث آباؤهم وأجدادهم  
ما ساغ لهم ذلك فيه ، ولتمتعهم القضاة العادلون عن هذا السفه ، ولكن أين القضاة  
العادلون ، وأين العلماء العاملون ، الذين يقولون الحق في وجه الملوك ويخاطرون  
بأنفسهم ومصالحهم لاجل نصح الامة ؟ فوالله ما أفسد أمر الاسلام الا أمرائه  
— الا من رحم ربك — وما أفسد هؤلاء الامراء الا العلماء الذين أخذ عليهم  
المواثيق بأن لا يقاروا على معصية ، ولا يواطئوا على معرفة فكانوا يقارون على المعاصي  
ويتزلفون الى الامراء بالباطيل ، ويفتون لهم بتأويل النصوص الشرعية بغير  
معناها الحقيقي ، ويسهلون لهم الموبقات بأجمعها ، والمرديات بمذافيرها ، طمعا في  
الدنيا الفانية ، والمطاعم الوبيئة الذاهبة ، وهكذا تحول أمر هذه الامة من العظمة  
إلى الصغار ، ومن التمكن في الارض إلى البوار ، ومن المآثر والمباني إلى الدمار ،  
ومن أحاديث المعالي الى أقاصيص العار والشار

ولما كان يستحيل أن تسوء الادارة في الداخل بدون أن يستأسد العدو من  
الخارج ، لان الامم المتجاورة بعضها لبعض بالمرصاد، يهتبل الغرة ويقتحم العورة، لم  
يلبت ظلم الامراء بتساهل العلماء وما نشأ عن ذلك من اضطراب الدهماء ان أحدث  
الاثر المنتظر، أتى بالنتيجة البديهية من امتداد يد الغريب وطمعه في ممالك المسلمين  
واقطاعه العا الاسلامي قطاراً بعد قطر ، وضربه على المسلمين الذل والمسكنة ،  
بمد أن كانوا . . . في الارض وحلفاء النصر: وما أحسن قول شوقي في مخاطبة النبي ﷺ  
أقطعتمهم غرر البلاد فضيعوا وغدوا وهم في أرضهم غرباء

## الاسلام دين العمران ، من تبعه انحطاط

الذي عليه المسلمون الآن

وتاريخ سافهم المعمرين ، سحجة على خلفهم المخربين  
لم يخسر المسلمون بلدانهم فقط وما تسلط عليها الاجنبي وأخذ كل ما فيها  
أخذ عزيز مقتدر فحسب ، بل خسروا في نظر الناس حقاقتهم وفضائلهم ومعاليهم  
واحسابهم وآدابهم ، وصار الناس يمارون في مآثرهم السوابق ومعاليهم السوامق  
ويجادلون في صحة نظرياتهم الاجتماعية ، ويرونهم من ابعده الخلق عن العمران ، وينسبون  
ذلك الى الدين الاسلامي وإلى القرآن ، وإلى التوحيد وإلى عقيدة القضاء والقدر ،  
وإلى غير ذلك من الاسباب التي يعلمها من له ألفة بكتب الافرنج أو من يجالس  
الناشئة الحاضرة في الشرق ، وسدق هذه الاقاويل كثير من المسلمين أنفسهم واتخذوا  
تلك السفسطة قضية مسلمة ، ونبذوا الاسلام بتاتا ، وأوشك آخرون أن ينبذوه بحجة  
انه مصدر الانحطاط ، ونسوا انه ما من أمة على وجه الارض وقد سعدت وشقيت  
وعلت ونزات ، وتداولتها أدوار مختلفة وكانت دياتتها واحدة في دوري علوها  
وهبوطها وان الاسلام هو أجدر من غيره بان لا يكون مسؤولا عن انحطاط أحد  
وانه طالما نهض باهله الى الدرجات العلى عند ما كانوا يعملون بمقتضاه حق العمل .  
وإنما كان المسؤول عن هذا الانحطاط ، المسلمون لا الاسلام ، والقراء لا الكتاب ، والجملة  
لا المحمول ، والخزنة لا المخزون ، وهؤلاء هم الذين فقدوا الممالك وخسروا المجد  
القديم ، وجنوا هذه الجناية على الشريعة الاسلامية ، والمبادئ القرآنية والآداب  
العربية ، والثقافة الشرقية ، وجعلوا كل أولئك مسؤولا عن أمور لا مسؤول فيها غير  
الاشخاص في الحقيقة ، ولا مجرم غير الخلف الفاسد الذي اضاع الصلاة واتبع  
الشهوات ولقي الغي . وإنك لتجد كل كلمة من القرآن شاهدة عليهم وكل نص

من الشرع حاكما بسوء سيرتهم، ولو أنفقت ما في الأرض جميعاً لم تقدر أن تطبق أعمال هؤلاء الملوك والخلفاء والوزراء، والقضاة والعمداء من المسلمين الذين وصلوا بالأمة إلى ما وصلت إليه على آية واحدة من القرآن الكريم مفهومة حق الفهم، أو حديث مشهور لا يتطرق إلى أسناده الشك، بل خالفوا قواعد الاسلام من أولها إلى آخرها واتخذوا كتاب الله لمجرد الترتيل والتجويد ولم يعملوا بعشر معشار ما فيه من الاوامر والنواهي، ورجعوا يعاتبون الله على الخذلان الذي هم فيه والله قد اجابهم من قبل على اعتراضهم وقال لمثلهم: ( ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ) مثل هذه الاحوال من رجال الاسلام الموكول اليهم أمر الأمة قد أوسع للظمن أشداقاً وللنظر بالازدراء أحداقاً وصار الاوربيون يقولون لنا: أنتم لا تعرفون إلا التخريب وليس لكم حظ من العمران ولا من سداد الادارة، وما الادارة عندكم إلا فوضى وبينكم وبين النظام ما بين المشرق والمغرب، إلى غير هذا من المثالب . وكذلك أهال اكثرهم بالظمن على نفس الاسلام يقولون فيه : لو كان خيراً لكان أهله قد أثلوا مدنية ووقفوا إلى حضارة حقيقية والشجرة إنما تعرف من ثمارها؛ ولم ينفرد بهذا القول الضابط الافرنسي (سيكار) ولا اليسوعي (لامنس) بمن نشرنا كلامهم في مجلة النار مردوداً عليه بالبراهين الساطعة والحجج الدامغة التي اجبرت سيكار نفسه أن يعترف باهميتها . ولكن تشدق بهذا الكلام كثير من علماء الافرنج ومؤلفيهم، وزعموا أن الاسلام والمدنية هما على طرفي تقيض حتى قالوا ان المدنية التي يقال لها في التاريخ « المدنية الاسلامية » لم يكن منها شيء من عمل المسلمين ، وكابروا في هذه القضية المحسوس ، وانكروا بداته الامور ، وكل هذا من اجل انهم ادركوا أعمال هؤلاء الظلمة الخاسرين من أولياء أمور الاسلام ، وساحوا في بلا المسلمين فوجدوا الغربان تنعق في الاماكن التي كانت معمورة في القديم بملايين البشر، ووجدوا الآثار الجميلة الباقية من الماضي

أشبهه بواحات في وسط صحاري من القذارة والشناعة والعبث، ووجدوا الطرقات لا يكاد السالك يسلكها من الدعارة وفقد الأمانة، ووجدوا شوارع المدن لا يقدر السائر فيها أن يسير إلا محولا نظره ساداً أنفه من كثرة ما فيها من الاوصار والاصاخ، ووجدوا القنى مقطمة، والآبار معطلة، والقصور غير مشيدة والقنطر مهتمة مبشرة .

ونحن وجدنا هذه المرة في تسيارنا في جبال الحجاز فضلا عما نعرف من غيرها من بلداننا من آثار العمران الدراسة والسدود والدائرة، والقنوات المقورة في الصخور، المنقطعة عنها المياه الجارية، مالا يكاد يأخذه الاحصاء، ورأينا منها شيئا كثيراً ليس ترميمه بالأمر المعجز مع شدة ضرورته، وقضينا العجب من إهمال الولاة الغابرين اياه، وتهاونهم بعارة البلاد إلى هذا الحد، كأن البلاد بلاد أعدائهم (١)

فمن أجل ذلك فسحنا مكانا واسعا في كتابنا هذا لابن كرز وزبيدة العباسية والوزير الموصلى جمال الدين الجواد ومن في ضربهم من رجالات العمران وبناء المدينة ونمثلها لهم بقول المعري:

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم بعد المات جمال الكتب والسير  
وإذا كان قد جرى ذكرى المنازل في الغلوات فسنا تي على أخبار أخرى لطيفة من هذا الموضوع لا تضيق بها رسالة « الارتسامات اللطاف » بل تكون بالعكس وشياً لطرازها

(١) قد حبس المسلمون المتقدمون على الحرميين اشرفيين من الاوقاف الكثيرة في كل قطر ما يكفي لجبل الحجاز اعظم بلاد الله عمرانا، وقد اكل المسلمون اكثر تلك الاوقاف، ولا يزال المعروف منها يكفي لعمران الحجاز، واكن يحول دون وصوله حكاهم الظالمون، واعداؤهم الكافرون، الذين استولوا على اكثر بلاد المسلمين

## شغف بعض ملوك الاسلام بالعمارة

( مثال منه )

### آثار عبد الرحمن الناصر الاموي في الاندلس

أردنا أن نردف أخبار أبطال العمارة وصناديد البناء والتشييد ، و كفاة الشعب والري من مسلمي المشرق ، بأخبار بعض أقرانهم من مسلمي المغرب ، ليعلم الناس أن الاسلام أنجب ملوكا وسلاطين كانوا يحتفلون بالعمران ، ويعمرون القفار ، ويرتبون من أمور المدنية ما يرتبه الافرنج اليوم وما لم يكونوا يحسنون مثله في تلك القرون التي كان المسلمون فيها هم الاعلون في كل شيء .

فن هؤلاء في المغرب الخليفة عبد الرحمن الثالث المنقب بالناصر الاموي واست بمتعرض الآن إلى ذكر خلافته التي استمرت خمسين سنة ومغازيه في بلاد الافرنج ، وماثره الباهرة التي اتفقت عليها تواريخ الشرق والغرب ولكني أريد أن أذكر من علو همته في البنيان ما تحير به العقول

وذلك أنه بنى قصر الزهراء بقرطبة فكان طول هذا القصر من الشرق إلى الغرب ألفين وسبعمائة ذراع أي نحو كيلو مترين ، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ألفا وخمسمائة ذراع ، أي نحو كيلو متر ، وكان في الزهراء أربعة آلاف وثلثمائة سارية ، وكان فيها ما يزيد على خمسة عشر ألف باب . وكان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدم والفعلة عشرة آلاف رجل ، ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة ، وكان من الرجال من له الدرهم ونصف ومن له الدرهمان والثلثة . وكان يصرف كل يوم في الزهراء من الصخر المعدل المنحوت ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر غير المعدل . قالوا وكان الناصر يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم لقطعها وحملها ، وجاب

الناصر الرخام إلى الزهراء من كل البلاد فلا يبيض من « المرية » والمجزع من « رية » والوردي والاخضر من صفاقس وقرطاجنة بافريقية . وجلب اليها الحوض المنقوش المذهب من الشام ، وقيل من القسطنطينية ، وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان ، ولما جلبه أحمد الفيلسوف - وقيل غيره - أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ، ونصب عليه اثني عشر تمثالا .

قالوا وبنى في الزهراء القصر المسمى بقصر الخلافة ، وكان سمكه ( سقفه ) من الذهب والرخام الغليظ الصافي لونه ، وكانت حيطان هذا القصر مثل ذلك ، وجعلت في وسطه اليتيمة التي أنحف الناصر بها ( ليون ) ملك القسطنطينية ، وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة . وكان في وسط المجلس صهريج مملوء من الزئبق ، وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب ، وأصناف الجواهر قامت على سوارى من الرخام الملون والبلور الصافي ، وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار .

وكان الناصر اذا أراد أن يفزع أحداً من أهل مجلسه أو ما إلى أحد صقائبه فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كعنان البرق من النور ، ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من في المجلس أن المحل قد طار بهم . وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناء مثله لافي الاشلام ولا في غيره ، وانما تهيأ للناصر لكثرة الزئبق في ملكه .

وأجرى الناصر إلى الزهراء المياه وأحرق بها البساتين ، وبنى فيها مسجداً من أبداع المساجد ، وقيل إن العمل في الزهراء استمر أربعين سنة من ملك الناصر ، وقيل انه كان بقصر الزهراء من الوصفاء ثلاثة عشر ألفاً ، وكان الجاري لهم من اللحم فقط كل يوم عدا الطير والحوت ثلاثة عشر ألف رطل ، وكان في القصر



من الجواري والخوادم أكثر من ستة آلاف امرأة . وقيل ان المرتب من الخبز  
لحيتان الزهراء السابجة في بركها العظيمة ثلثا عتس ألف خبزة كل يوم ،  
قالوا وكان يرد من الجير والجص في كل ثالث من الايام إلى الزهراء ألف  
ومائة حمل . وقدر بعض أهل الخدمة في الزهراء أنه كان ينفق فيها كل عام ثلثمائة  
ألف دينار وان ذلك استمر خمساً وعشرين سنة إلى نهاية ملك عبد الرحمن الناصر .  
وذكروا أن الحوض المنقوش المذهب الذي جابه الفيلسوف أحمد مع ربيع الاسقف  
من القسطنطينية لم يكن وحده بل جلدوا اليه أيضاً حوضاً آخر يقال له الحوض  
الصغير أخضر منقوشاً بتماثيل الانسان ، وأن الناصر نصبه في بيت المنام بالمجلس  
الشرقي وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس العالي  
مما عمل بدار الصناعة ، قرطبة : صورة أسد إلى جانبه غزال إلى جانبه تمساح ، وفيما  
يقابله ثعبان وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطوس ودجاجة وديك وحادأة ونسر  
وكل ذلك من ذهب مرصع بالجواهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها  
قالوا وفي يوم الخميس لسبب بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة كمل  
الناصر بناء القناة الغربية الصنعة التي أجراها بالماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر  
الناعورة غربي قرطبة في الناهر الهندسة وعلى الحنايا المعقودة ، يجري ماؤها بتدبير  
عجيب ، وصنعة محكمة إلى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة بدم الصنعة ، لم  
يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر ، مطلي بذهب ابريز وعيناه جوهرتان  
لهما وبيص شديد يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الاسد فيمجه في تلك البركة من  
فية فيبهر الناظرين بروعة منظره وتجاچه صبه ، فتسقى من مجاحه جنان هذا  
القصر على سمعتها ، ويستفيض على ساحاته وجنباته . ويمد النهر الاعظم بما فضل منه .  
فالوا واستمر العمل في هذه القناة إلى أن انتهت أربعة عشر شهراً ، ولما  
انطلق فيها الماء إلى تلك البركة كان يوماً احتفل فيه الخليفة رحمه الله وعمل دعوة  
جفلى ، وأفضل على عامة الخلق ، ووصل المهندسين والقوام بصلات حسنة جزيلة

### عمران قرطبة العجيب في عهد الناصر

وكان عمران قرطبة في أيام الناصر عاما تاما، وليس من المعقول أن يتناهى هذا التناهي كله في اتقان البيان وتفخيمه في عاصمة لم يستبحر عمرانها ولم تزخر لجج لاجتماع فيها ، فقد رووا أن عدد دور قرطبة كان لعهد الناصر وابنه الحكم نحو ٢٠٠ ألف دار . وهذه دور الاهالي ، فأما دور الوزراء والعمال والكتاب والاجناد وخاصة الملك فكانت ستين ألف دار هذا عدا الحمامات والخانات والفنادق ، وقلوا انه كان فيها ثمانون ألف حانوت . وكان لقرطبة ٢٨ ربضاً وقيل ٢١ ربضاً كل واحدة منها بلدة فيها منبر تقام فيه الجمعة

وقيل إن الطارق من قرطبة إلى جميع هذه الارياض كانت تنار ليلا بالقناديل وهي مسافت من ١٠ الى ١٥ كيلو متراً . فأما مساجد قرطبة لذلك العهد فقد جادت فيها روايات مختلفة فقيل ثلاثة آلاف وثمانمائة . وقال ابن حيان : بلغت المساجد بقرطبة في مدة ابن أبي عامر ( بعد النصر بتمدة غير طويلة ) ألفاً وثمانمائة مسجد ، والحمامات تسعمائة حمام .

وأما مسجد قرطبة الأعظم فإن القلم ليعجز عن وصفه ، فمن شاء فليقرأ ذلك في نفع الطيب وغيره من تواريح الاندلس أو فليذهب إلى اسبانية ويشاهده فهو لا يزال أكثره قائماً وإن كان قد تحول إلى كنيسة ، وقد ذهب كثير من النفائس التي كانت تزينه . ولا أعلم هل أبقاه الاسبانيول على مساحته الاولى أم اختصروا منه فالذي في كتب العرب أن تكسيره كان نحو ٣٣ ألف ذراع وانه كان فيه ١٢٠٠ عمود و٩٣ عموداً كلها رخام . وقد كان لعهد الناصر وأهله باب مقصورة هذا الجامع من الذهب ، وقد أجرى الذهب في جدار المحراب وما يليه على الفسيفساء . وكانت الصومعة من بناء الناصر تعلو ثلاثاً وسبعين ذراعاً إلى

أعلى القبة المتفحة التي يستديرها المؤذن ، وفي رأس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ودور كل تفاحة ثلاثة أسيار ونصف ، فائنتان من التفافيح ذهب ابريز وواحدة فضة ، وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبداع صنعة ، ورمانة ذهب صغيرة على رأس زج .

وكان في الجامع مائتان وثمانون ثريا وثمانمائة وخمس كؤوس ، وكان يوقد فيه في شهر رمضان فقط ثلاثة قناطر من الشمع ، وكان له كل ليلة جمعة رطل عود وربع رطل عنبر ، وكان من فيه من الأئمة والمؤذنين والسدنة نحو ١٥٠ رجلا ، وروى بعضهم ٣٠٠ ويجوز أن يختلف العدد باختلاف الاوقات ،

وقالوا أن الحكم المستنصر بنى لهذا الجامع أربع ميضات منها ثنتان للرجال وثنان عند مقاصير النساء وأجرى في جميعها الماء من سفح جبل قرطبة وصبها في أحواض رخام ، وأجرى فضل هذا الماء العذب إلى سقايات آتخذهن على أبواب الجامع وهي جوب ثلاث من حياض الرخام اقتطعها من مقطع المنستير بسفح جبل قرطبة واحترق الرخاميون هناك أجوافها بمناقيرهم في المدة الطويلة حتى استوت في صورها البديعة ، فخفف ذلك من ثقلها وأمكن من اهباطها إلى أماكن نصبها با كناف المسجد الجامع ، فتهياً حمل الواحدة منها فوق عجلة كبيرة آتخذت من ضخام خشب البلوط على قنل موثمة بالحديد الثقف محفوفة بوثق الحبال ، قرن لجرها سبعون دابة ، ومهدت قدامها الطرق ، وتيسر نقلها في مدة ١٢ يوماً ، فنصبته في الاقباء المعقودة لها . وابتنى الحكم المستنصر غربي الجامع دار الصدقة وآخذها مهدياً لتفريق صدقاته المتوالية ، وابتنى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الكبير

وربما ينسب بعض القراء شيئاً من هذه الروايات إلى المبالغة ويجوز أن يكون فيها زيادة في الوصف لاجل نقل الحقيقة إلى ذهن السامع ، إلا أن كثيراً من هذه الآثار محفوظ إلى اليوم ، فجامع قرطبة لا يزال قائماً وإن كانت الزهراء والزاهرة

وغيرها قد درست . وقصر اشبيلية لا يزال قائماً ، وحمراء غرناطة لا تزال ماثلة ومباني العرب في طليطلة أكثرها لم يتهدم وكل من رأى الباقي من تلك الآثار لا ينسب مجمل تلك الروايات إلى المباغة

ثم ان ابن خلدون شيخ فلاسفة التاريخ برصانته وجلالة قدره وزيادة نعمه على المبالغين في الاخبار يقول :

« ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد القصور والمباني، وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن الاوسط وجده الحكم قد احتفلوا في ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الاتقان والضخامة ، وكان فيها المجلس الزاهر والبهور والكامل والمنيف، فبنى هو إلى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة ، وجلب الماء إلى قصورهم من الجبل ، واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر ، فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ في بناء المستنزهات فأخذ منية الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على أبعد مسافة

ثم احتط مدينة الزهراء (صدق ابن خلدون لان الزهراء في الحقيقة كانت مدينة لا قصرأ) وأخذها لنزله، وكرسياً للملكه، وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ماعفا على مبانيهم الاولى، وأخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء ، متباعدة السياج ومسارح للطيور مظلة بالشباك ، وأخذ فيها دورالصناعة لآلات السلاح للحرب والحلي للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل الخلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس « اه .

وأما الزهرة فقد بناها المنصور بن أبي عامر الشهير الذي يعد من أعظم رجال الاسلام جعلها على نهر قرطبة الاعظم واحتفل جداً ببنائها حتى صارت أشبه بمدينة أيضاً ومن أحلى ما قرأت من غرام عبد الرحمن الناصر الاموي بالمران والاتقان والفراهة، والرفاهة وامتثال أدوات الرفق على نسق العصر الحاضر ماجاء في

« الاستقصاء في أخبار المغرب الاقصى » ان أبا العيش احمد بن قاسم كنون من ملوك الادارسة بالمغرب كان قطع دعوة العبيديين خلفاء مصر وتونس وبايع الخليفة عبدالرحمن الناصر صاحب الانداس وخضع المغرب كله لابي العيش بنفوذ الناصر وقوته . ولما كان الخليفة في جهاد دائم مع الافرنج أراد ابو العيش أن يلحق بساحة القتال، واستأذن الخليفة في ذلك فأذن له وأمر بان يبني نه في كل منزل ينزله قصرا وذلك من الجزيرة الخضراء (بقرب جبل طارق) إلى الثغر (حدود بلاد الافرنج وكانوا يقولون لسرقسطة الثغر الاعلى) وأن يجري له فيها الف دينار في كل يوم ضيافة له، ومن الفرش والاثاث والطعام والشراب مايقوم بالقصر، فلم ينزل على ذلك حتى وصل إلى الثغر، فكانت منازلها من الجزيرة إلى الثغر ثلاثين منزلا اه

## مثال آخر

• من النظام عند المسلمين ، من خبر عبد المؤمن صاحب دولة الموحدين

ومن هذا النمط وأبلغ منه في ترتيب المنازل والمناهل ما عمله عبد المؤمن بن علي صاحب دولة الموحدين في المغرب . فقد كانت افريقية (بلاد تونس) في يد بني زيري ابن مناد الصنهاجيين ، عمالا للعبيديين خلفاء القاهرة، ولكن كانت دولة بني زيري قد أشرفت على الهرم وزاحتهم الثوار من العرب ، فانتهز الفرنج أصحاب صقلية هذه الفرصة فيهم وملكوا منهم عدة ثغور، مثل صفاقس وسوسة وغيرهما، ثم ملكوا المهديّة وهي دار ملك الحسن بن علي الصنهاجي، فذهب هذا إلى عبد المؤمن بن علي القائم بدولة الموحدين واستعداه على الافرنج، وبينما هذا يهجم بذلك إذ أوقع الافرنج باهل زويلة التي هي على مقربة من المهديّة، وكانت وقعة شنيعة قتلوا فيها النساء والاطفال وفر جماعة منهم إلى عبد المؤمن بن

علي يستنصرونه وهو بجرا كمش، وقلوا له لم يبق في ملوك الاسلام من يكشف هذا الكرب غيرك، فدمعت عيناه وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: ابشروا، لانصر نكم ولو بعد حين. ثم أمر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه المسكر في السفر، وكتب إلى من بطريقه من نوابه يأمرهم بحفظ جميع ما يتحصل من الغلات، وأن يترك الزرع في سنبله ويخزّن في مواضعه، وأن يحفروا الآبار في الطرق، ففعلوا جميع ما أمرهم به وجمعوا غلات الحب ثلاث سنين ونقلوها إلى المنازل التي على الطريق وطينوا عليها، فصارت كأنها تلال

فلما كان صفر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة سار عبد المؤمن من مرا كمش يؤم بلاد افريقية واجتمع عليه من العساكر مائة الف ومن السوقه والاتباع أمثالهم، وكان هذا الجند يمتد أميالاً، وبلغ من حفظه وضبطه انهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبله، وإذا نزلوا صلوا بامام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلف منهم أحد كأننا من كان. ولم يزل يسير إلى أن وصل إلى مدينة تونس وأقبل أسطوله في البحر في سبعين شينياً وطريدة وشلندا، ونازل البلدة وأخذها وسار إلى المهديّة واسطوله يحاذيه في البحر، وكان بالمهديّة يومئذ خواص الفرينج من أولاد ملوكها وأبطال فرسانها، وأخلوا مدينة زويلة ودخلها عبد المؤمن بعساكره والسوقه الذين معهم فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة، ونزل بظاهرها من لم يجد موضعاً فيها. وانضاف إلى جيش عبد المؤمن من صنهاجة والعرب مالا يدخل تحت احصاء، وأقبلوا يقاتلون المهديّة فلا يؤثر فيها احصانتها وضيق مجال القتال عليها لان البحر دائر باكثرها، فكأها كف في البحر وزندها متصل بالبر. وركب عبد المؤمن شينياً ومعه الحسن بن علي الصنهاجي وتطوف بها في البحر فهاله ما رأى من حصانتها، وعلم انها لا تفتح بقتال برّاً ولا بحراً وليس لها إلا المطاولة، وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن؟ فقال له: لقلّة من

يوثق به وعدم القوت وحكم اقدر، فقال صدقت وعاد وأمر بجمع الغلات والاقوات وترك القتل فلم يرض غير القليل حتى صار في المعسكر مثل الجبلين من الحنطة والشعير . فكان من يصل إلى المعسكر من بعيد يقول : متى حدثت هذه الجبال؟ فيقال هي حنطة وشعير فيقضي العجب مما يرى ، وتمادى الحصار وفي أثناءه استولى عبد المؤمن على طرابلس وصفاقسر، وسوسة وجمال نفوسة وفتح قابس بالسيف، وأطاعه أهل قفصة، وإذا بأسطول صقلية آت مدداً للأفرينج في المهديّة وكان عدده ١٥٠ شينيا غير الطرائد ، وكان هذا الاسطول غزا جزيرة يابسة ( بقرب ماجورقة من جزر اسبانية ) وسبى أهلها، فأراد الدخول إلى ميناء المهديّة فرج إليهم أسطول عبد المؤمن، وركب المعسكر جميعه إلى جانب البحر، فانهزمت شواني الأفرينج وتبعهم المسلمون وأخذوا منهم سبع شواني، وعاد أسطول المسلمين مظفراً منصوراً ، ويئس افرينج المهديّة من النجاة ومع ذلك فقد صبروا على الحصار أربعة أشهر أخرى إلى أن نزل من نرساتهم عشرة وسألوا عبد المؤمن الامان على أن يخرجوا باموالهم وكان قد فنى عندهم اقوت حتى أكلوا الخيل فعرض عبد المؤمن عليهم الاسلام فقالوا : ما جئنا بهذا وإنما جئنا نصاب فضلك ، وترددوا إليه أياماً وقالوا إذا أنعمت علينا كئنا لك أرقاء في أرضنا ، فعمنا عنهم، وكان الفضل تيمته وأعطاهم سفنًا ركبوا فيها إلى بلادهم ، وكان الفصل شتاء فغرق أكثرهم قبل الوصول إلى صقلية وكان صاحب صقلية قد قال ، ان قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين عندنا بجزيرة صقلية وأخذنا حرمهم وأموالهم ، فأهلك الله الأفرينج غرقاً ، وكانت مدة استيلائهم على المهديّة اثنتي عشر سنة ، انتهى كلام صاحب الاستقصا ملخصاً

وذكر ياقوت في معجم البلدان المهديّة ووصف حصانتها بأكثر مما وصف صاحب الاستقصاء وقال: أنها من بناء المهدي العبيدي الفاطمي وان روجار صاحب

صقلية أنفذ اليها جرجي سنة ٥٤٣ هـ واستولى عليها وبقيت في يد الافرنج اثنتي عشرة سنة حتى قدم عبد المؤمن سنة ٥٥٥ هـ فأخذها ولم تكن حصانتها في جنب قضاء الله شيئاً انتهى

فاما قول صاحب صقلية انه لو قتل عبد المؤمن افرنج المهدي لقتل هو مساهي صقلية فقد كان يصدر مثل هذا الفعل من الافرنج ... فاما المسلمون فكانوا يأنفون من ذلك ، وصالح معاوية بن أبي سفيان الروم وارثهم منهم رهنا فوضعهم ببيعابك ثم غدر الروم وقتلوا المسلمين فلم يشأ معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهائن الروم وخلصوا سبيلهم ، وقالوا : وفاء بغدر ، خير من غدر بغدر ، وهو قول العلماء والامام الاوزاعي رضي الله عنه . وهو من قوله تعالى ( ولا تزر وازرة وزر أخرى )

وقد كان شاهد هذا الحديث هو صنيع عبد المؤمن بن علي السلطان الكبير الذي قيل فيه :

ماهر عطفه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي  
فقد ساق مائة الف مقاتل ومعها مائة اف من سوقة واتباع من سرا كش  
إلى تونس بدون أن تتأذى بهم سنبلة قمح ، ولما أراد حصار المهدي جعل الحبوب  
جبالا . فمثل هذا بين الملوك يقدر له النجاح ، ويصحب دولته الفلاح  
ولعبد المؤمن بن علي آثار كثيرة منها بمرآ كش بستان المسرة طوله ثلاثة  
أميال وعرضه قريب منها ، ورووا انه كان مبيع زيتون هذا البستان وفواكه ثلاثين  
الف دينار مؤمنة على رخص الفاكهة بمرآ كش  
وقد درس هذا البستان كما درس غيره حتى جدده المنصور السعدي بعد  
ذلك بأربعائة وخمسين سنة



## مَثَلُ آخِر

### عمره من العمرانه

#### من سيرة المنصور السعدي فاتح تنبكتو والنيجر والسودان

كان المنصور السعدي صاحب المغرب وفاتح تنبكتو والسودان وبلاد النيجر من أشهر الملوك الذين عمروا وثمروا في الاسلام . ولو لم يكن كذلك ما تمكن من ارسال تلك الجيوش الجرارة إلى تلك البلاد القاصية العاصية ، ومن تدوينها و اضافتها إلى مراكش حيث بقيت مدة طويلة تابعة للمغرب . فم له ما يفتخر الافرنج اليوم بمثله مع تقدم وسائل النقل وترقي جميع أسباب العمران أضعا فاما كانت منذ ثلاثة قرون ونصف . وكانت جيوش المنصور السعدي لا تحصى ، وكان به في ترتيب جيوشه وحالات أسفاره من فون النظام ما يدهش العقول ، وقد نلم بذلك في فرصة أخرى

والمنصور السعدي هو باني قصر البديع في حاضرة مراكش مكت يبني فيه ست عشرة سنة ، لم يتخلل ذلك أدنى فورة ، وحشد المنصور له الصناع حتى من بلاد الافرنجة ، وجلب له الرخام من بلاد الروم ، وكان المنصور قد اتخذ معاصر السكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما ، فكان عنده سكر كثير ، فكان حسبما قالوا - ربما اشترى الرخام بالسكر وزنا بوزن

وكان المنصور السعدي الملقب بالذهبي يحتفل بالعمران إلى الغاية المقصوى ، ويحسن إلى الاجراء ويجزل صلة العارفين بالبناء ، ويوسع عليهم في العطاء ، ويقوم بمؤن أولادهم حتى لا تشوف اليهم نفوسهم ، ولا تتشعب أفكارهم ، واما قصره «البديع»

قلا أجد هنا فسحة لوصف محاسنه الباهرة، فن أراده فليقرأ ذلك في الاستقصا  
او غيره من تواريخ المغرب

وأتذكر أني قرأت لجيروم وجان نارو من أشهر كتاب الفرنسيين كتابين.  
في وصف بلاد مراکش ومن جملة ما ذكرنا بافتتان لا يوصف قبة مدافن الملوك  
السعديين، وقد قالوا ان فيها من بديع الصنعة ما لا يخاطر على بال أحد، وان من  
لم يشاهد هذه القبة وما هناك من المباني «لا يعرف إلى أية درجة تناهت المدنية الاسلامية»

## مشال آخر

### سيرة مولاي اسماعيل

(سلطان المغرب في اواخر القرن الحادي عشر الى منتصف القرن الثاني عشر)  
ومن أعظم ذوي الآثار بين ملوك المغرب بل بين ملوك الاسلام بل بين  
ملوك العالم بأسره السلطان المولى اسماعيل جد العائلة الشريفة المالكة الى اليوم  
في المغرب . وكان ملكه بعد الثمانين وألف للهجرة ، وهو الذي قلع الاسبانيول  
والبرتغال من سواحل المغرب ، وقلع الانكليز من طنجة ، وألف الجيش الدائم  
المسمى بالبخاري ، وكان مركبا من مائة ألف من العبيد السود . واستمر حكمه  
أربعا وستين سنة منها سبع سنوات بالنيابة عن أخيه المولى الرشيد وسبع وخمسون  
سنة بالاصالة ، حتى كان جهلة الاعراب يعتقدون انه لا يموت وكان الذين يستبطنون  
موته يلقبونه ( بالحي الدائم ) فهو والمستنصر العبيدي الفاطمي ولويس الرابع  
عشر وفرانسو جوزيف من قبيل واحد في طول مدة الحكم . وكان المغرب في طول  
مدة حكمه يتمتع بالأمن الشامل

قال صاحب الاستقصا « لم يبق لأهل الدعارة والفساد محل يأوون اليه

ويعتصمون به ، ولم تقلهم أرض ولا أظلمهم سماء سائر أيامه »  
وعندي كتاب تاريخ للسلطان المولى اسماعيل بالافرنسية نقلت عنه بعض  
جمل مرة في إحدى مقالاتي إلى ( الشورى ) وكان المولى اسماعيل مغرماً أيضاً  
بالبناء ، متذكراً قول القائل :

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان  
ان البناء إذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن

وكان يحب مكناسة الزيتون لعذوبة مائها ، وطيب هوائها ، وسلامة مخزنها  
من العفونة . فلما فرغ من أمر فس جاء الى مكناسة واشترى دور الاهالي ،  
وأمرهم بالبناء في غربيها ، وأدار عليها السور وانفرد بالجانب الشرقي من المدينة ،  
وجعله كله براحا ، وشرع يبني فيه ، واستجد الصناعات من جميع البلدان ، وفرض  
على القبائل عدداً معلوماً من الرجال والبهايم يبعثون به كل شهر . وفرض على المدن  
والحواضر عدداً معلوماً من البنائين والنجارين والحدادين والنحاسين — إلى  
غير ذلك ، وكانت حاضرة ملكه لا تخلو من عشرين ألف أسير من الافرنج  
فكان يشغلهم أيضاً في مبانيه

وكان كلما انتهى من قصر بني غيره وكانت الجنان تحيط بقصوره كلها ،  
وبني مسجداً عظيماً جداً في داخل القصبه التي أسسها ، فضاقت هذا المسجد بالناس  
فما بعد ، فبنى مسجداً أعظم منه اسمه ( الجامع الاخضر ) وجعل له بايين : باباً  
إلى القصبه وباباً إلى المدينة . وجعل للقصبه ٢٠ باباً كلها في غاية الارتفاع والسعة  
مقبوة من أعلاها ، وفوق كل باب منها برج عظيم ، عليه من المدافع النحاسية العظيمة  
ما يقضي بالمعجب ، وجعل في هذه القصبه بركة عظيمة تسير فيها الفلك والزوارق  
للترهه والانبساط . وجعل في القصبه هرباً عظيماً جداً لا خزان الحبوب يقال انه  
كان يسع حاصلات أهل المغرب ، وجعل بجواره سواقي للماء في غاية العمق مقبواً

عليها وبنى أعلاها برجاً عظيماً مستدير الشكل فيه مدافع موجهة إلى كل جهة  
وأما الاصطبل فلا أظن أنه وجد اصطبل مثله في العالم لان طوله فرسخ  
وعرضه فرسخ (الفرسخ نحو كيلو مترين) مسقف على أساطين وأقواس عظيمة  
في كل قوس مربوط فرس، وبين الفرس والفرس عشرون شهراً . كان يربط بهذا  
الاصطبل ١٢ ألف فرس مع كل فرس سائس من المغاربة وخادم من اسرى الافرنج  
(سقى الله تلك الايام) وفي هذا الاصطبل ساقية للماء مقبوة الظهر يأتي منها الماء  
إلى كل مربوط فرس بثقب خاص ، وفي وسط الاصطبل قباب معدة لوضع سروج  
الخيال ، وفيه هري متناه في العظمة مربع الشكل معقود أعلاه على أساطين وأقواس  
هائلة لوضع أسلحة الفرسان وينفذ اليه الضوء من شبابيك من حديد من جهاته  
الاربعة . وفوق هذا الهري قصر اسمه المصور ارتفاعه مائة ذراع وفيه ٢٠ قبة  
في كل قبة طاق عليه شباك من حديد يشرف منه أهل القبة على بسيط مكناسة  
الزيتون ، ويجاور هذا الاصطبل بستان على قدر طوله ، فيه من شجر الزيتون  
وجميع الفواكه ما يدهش ، ويتخلل هذه القصور التي في داخل القصبية شوارع  
مستظيلة متسعة ، وأبواب عظيمة فاصلة بين كل ناحية وغيرها ، وساحات ورحاب  
فسيحة ، إلى غير ذلك مما يتعذر استقصاؤه

قال صاحب (البستان) «ولم تزل تلك البناءات على طول الدهر قائمة كالجبال ،  
لم تخلقها عواصف الرياح ولا كثرة الامطار والثلوج ، ولا آفات الزلازل التي  
تخرب المباني العظام ، والهياكل الجسام» قال : «ومن يوم مات المولى اسماعيل  
والملوك من بنيهِ وحفدته يخربون تلك القصور على قدر وسعهم ، وبحسب طاقتهم ،  
ويبنون بأبقاضها من خشب وزليج ورخام ولبن وقرميد ومعدن وغير ذلك إلى  
وقتنا هذا ، وبنيت من أبقاضها مساجد ومدارس ورباطات بكل بلد من  
بلدان المغرب ، وما أتوا على نصفها من مائة سنة ، وأما الجدارات فلا تزال ماثلة  
كالجبال الشوامخ» الخ

قلت وقد مضى على ذلك من عهد هذا الكاتب نحو من مائة وستين سنة ولا تزال آثار اسماعيل في مكناسة الزيتون تحير العقول، وكان يمكن ان تبقى القرون وبعدها القرون، لو لم تعمل فيها الماعول والفؤس . فأما ان اولاد الساطان المذكور وحفدته كانوا يهدمون منها ويبنون بأنقاضها فهذا لعمري شأن جميع ملوك الاسلام وأمرائه وأتباعه تقريبا ، فكأننا في هذا المعنى من اولاد وحفدة المولى اسماعيل لا نعرف سوى هدم ما بناه لنا أسلافنا من مادي ومعنوي على السواء وان بنينا شيئا فثمانبني بأنقاض الابنية العتيقة . نحن هكذا في المشرق والمغرب لانه لا يوجد أمة يشبه بعضها بعضا مثل المسلمين

وبرغم كل ما هدمناه وعفيناه من الآثار لا يزال شيء كثير أفلت من تحت معاوانا الهادمة ونجا من بين أيدينا الطولى في التدمير . ولا تزال الافرنج تصور من هذه الآثار وتتحف بها العالم المتمدين

وبين يدي مجاميع عدة من الصور الفوتوغرافية منها ما يشتمل على اثارنا الاسلامية في المشرق ومنها مجموعة خاصة بفلسطين ، ومنها مجموعة خاصة بالاقطار المغربية ، ومنها ما هو خاص بالاندلس . وتضمن المجموعة من هذه جنهيات وثلاثة وأربعة جنهيات تسمح النفس بها لتزيين قاعة الاستقبال بمثلها، لانها أولى بقاعات الاستقبال منها مخزائن الكتب

وأما من جهة الكتب الخاصة بموضوع الفن المعماري الاسلامي فعدا ما كتب في هذا الباب في أوربة وما برز فيه الدكتور الفيلسوف غستاف لوبون ظهر كتاب حديث للمسيو غروسه المتخصص في تواريخ الامم الاسيوية اسمه ( مدنات الشرق ) والمؤلف افرنسي اسمه Kené Groasset سبقت له مؤلفات عن الشرق الاقصى : اليابان والصين ثم عن الهند — معدودة في الطبقة العليا من التحقيق والصحة ، وفي هذه الايام الاخيرة أخرج كتابا عظيما ظهر منه الجزء الاول يبحث عن مدنات آسية من أقرب وقت من العصر الحجري ثم المدينة المصرية

ثم المءءة الكلاءنة الاشورفة ثم المءءة الفارسفة القءءة ثم المءءة العربفة ثم المءءة الفارسفة في الاسلام . وكل هءا بالرسم والصور

ولا بء من أن نءل في البءء نصفا هءا الكءاب لانه رقم ففة رافة بفضاء للعرب وفسء لهم مكانا فسفا عافا من تألفه ففءاً الءءرم فف آفن الشعوبفة المءءفن الءفن منهم نفر بمصر فءولون ان فءمءوا من فضل العرب وان فءضوا من قءر حضارفهم وأن فنءءوا صءرة مءءم فءرون عءاء فس أمامها الا الوهف هءا — وقء فقول بءضهم : إلا ان مءروبه وءقوله انما كان فف أعصر ماضفة ءالفة ، واليوم قء ءءول هءا كله وءصل الرافءو والكهرباء والبءار وأنف لنا أن نبارف الا فرنج وقء ءصرفوا بالطفارات والءباباء ووصلوا الءنفا بءضها بءض بالاسلكف والباءرة والسفارة الكهربافة وءفر ءلك

فان كان باقفا من فنءق بهذا السءف من الشرقففن قلنا له : انك لفف ضلال مبفن ، فان الرقف الاوربف لم فكن مباءة البءار وءموءات الهواء وانما كان مباءة النهوض والاراءة ، ومنهما وصل بهم اءءهافهم فف البءء والءنقفب الى اسءءءام قوفا البءار وقوفا الزفء والاسءءافاة من ءموء الهواء . فأصل الرقف هو اراءة الرقف ومءءاء الصعود ءاضرة لمن شاء الصعود ، ولا فنبغف المرء أن فكون عالما بالفن ءءف فنشره وفعمل الناس ، فله ، فمءءم على كان أمفا ءقربفا وقء كان رءلا عظفما وأسس مءءفة مصر الءءفة

وابن سعود «البءوف» على رأف أعدائه الءفن فقصءون ءمزه بهذه الكءمة لم ءمنعه بءاوفه عن اسءعمال السفارات الكهربافة والمواصلاء اللاسلكفة وءفرهما من أسباب المءءفة العسرففة ، وقء وفق لءلك فف وءق قسفر وقء بءأ به الانقلاب الماءف المءءف فف ءزفرة العرب ، ولو كان لمملكة ابن سعود ءءل الءءومة المصرفة أف ٤٢ مليون ءنفة فف السنة لأءرف من المشروءاء العمرانفة فف الءءاز ونءء ما لا فءظر على قلب بشر

ونعود الآن الى الءءاز ونء كر ما كان ففة وما ابءءأ أن فكون ففة وما نرفو

ان فكون ففة فف المسءمل

# خبر المطوفين في مكة المكرمة والمزورين في المدينة المنورة

نعود الى الموضوع المتعلق بالحجاز خاصة ونطوف على مقام مقام منه فنبدأ بالمطوفين والمزورين فنقول :

ان المطوف يكون لازماً ومتعدياً ، فاللازم هو بمعنى الطائف لان العرب تقول : طاف بالمكان وطوف به . فالمطوف قد يتضمن معنى الطائف وقد يصدق على الحاج نفسه لانه يطوف ( بالتشديد ) بالبيت العتيق ، وقد يكون متعدياً وهو من طوفه مثل أطافه ، فالمطوف هو الذي يطوف بالحاج حول البيت وفي المقامات المباركة . ومن الغريب اني لم أجد « المطوف » في كتب اللغة ولكن القياس يقتضيه فهو اسم فاعل من طوفه او اسم فاعل من طوف به .

وأما « المزور » فهو في اللغة من يكرم الزائر ، يقال : زرتهم فزوروني ، أي أكرموني وأحسنوا إلي . ولا شك ان هذه اللفظة تشمر عند سماعها شيئاً من الكراهية لاشتراكها في معنى آخر ، وهو الآتي من الزور ، ولكن اللغة واسعة ، ولم من لفظ يدل على معاني كثيرة وليس هذا منحصراً في العربية بل هو في كل اللغات .

ولفظ « المزور » بمعنى الذي يقوم بخدمة الزائر لم يوجد مع الأسف سواها لهذا المعنى فلا بد من قبولها على علاقتها ، ويجوز أن تقول « المزير » بضم أوله وهو اسم فاعل من ازاره ، ولكن العامي يستثقل لفظ « مزير » وأن يقول : جاء المزيرون ورأيت المزيرين ومررت بالمزيرين ، فهو يفضل أن يقول : جاء المزورون ورأيت المزورين الخ وعدا هذا الاستثقال في اللفظ لا تتضمن لفظ « مزير » ماتتضمنه لفظ « مزور » لأن المزير اسم فاعل من ازاره أي جعله يزور ، وأما

المزور فهو الذي يخدم الزائر ويكرمه ، وهو أقرب الى المعنى المراد برغم قبح اشتراكه في معنى آخر

وبالاختصار نقول : ان في الحجاز الشريف حماه الله طائفتين لا بد لقاصد الحجاز أن يكون له علاقة معهما ولا يكاد يستغنى أحد عنهما ، وهما المطوفون بمكة والمزورون بالمدينة

فالحاج يأتي غريباً لا يعرف أحداً والغريب أعمى ولو كان بصيراً ، فلا بد له من دليل يده ويسمى بين يديه ويقضى حوائجه ويرتب له قضية سفره ومبيته ويعلمه مناسك الحج التي أكثر الحجاج يجهلون ، وإن كان منهم من يعلمها جملة فليس يعلمها تفصيلاً . وإن كان منهم من يعلمها جملة وتفصيلاً فهو النادر الذي لا يبني عليه حكم . وزد على هذا ان الحجاج ليسوا جميعاً من ابناء العرب فيمكنهم أن يسألوا عن الطرق والمنازل والمناسك والمناهل ويزيلوا عمى الغربة بطول السؤال لا يمكن تفاهمهم مع الحجازيين ، بل حجاج العرب لا يزيدون على خمس حجاج المسلمين والاشخاص الاربعة الباقية هي من أم تجهل اللسان العربي، فكيف يصنع حجاج هذه الامم إذا لم يكن المطوفون ؟ وكيف تصنع المزدارة ( زوار المدينة المنورة ) إذا لم يكن المزورون ؟

واني لا أعلم ان كثيراً من الناس يطعنون في المطوفين والمزورين بل يبالبغون في ذمهم أو في ذم العدد الكثير منهم، ويقولون انهم ينهبون الحاج ويجورون عليهم ويتقاضونهم من الأجرة أضما ف حقوقهم ، وقد يخذعونهم ويفشونهم ويرتكبون في أمورهم كل محرم . ولقد كنت أسمع هذه القصص قبل أن حججت وقبل أن عرفت مكة والمطوفين ، وقبل أن زرت المدينة وعرفت المزورين . والمثل السائر عندنا يقول : الله يساعد من يتكلم فيه الناس بالمليح فكيف بالقبيح ؟ فالمطوفون والمزورون ولا سيما الفريق الاول منهم قد وقعوا في السنة الناس من



قديم الزمان، ويجوز أن يكون بمضهم غير بريء بالمرّة من هذه التهم أو من بعضها، ويجوز أن تكون حصلت وقائع في وقت من الاوقات . وغير معقول ان طائفة كهذه تعد بالئات وتتجاوز الئات تكون بأجمعها من الفرقة الناجية، ومن ذوي الاخلاق الفاضلة، وانه لايجوز أن يصدر عنها عمل سيء ولا تلوث بطاعة أو خديعة ، فالذين يطلبون الكمال عند المطوفين والمزورين ينسون انهم بشر، وينسون انهم مرتزقون، وينسون ان أكثرهم عوام، وينسون ان رزقهم انما هو على حجاج البيت الحرام . ولو دقق الانسان النظر في المطاعن التي توجه على هؤلاء لوجد ان أكثرها مبني على كون المطوف أو المزور يتقاضى الحاج حقه أو يضم في أن يأخذ منه بدلا من الجنيه الواحد جنيتها ونصفا مثلا . والحجاج أغنياءهم عدد قليل لأن الغني في أكثر الاحيان يميل الى الرفه والترف، وهذان لا ينتظمان مع الحج ومشاقه ولا سيما اذا كان الفصل صيفا، وأكثر فصول الحجاز صيف ، والقسم الاعظم من الحجاج هم من طبقة المساكين الذين ليسوا من ذوي الفضلة، والذين لا يقدرّون أن يعيشوا إلا بدرجة مالية متوازن واردها مع نافعها والنفقات غير الملحوظة فيها زهيدة جداً ، فهؤلاء لا يقدرّون أن ينفقوا كما تآؤا وهؤلاء أكثرهم يبتى سنين من حياته وهو يوفر شيئا من رزقه ويقطع عن نفسه حتى يجتمع في يده خمسون جنيتها يدخرها للحج فهو يحسب مصروفه منها بالقرش الواحد . وبديهي ان مثل هذا المستور لا يمكنه أن ينفق نعا على المطوف أو المزور وان حالة هذا أتبه بمثل قد سمعته من عامي ظريف في أيام الدولة العثمانية : مثل طاقم العسكري لا ينشق من محل إلا ظهر جلده

ومما يؤسف ان ثلاثين في المائة من الحجاج - وربما أزيد - فقراء معدمون لا يستطيعون في الحقيقة الى البيت سبيلا وايدت عليهم فريضة حج ، ولكنهم يحملون أنفسهم إصرأ لا قبل لهم به ، فيعيشون من أكياس رفاقهم ومن أكياس

أهل الحجاز وقد يصيرون عائلة على المطوفين أنفسهم  
 فإذا صح من هذه القالة بحق المطوفين قيراط أو قيراطان فالاثنان والعشرون  
 قيراطا الباقية أقويل تزريف على المطوفين وتزوير على المزورين  
 المطوف يسكاد يكون كالجمال في الحح لا يستطاع الحح بدونه . يأتي الى  
 السفينة بمجرد أن تلقى أنجرها في بحر جدة فيأخذ حاحه بيده ويضع له حوائجه  
 في الزورق ، ويأتي به الى الميناء ويخرجه الى البر ، ويخلص له معاملة تذكرة المرور  
 ومعاملة المكس ، وايستا بالنبي الهين نظراً للزحام ولما يجب على إدارة التذاكر  
 وإدارة الجمرك من التدقيق . ثم إذا أراد الحاج أن يستريح في جدة بيته المطوف  
 فيها وأركبه ثاني يوم جملا في شقدف وسار به وبغيره من أمثاله وقد حمل لهم  
 زادهم وماءهم وكل شيء يلزم لهم وأوصلهم الى مكة وافرين آمنين . وأنزلهم في  
 منزله مكرمين ، وقبل أن صارت الأمنة ماهي عليه الآن بحول الله ثم بابن سعود  
 (إخواننا النجديون لا يجيزون في مقام كذا الا استعمال ثم وينكرون استعمال الواو (١)  
 فنحن لا نقول لهم إلا « ثم » ) كان المطوف يشاطر الحاج أخطار الطريق  
 وبمجرد وصول الحاج إلى البلد الحرام يأخذ المطوف بيده إلى الحرم فيطوف  
 به سبعمائة حول البيت العتيق ثم يسعى به سبعمائة بين الصفا والمروة يهرول فيه بين  
 الميادين الاخضرين وفاقا للسنة . ويعلمه جميع أصول الحح ويلقنه جميع الكلمات  
 والالفاظ التي ينبغي أن تقال في ذلك المطاف الكريم ، ويتلو أمامه الادعية التي  
 ينهل بها عند مقام ابراهيم ، وبين زمزم والحطيم  
 ولما كان أربعة اخماس الحاج هم من الهندوا اجاوي والترك والارناؤط والبشناق

( ١ ) هذا الأدب مأثور والمراد منه الفرق في المرتبة بين ما يسند الى الرب  
 وما يسند الى عباده ، وهو ما يدل عليه العطف بهم من التراخي ، واما العطف بالواو  
 فهو مجرد الجمع فكان ما يسند الى الرب وما يسند الى العبد في مرتبة واحدة

والطاغسان والفرس والصين والزنج كان على المطوف في تلقين هؤلاء من أصناف الامم الاعجمية صنوف الادعية والابتهالات والجمال العربية الفصيحة التي تتشقق حلوقهم بقافاتها وحآتها، وتتلبك السنتم بضاداتها وثآنها، ما لا يقل عن تعب المعلمين للصبيان، وملا ينبغي أن يستخف بشأنه ولا يستهان، ولم مرة يضطر أن يعيد له الكلمة أو الجملة وهو يقولها بعكسها، ويأفظها بنكسها، ويقلبها عن معناها، ويجعلها عن المراد أبعد من الارض عن سماها، وربما اعادها له المطوف ثلاثين مرة وهو لا يقيمها ولا يفتأ يغلط فيها (١)

ولولا ان الاعمال بالنيات لكان كثير من ادعية هؤلاء غير مقبول ولكن الله سمع الدعاء، ناظر إلى الضمائر عالم بالمقاصد، لا يحمل اصراً على الضعيف، وليس بصحيح قول بعضهم ان الدعاء يجب ان يكون معرباً ليكون عند الله مقبولاً. اذاً لكان سيء بويه أمصح الناس دعاء

ولا يجب أن يظن ان المطوف ينحصر تلقينه هذه الادعية وهذه الجمل بالهندي والسندي والجاوي والتركي الخ، بل هو مضطر ان يلقتها أكثر الحجاج حتى من العرب لاسيما العوام والنساء والاحداث. ولا فرق بينهم وبين الحجاج الاعاجم إلا في كون العربي يعيد الكلمة من أول مرة على وجهها ولا ينديق المطوف عرق القرية في تعاليمه اياها كما هو شأن الاعجمي

وقد صارت المطوفين وطوافيهم عادة انهم بمجرد ما يرون طائفاً يتطوف

«١» اكثر هذه الادعية والاذكار التي يلقونها للحجاج غير واجب ولا مسنون، والذي ينبغي لهم هو ان يعلموا الحاج الاذكار الماثورة كالتلبية وبعض الادعية وهي قلبية وأن يدعوا الله فيما عداها بقلته، سائلاً اياه ما يشعر بحاجته اليه من خير دنياه وآخرته وقد اقترحت على الملك أن يأمر بتعليم المرشحين لهذه المهنة تعلمها خاصاً بحيث يكونون من المتفهمين في الدين وقادرين على اتقان خدمتهم للحجاج من كل وجه ولا بد أن يفعل ان شاء الله تعالى

بالبيت العتيق جاءوا الى جانبه وجعلوا يلقنونه ما يحسن أن يقوله حتى لو كان الامام  
الغزالي ، أو السيد محمدرشيد رضا من أئمة زماننا ، وذلك ناشيء عن انهم لا يعرفون  
الناس ولا يفرقون بين العالم والجاهل

وقد جاءني واحد من هؤلاء وأنا أطوف وجعل يقول لي : قل اللهم كذا  
اللهم كذا حتى أعيدها من بعده فقلت له : أنا غير محتاج إلى من يعلمني العربية  
ولا كيف يجب ان أخاطب بها ربي

هذا والمطوف هو الذي يكفل جميع حاج الحاج وأغراضه منذ يظاً رصيف جدة  
إلى ان يظاً سلم الباخرة قافلاً ، فيحمله إلى مكة ثم إلى عرفة ، ثم إلى المزدلفة ، ثم إلى منى ،  
ثم يعود به إلى مكة ، وإذا أراد الزيارة هياً له جمع أسباب السفر إلى المدينة وهناك  
سله إلى المزور الذي هو صاحب هذه المصلحة في المدينة لا يتجاوز عليه غيره فيها  
وإذا سأل الحاج عن أي شيء من الفلك إلى الذرة فلا بد من أن يجيبه  
المطوف عليه ، وإذا احتاج إلى أي شيء من الجمل إلى البرغوث فلا بد من أن  
يأتيه به . وإذا وقعت له واقعة مع انسان تقتضي مراجعة الحكومة فعلى المطوف  
أن يرافق الحاج إلى صاحب الشرطة ويترجم له عنده

ومما يدهش العقل أن المطوفين والمزورين يعرفون جميع لغات العالم وأكثرهم  
يعرفون التركي ، ومطوفو العجم يعرفون الفارسي ، ومطوفو الهند يجيدون لسان  
الاوردو ، ومطوفو الجاوي يعرفون لغة الملايو ، وإن كان أكثر مطوفي الجاوي  
من الجاويين المقيمين بمكة ، ومطوفو البشناق يعرفون لغة الصرب ، ومطوفو  
الارناؤوط يعرفون لغة هؤلاء .

وقد بلغني ان بعض المطوفين يعرفون لغة الصين ومنهم من يعرف لغة  
الفيليبين . والاسان التكروري شائع بمكة كأنه العربي والسودانيون ليسوا فيها بغرباء ،  
زد على هذا اللغات الاوربية التي يعرفها المطوفون من روسي وانكليزي  
وافرنسي وغيرها . فالمطوفون في هذا أشبه بمستخدمي الفنادق في أوربة يضطرون .

إلى معرفة لغات كثيرة لتنوع أجناس السياح الذين ينزلون بفنادقهم . لكن دائرة علم المطوفين أوسع من جهة الكمية . فالعمال في فنادق أوربة يتعلمون بخاصة الانكليزي مثلا لكثرة سياح الانكليز والامريكيين، وقد يتعلمون الاسبانيولي لكثرة سياح امريكا الجنوبية ، ولا تجدهم يعرفون التركي والفارسي والاوردو والجاوي، فما ظنك بالصيني والفلبيني، فمكة أعظم معرض الاجناس واللغات ولو كان العرب على نمط الاوربيين في اتقان كل شيء ، والاستفادة من كل شيء ، والتفنن في الاستثمار والاستغلال، لوسعوا دائرة تعلم هذه اللغات على وجه الاتقان، وزادوا بها تسهيلات فريضة الحج . وكانت لهم من وراء ذلك أرباح مدهشة ، وكانت العربية أيضا تستفيد لان القادمين الى مكة من تلك الامم اذا أطالوا بها المكث تعلموا العربية واستعربوا ، واماكننا نحن معاشر العرب برغم ذكائنا الفطري الذي لا جدال فيه نجب البقاء على الفطرة ، ولا نرغب الا فيما هو أقرب الى الطبيعة . وهذا جيد في الشرقيات لافي الرياضيات ولا في الاقتصاديات

واذا مرض الحاج فالمطوف هو الذي يعمله ويأتي لبالطبيب والدواء ويسهر عليه ، واذا مات فهو الذي يخبر بذلك الحكومة ويأتي باناس من قبلها ويضرب في حضورهم حوائجهم ، ولو سمي المطوف « كفلا » للحاج لما كان في هذه التسمية أدنى مبالغة ، ومع هذه الكفلة الشاملة الكلمة التي فيها من الركض والعناء وتعب الفكر والمسؤولية ما فيها يكون آخر الامر جميع النحلان جنيتها واحداً عن كل رقبة ، هذا هو النحلان المقرر، فمن طابت نفسه بان يزيد فذلك عائد الى سماحة نفسه ، ولا شك في أن الحاج الذي يجشم المطوف جميع تكاليفه ويريد أن يتخذ منه دايلا وحارسا ومحاميا ومفتيا وطيبيا وصيدليا وممرضا ودلالا وغير ذلك في وقت واحد يكون ظالما إذا استكثر أن ينقده هذا المطوف في آخر السفارة جنيتها واحداً ولا شبهة في أن من الحجاج من يؤدي بدلا من الجنية الواحدة الجنيتات الكثيرة ، والمسلمون يغلب عليهم الخير ، وقد يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ولكن لا ينكر أيضا أن كثيرا من الحجاج قد يتعذر عليه دفع الجنية الواحد أو لا يبقى في يده شيء عند الاوبة إلا ما يكفيه لاجل الوصول الى وطنه أو يقع العجز في

«بودجته» الضئيلة من أصلها ، فتجد المطوف قد حرم مع حاج كهذا نتيجة تعبه ورضي بنصف جنيه بدلا من جنيه وقد يضطر الى أن لا يأخذ من حاجه شيئا وقد وقع لمطوفين أن أدوا الى حجاج مدممين من صلب مالمه ، وكثير من أهل مكة من يضطرون الى استدعوز بعض الحجاج ويؤدون الى هذا ما كانوا استفادوه من ذلك . وكان ينبغي للحكومات أن تمنع الفقراء من الحج وتأخذ من كل الحجاج رهائن كما تفعل بعضهم ، وذلك لان غير المستطيع ليس عليه حج ، ولان غير المستطيع يصير قرأ على غيره في الحج فيعجز الآخريين الذين رتبوا زادهم على قدر احتياجهم ، ولم يعملوا بينها فسحة للطواري غير المتظرة ، وكذلك لان أهل مكة والمدينة أنفسهم يضطرون الى غوث هؤلاء الفقراء ولا يقدر ان يشاهدوهم يتضورون جوعا (١)

ولا حاجة الى بيان أن وجود مثل هؤلاء في محشر كحشر الحج هو خطر على الصحة العمومية لانهم لا يقدر ان يعتنوا بنظافة أبدانهم ولا أن يفسلوا بالصابون ولا يملكون أسباب النظافة وقد فقد الحجاز بعد الحرب الكبرى موارد رزق عظيمة كانت تنصب اليه منها الصرة العثمانية ومنها الحج التركي الذي منعه أنقرة ومنها الصرة المصرية وصدقات الحبوب التي كانت ترسل من مصر ، فهذه كان يرتفق بها أهل الحجاز ويعيش بها فقراء الحجاج ، وأين هي الآن ؟ فلا جرم ان الحجاز أصبح لا يتحمل من الفقراء ما كان يتحمله في الاول

(١) حيا الله الأمير وجزاه خيرا بما انفرد به من بيان حال المطوفين وجيل خدمتهم للحجاج وقلة ما يأخذون من الاجرة على هذه الخدمة واستغرابه ذم بعض الناس لهم ونبزم بالطمع ، ومن بيان حال أهل الحرمين عامة في معاشهم وقد ذكر الفقهاء أن من آداب الحاج وعلامة قبول حجته أن لا يمد ما ينفقه في الحجاز مفر ما كجوا وصف الله المنافقين وأن لا يتبجح به وألا يؤذي جيران الله ورسوله بقول ولا فعل ولا يشكو بما يقاسي في الحرمين من تعب ومشقة وليعتبر المنافقون الذين لا يكتفون ببسط ألسنتهم البذيئة بهذه الشكاوي والمذام بل ينشرونها في الجرائد فيكون لها اسوأ الأثر في تشييط الناس عن أداء هذه الفريضة فيا ليهم لم يحجوا

## اقتسام المطوفين والمزورين لحجاج القطر

لقد قسم المطوفون والمزورون العالم الاسلامي فيما بينهم مقاطعات أشبه بما كانت عليه الممالك في الماضي . فبلاد العرب لها مطوفون، وبلاد الترك لها مطوفون وبلاد الفرس لها مطوفون، وبلاد الافغان لها مطوفون، وبلاد الهند لها مطوفون وبلاد الجاوى لها مطوفون . وهم جراً . وكذلك لكل من هذه مزورون وكل من هذه البلدان الكبار تنقسم أيضا بين المطوفين والمزورين إلى دوائر أشبه بالولايات التي تنقسم إلى متصرفيات . وهذه تنقسم إلى أقضية لعهد الدولة العثمانية . فمصر مثلا يتقاسمها مطوفون متعددون : أناس لهم القاهرة وأناس لهم الاسكندرية ، وأناس لهم دمياط والشرقية، وأناس لهم المنيا وبني سويف والفيوم وهم جراً . والمغرب أيضا دوائر، فصراطة لها مطوفون، وبنغازي لها مطوفون ، والقبروان لها مطوفون . ووادي ميزاب له مطوفون . ولكل من الريف وفاس مطوفون . ولكل من مراكش والسوس الاقصى وتندبكتو مطوفون وهم جراً ودمشق وحمص وحماه وحلب وطرابلس وبيروت وصفد ونابلس والقدس والخليل الخ لكل المدة أو بلدين أو ثلاث منها مطوفون معلومون . ولا يتجاوز مطوف على مطوف ، ولا مزور على مزور إلا برضى الحاج نفسه . فاذا اختار حاج أزهر أن ينزل عند مطوف حاج (أماسيه) أو مطوف (كوتاهيه) مثلاله ذلك . وإذا راجع حاج (شيراز) مطوف (تبريز) بدلا من مطوف شيراز فلا حرج عليه في ذلك . وإذا وقع بين المطوفين في مكة أو بين المزورين في المدينة خلاف فالمرجع هو شيخ المطوفين وشيخ المزورين ، والخدمة تراقب كلا منهم ولليمانيين أيضا مطوفون ولكن فائدة هؤلاء منهم لا تذكر . وليس للحبازيين ولا للنجديين مطوفون ، لانهم يعرفون المناسك كلها ولا يحتاجون إلى ادلاء .

ولا يلزم لهم من يستأجر لهم الجمال ، لان الجمال كلها لهم . وقلما يستفيد منهم الحرمان الشريفان إلا بأكلهم وشربهم من السوق ومن مزايا المطوفين انهم يجوبون الاقطار ولا يستبعدون منها بعيداً ، ونجدهم حتى في الصين وكاشغر وسيام وسومطرة وجزائر الفيلبين وكل بلد فيه مسلمون يرغبونهم في الحج ويسهلونه عليهم ، ويصفون لهم اللذات الروحية التي يشعر بها المتطوفون بالبيت الحرام ، والقاصدون إلى عرفات والمشاعر العظام ، والزائرون لروضة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا يزالون بهم حثا وترغيباً واستحثاثاً للنفوس واستحلاباً للمبرات إلى أن يأتوا بنفوسهم إلى الحج . والمطوفون أينما ذهبوا يكرمهم المسلمون ويقومون بضيافتهم تبركا بالبقاع التي صدروا عنها والبيت الذي يخدمون فيه . وهم يستفيدون بهذه الاسفار الطويلة معرفة واطلاعا ويتعلمون اللغات الاجنبية

ولو كانت أمورنا على النسق الاوربي الذي قاعدته استقلال كل شيء ، لكننا أسسنا مدرسة خاصة بالمطوفين والمزورين ، يتعلمون فيها إتقان التطواف وكيفية ترفيه الحجاج والمزادة ، وتوفير اسباب راحتهم ، وتلقيهم الادعية والاذكار للأثورة بأيسر الطرق ، وحث الدعاية اللازمة بالاوصاف والصور ، حتى يزداد عدد الحجاج القادمين كل سنة . وهكذا تزداد مكة وطيبة عمراناً ويزداد اهلها يساراً والحقيقة ان الحج لا يزداد ولا تزداد أرزاقه وخيراته الا بأمرين (أحدهما)

أمان الطرق (والثاني) أسباب الراحة

أما الامان فقد توافر في أيام ابن سعود الى حد لا يتطلع فيه متطلع الى مزيد وانما يرجو دوام هذه النعمة .

وأما أسباب الراحة فقد كانت تعد أسباب راحة بالنسبة الى الماضي ولا تعد كذلك بالنسبة الى الحاضر بعد أن انتشرت الاساليب العصرية في النزول والركوب



والمدية وتوسيع الشوارع وتنظيفها وترصيفها وانارتها بالمصابيح الكهربائية ليلا ،  
ونسق الحدائق في أوساط المداين وحواشيتها ، وبناء المقاهي الرائعة المزخرفة ،  
وسائر ما يلذ الاعين ويشرح الصدور ولا يقدر ان يعيش بدونه المترفون ولا  
يتبها لهم سرور ، فالحجاج في الغابر كانوا يأتون من بلدان لا تفوق مكة والمدينة  
في درجة الرفاهية والانتظام او تتفوق قليلا فكان الحاج لا يشعر بين بالفرق  
المكانين ولا تتغير عليه البيئة

وأما اليوم فقد صار أكثر العالم الاسلامي تحت حكم الافرنج ، فشاهد  
الحجاج مدينة الانكليز في الهند وزنجبار ومدنية هولاندة في الجاوى ومدنية  
فرنسة في شمالي افريقية ومدنية الروس في موسكو وبتروغراد وهلم جرا ، فتعود  
المترفون منهم رفاة ورفاعة لا يظعمون أن يحصلوا على مثلها في الحجاز الا  
في قضية الطعام ، فان طهارة مكة والمدينة لا يفوقهم طهارة تلك البلدان ، وربما لا  
يساؤونهم في تطيب الطعام وتأنيقه ، ولكن ليس المأكل هو كل شيء . فلا بد للمسلم  
المترف من أهل تلك البلدان - حتى من أهل مصر والشام والعراق - أن يأمن جهة  
راحته بمخذافيها حتى يقوم بفريضة الحج

ومن المعلوم ان حج مترف واحد يعود على الحجاز بفائدة مادية أكثر  
من حج خمسين شخصا من المساكين أو المتوسطين .

أما الفوائد الروحية فلسنا في هذه الجملة بصددنا . وقد نتكلم عنها في موضع  
آخر ونشرح ما يكفل الحج من جلائها ، ولكن مع الاسف قد غلبت النزعة  
المادية الاوربية على الناس وصار البدن هو معبود الانسان المصري ، فأصبحت  
لا تقدر أن تقتصر في الدعاية الى الحج على ذكر ما فيه من اللذة الوجدانية والراحة  
الروحية ، وأنى لمبدة الايدان أن يشعروا بمواجيد النفوس ولذات نعيم العرفان .  
وكل المدنية المصرية مبنية على مدنية أوربية وكل مدنية أوربية تقريبا هي مستفرقة

في خدمة الحواس ولسان حالها ينادي : المادة المادة

ولا ينكر أن السيارة الكهربائية والتليفون واللاسلكي قد كفلت في الحجاز في السنوات الاخيرة راحت واختصارات لم يكن يعرفها من قبل، وان مكانها من الاهمية لا يخفى . ولكن على الدولة السعودية أن تطرد مشروعاتها العمرانية في الحرمين الشريفين وجدة وينبع والطائف الذي هو مصيف الحجاز حتى يعرف أغنياء العالم ان سلامي انهم اذا قصدوا الحجاز ، لا يرهقون عسراً ، ولا يصادفون في شيء من اللذات التي يبيحها الشرع حرماناً ، فأما اللذائذ التي لا يبيحها الشرع فان من فضائل الدولة العربية السعودية حظرها وسد الابواب عليها والتصلب في هذا الشأن

ولقد حرم الحجاز منذ سنتين او ثلاث حاج الا ناضول لان مصطفى كمال يابى ان ينفق التركي شيئاً من ماله في بلاد عربية ، فهو قد أراد هذا لاجل التوفير على الاتراك بزعمه . وياليتهم احتاط لتوفير على أمتهم في الطرق التي ذهبت فيها الملايين من أموالهم إلى حيوب الافرنج كالخمر والميسر والالبسة الافرنجية وما أشبه ذلك مما كان السبب في هوي تركيا الاقتصادية إلى ماهوت اليه ، ومما لم يعد سرّاً مخفياً . فمسئلة نفقات الحج كانت نقطة من غدير بالنسبة إلى هذه

وكذلك كان من أسباب الثورة النجدية التي استأصل الملك ابن سعود جرثومتها ان موقدي تلك الثورة زعموا ان الحجاج الذين يأتون من طريق البحر مشركون - هكذا سمعنا عنهم والعهد على الرواة - وطلبوا من ابن سعود أن يسد طريق الحج عليهم ، فجادلهم كثيراً في هذه المسألة فأصروا على غيرهم ، فقال لهم أخيراً : وكيف يعيش أهل الحجاز اذا سدنا هذه الطريق عليهم ؟ فقالوا له يرزقنا الله واياهم - وقد غاب عنهم ان الرزق له أسباب وان الله جعل لكل شيء سبباً ، وان أعظم أسباب ارتزاق الحرمين هو الحج ، وان الله تعالى أنزل في هذه الحقيقة قرآناً غير ذي عوج

## وجوب اعتناء حكومات الدنيا بأمرها بأمر الحج

ينبغي لحكومة الحجاز ولسائر الحكومات الاسلامية والحكومات غير الاسلامية التي غلبت على ديار المسلمين أن تعتني بقضية الحج إلى بيت مكة أشد الاعتناء . أما الحكومات الاسلامية فتعتني به من جهة انه فرض ديني محدود من أركان الاسلام يقوم به كل سنة مئات ألوف من المؤمنين

وأما الحكومات الاخرى فتعتني به من جهة ارتباط العالم ببعضه ببعض وكونه - لاسيما في العصر الحاضر - أصبح جسماً واحداً لا يشعر منه عضو بالتياث إلا التاث به سائر الاعضاء . فورود مائتي ألف شخص أو ثلاثمائة ألف شخص من أقطار الكرة الارضية كل سنة براً وبحراً مشاة وركبانا إلى بقعة من جزيرة العرب لزيارة بيت عتيق أسس على التقوى ليس بمحدث بسيط لا يستوجب الاعتناء، وسيأتي يوم ينتقل فيه أكثر هذا الحاج إلى بيت مكة بالطائرات، فتزداد السهولة وتتضاعف السرعة، وقد يزداد بذلك عدد الحجيج زيادة هائلة لاسيما اذا جد في مكة من تسهيلات الحج ما هو غير متيسر إلى حد اليوم .

ولا يزداد عدد الحجاج بالكمية فقط، بل يزداد شأنهم من جهة الكيفية، فيقصد مكة ذوو الترف واليسار وأناس كانوا يتوقفون عن أداء هذه الفريضة بسبب ما كانوا يخشونه من الامراض او من فقد أسباب الراحة التي ألفوها

ولا ينبغي أن يظن ان تقدم المسلمين في المعارف ورفيهم في سلم المدينة في المستقبل قد ينتهيان بتناقص عدد حجاج البيت الحرام، فقد ترقى الامم الاوربية كثيراً في المدنية، وغلبت على قسم كبير منها الفلسفة والادينية . ولا يزال زوار القدس من المسيحيين كل سنة عدداً كبيراً، ولا يزال قصاد رومة كل سنة من الكاثوليك عدداً أكبر . وما يقدر العلم أن يصنع شيئاً مع الدين مادام سر

الكون النهائي لا يبرح مغلقا ، وما دام الانسان عاجزاً عن مكافحة الموت ، لا بد للخلق من الدين ، وثورات الالحاد إلا غمرات ثم ينجلين فالنزعات اللادينية والنزعات الالحادية التي تعرض على المجتمع الانساني في الاحايين إن هي إلا عوارض مؤقتة لا يمكن ان تكسب شكلا عاما ولا ان تقوم مقام العقائد الدينية الضرورية للبشر ، وقد سبقت لها أمثيل متعددة في تاريخ أكثر الامم ، وعصفت ريح الالحاد في بعض الحقب ، ثم لم تلبث ان هددت واستقرت وعاد الامر كما بدا

وفي الثورة الفرنسية الكبرى أقتلوا الكنائس ، وقتلوا القسيسين، وشردوا جميع خدمة الدين ، واغتصبوا الاوقاف وأزالوا عنها صفة الوقف ، وجعلوا العبادة للعقل ، وظن الناس ان الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا دخلت في ذمة التاريخ وصارت أثراً بعد عين . ولكن لم تمض بضعة سنوات على هذا العمل حتى ركبت تلك الزوبعة، وعادت العقيدة الدينية إلى نصابها ، ورأى نابليون ان عقلية الفرنسيين قد تراجعت إلى أصلها، ففتح الكنائس وأعاد على العبادة كرامتها، ورفع منار الدين الكاثوليكي وتوج امبراطوراً في كنيسة نوتردام في باريس ودعا البابا إلى حضور حفلة التتويج ، فجاء البابا بنفسه، وكان يطوف بعربته في شوارع باريس والناس تخر أمامه جثيا . وهم هم الساجدون له الآز، كانوا قبل ذلك بسنوات معدودات القوم الذين اتخذوا هواهم إلههم ، وأقتلوا الكنائس، وأتوا بفتاة حسناء رعبوبة فجلوها على منصة رفيعة وخرروا لها ساجدين

فأنت ترى ان زعازع الالحاد مصيرها غالبا إلى الركود ، وان الدين لن يبرح صاحب الكلمة العليا في الارض مادامت المادة لا تقدر أن تبين عن ذات نفسها ، ولا ان تحدث الانسان بتاريخها ، وما دام الانسان متشوقا إلى جواب عن هذا الوجود لا يجده إلا في الايمان بالغيب

ولذلك أقول: انه مهما ترقى الناس في العلوم والفنون لا يبرحون محتاجين إلى الهداية فارعين إلى الغيب ، وانه لن تبرح أماكن العبادة وخصوصاً مراكز انبعاث الانبياء والرسل مناباً لا تباعهم يقصدونها من كل فج سحيق ومكة والمدينة وبيت المقدس سبق مقصداً للمؤمنين بمؤسسي الشرائع التي تأسست فيها ، ولو فرضنا انه اختلفت فيها مفاهيم السلائل البشرية الآتية عن السلائل الحاضرة .

وأقول: ان اختلاف هذه المفاهيم مهما تناهى فلا يتجاوز جوهر العقيدة الاصيلي ، لان جوهر العقيدة مبني على العقل البشري ، ولانه ليس للمرء مذهب وراء العقل البشري ، فهو أول الشرائع وآخرها ، وأقدمها وأحدثها فتأويل الشرع - بعيداً ما بعد عن المفهوم الحالي - لا بد أن يبقى مربوطاً بالعقل البشري وآتلاً اليه وذلك بسبب بسيط هو ان الشرع والعقل متحدان ، وان أحدهما يصح ان يكون مرادفاً للآخر ، وانه لا يمكن الشرائع ان تأتي بما يستحيل في العقول ، إذ لو كان ذلك لهدمت نفسها بنفسها ، ولعطلت الاداة الوحيدة التي يمكن فهمها بها .

وقد روي عن سيدنا علي رضي الله عنه وسمعت روايته من أستاذنا الشيخ محمد عبده رحمه الله مامعناه: ان الشرائع السماوية لم تأت بشيء جديد وانما جاءت اثارة لدقائق القلوب . فالعقل مضمون في صلب الشرع ، كما أن الشرع مضمون في صلب العقل . وبناء على هذا المبدأ قرر الاسلام انه هو خاتمة الشرائع ، وانه لا بد من أن يظهر على الدين كله ، كأنه يقول إن آخر ما يصل اليه الانسان من الهدى هو دليل العقل ، وهذا الدليل هو الشرع بعينه ، لان كل ما ناقض العقل هو مردود فيه ، فلا عجب أن يكون الشرع المعقول هو الشرع الاخير (١)

(١) هذه العبارة فيها إجمال وغموض وهي مروية بالمعنى ، وموضوعها أن الاسلام حين الفطرة المبني على دلائل العقل ، والمسألة مفصلة مبينة في رسالة التوحيد للاستاذ الامام ، بما لا غموض فيه ولا ابهام

فما دام العقل الانساني هو هذا الذي نعرفه فالشرع قائم مؤيد ثابت في العقول سائغ في الاذهان، لا يتجافى عنه إلا من حرم سلامة الحس الباطني وسلب اداة الادراك . وما دام الشرع قائماً مؤيداً لا تزعه عواصف الالهواء ، ولا تميد به زعازع الشبهات، حتى يعود أمتن مما كان ويعتصم به الجمهور ، فتناسك الدين وشعائره لا تبرح قائمة ، وأحكام الشرع لا تبرح جارية، ومكة تبقى مكة ، وطيبة تبقى طيبة، والمسجد الاقصى يبقى المسجد الاقصى

## اعتداء الحكومات الاسلامية على أوقاف الحرمين الشريفين

من حيث قد قررنا ان الاماكن المقدسة في الحجاز ان تبرح مقصداً للمؤمنين من جميع الفجاج ، ومركزاً يجذبهم اليه بجاذبيته المعنوية من بين مطلع الشمس ومغربها، فقد تحتم على الحكومات والجماعات الاسلامية - أحمرها وأسودها - أن توجه العناية إلى اصلاح أحوال هذه البقاع المباركة واجراء المقاصد التي تتحقق بها المناسبة بين طهارتها المادية وقدسيتها المعنوية

وبديهي ان هذه الامكنة وإن كان جيرانها وأصحاب الحل والعقد فيها هم من العرب وخدمهم من جهة انها جزء من البلاد العربية فليس عمارها وقصاها وزوارها من العرب وخدمهم ، بل هم من أمم لا يقل عددها عن ثلاثمائة وخمسين مليون نسمة ، فليس من العدل أن تنحصر مهمة تنظيمها وتنظيفها وتوفير وسائل الرفاهة والفراحة فيها باهاليها الاصليين الذين لا يزيد عددهم على مليون نسمة والذين لا يتكون منهم إلا جزء من ثلاثمائة وخمسين جزءاً بل هذه المهمة يجب أن تتوزع على المسلمين جميعاً حتى يقوموا بها متضافرين

ولا ينقصهم شيء من شروط السكال الصوري والمعنوي في هذا الوطن العام الذي ينقصهم جميعاً من وجهة العقيدة .

ولا يقدر أحد أن يحتج على ارتفاع هذا الواجب عنهم بان الحجاج يؤدون ما عليهم للمطوفين، ويؤدون رسوماً أخرى لإدارة الصحة وغيرها، وان هذا جائز لاجل اصلاح أحوال الحجاز، كف لشفاء النفس من هذه الامنية، فان الاجور التي يؤديها الحجاج للمطوفين لا تكاد تقوم بأود هؤلاء، وان الرسوم الاخرى التي يذكرونها إن هي إلا سداد من عوز، وان على الحكومة الحجازية من الواجبات الضرورية مالا يتيسر معه التوفر على الامور الكمالية . ولا بد لمن ضاقت ذات يده من تقديم الالم على المهم، وماذا يتطالب المسلمون من حكومة الحجاز ودخل هذه الحكومة لا يزيد على جزء واحد من أربعين من دخل الحكومة المصرية مثلاً

فالمسلمون يقدرون أن يقوموا بهـذا الواجب بدون أن يضطروا إلى جمع اعانات واستدراار أكف مما لو كانوا فعلوه لكان بهم قيناً، وذلك بان يسلموا مافي ديارهم من مال الحرمين للحرمين . فكل أحد يعلم انه لا يكاد يوجد بلدة من بلاد المسلمين كبيرة او صغيرة إلا وفيها أوقاف للحرمين الشريفين

ولا نبالغ اذا قلنا إنه لو اجتمع ربع العقارات الموقوفة على الحرمين الشريفين بعد رد جميع هذه العقارات إلى أصلها واستغلالها على حقها لكانت تضاهي دخل مملكة عصرية من الدرجة الثالثة، وكانت تكفي لازاحة جميع علل الحجاز واصارته من الجهة العمرانية إلى درجة لا يقل فيها عن أي قطر من الاقطار المجهزة بجميع أسباب المدنية

فبدلاً من أن يوفر المسلمون هذه الحقوق لاهلها، وأن يجنوا حاصلات هذه الاوقاف الدارة ويقدموها إلى محلها بحسب شروط واقفيها ومرصديها، لانجدهم.

-صنوا في شيء من الاشياء عنايتهم في نحو هذه الحبوس التي منذ ثلاثة عشر قرنا  
يوجد بها الآباء ويخيس بها الابناء ، إن «شرط الاوقف كنص الشارع» هي جملة  
كادت تذهب من اذهان المسلمين قاطبة إلا من رحم ربك

فبعض هذه الاوقاف درست تماما بأيدي النظار الخائنين، وباغضاء القضاة  
المواطنين على مشهد من العلماء المدلسين . وبعضها تحول عن أصله وأجرني في غير  
مصالح الحرمين وخولف به شرط الاوقف بدون عذر ولا مسوغ شرعي، ووجيم  
هؤلاء ساكتون وبعضها بقي باسم الحرمين الشريفين ولكنه يرفع منه إلى الحرمين  
من الجمل أذنه- كما يقال

ويا ليت شعري من يفعل هذا أو من يقر على هذا فلا أدري كيف يصلي !  
وكيف يصوم ! وكيف يحج ! وكيف يظن انه قام بفرائض الاسلام؟ ولا أقول:  
كيف يزكي ؟ فقد قل اليوم من يفكر بفرض الزكاة ؟ فالزكاة وتأدية حقوق  
الاوقاف هما من الامور التي كادت ألا توجد إلا في الكتب الفقهية يتعلمها الناس  
من قبيل العلم بالشيء لامن أجل العمل بهذا العلم .

وإذا جرى شيء من العمل بشروط الخابسين فلا يكون إلا في نفس البلاد  
التي فيها الحبوس، وهذا من خوف المظار والقضاة أن تنتقض عليهم العامة  
ويسقطهم ، فأما اذا أمنوا خوف ثورة العامة فالوقف إلى الدثور، أسرع من الماء  
إلى الحدور . وعلى كل حال شرط الاوقف كاد يفقد كل حرمة

وأغرب من هذا أنه لم يكف تلاعب النظار بالاوقاف - ولا سيما باوقاف  
الحرمين- واغضاء القضاة والعلماء على هذه العظيمة حتى جعلت الحكومات الاسلامية  
هي بانفسها تستبد باوقاف الحرمين ، وتتم إيصال ريعها إلى الحرمين غير مراقبة  
شرط واقف ، ولا نصّ شارع ، ولا رضی خالق ، ولا لسان مخلوق

هذه هي الحكومات الاسلامية التي هي أجيرات المسلمين في مهامهم العامة



وليس في أيديها شيء إلا من فضلهم، وليست هي بآجمعها شيئاً لولاهم، وإنما كان وجودها لاجل صيانة مصالحهم الدينية والدينية معاً، لاصالحهم الدنيوية فحسب فهذه الحكومات بلعت جانباً من هذه الاوقاف ومحت رسومه وجعلت شروط واقفيه كأمس الدابر وأكلت ربع الجانب الآخر وحولته إلى ممالك معلومة ليس لها تعلق بالحرمين الشريفين ولم تبال ماعملت، وكانت اذا رفعت إلى الحرمين صرة دراهم، أو شحنت سفينة حبوب ظنت انها تتصدق على أهل الحجاز من مال أبيها !

وقد فشت هذه العادة الذميمة في الحكومات الاسلامية بفشو الاستخفاف بالدين، وبحمل الواجبات الدينية على المبادئ القومية، والحال أن الدين لاعلاقة له بالقومية وكل منهما له حدود غير موقوفة على حدود الآخر. ونحن نجد أن الفاتيكان حرجع ديني لاربعمائة مليون كاثوليكي، وهم من أجناس لا يحصى عديدها، ونجد ان خزانة البابا كخزانة دولة من الدول، ولم يمنع كاثوليك الدنيا أن يرفعوا اليه نعاناتهم وصدقاتهم- كونه طليانيا وكون الفاتيكان في ايطالية

## طمس الدول المستعمرة لأوقاف المسلمين

إقتداء بحكوماتهم في الاعتداء عليها

ولما غلبت الدول المستعمرة على القسم الأكبر من العالم الاسلامي، ووجدت من صنيع الحكومات الاسلامية التي ورثتها ما وجدته في الاوقاف عموماً وأوقاف الحرمين خصوصاً حدثت غيب هذه المفسدة، وأخذت منها حجة تستظهر بها في طمس الاوقاف الاسلامية واخفاء معالمها فانها تقول للمسلمين: اني لم أفعل شيئاً الا ما كانت حكوماتكم تفعله... وأجدر بما كان يفعله المسلم بوقفه أن يفعله المسيحي وهو لا يعتقد من حرمة مس هذا الوقف ما يعتقد المسلم

إذا فالتلاعب بالأوقاف والحبوس كان مبدؤه من المسلمين أنفسهم، فلما غاب على بلادهم الأفرنج قلدوم فيه ولم يكن فرق بين الفريقين إلا في أن المسلمين كانوا يملكون الأوقاف بمرور الزمن أو يحولونها عما حبست عليه أو يبقونها على اسم الحرميين أو أسماء الجهات الخيرية الأخرى وياكلون أكثر ارتفاقاتها ، وان الأفرنج عند ما غلبوا على بلاد الإسلام استولوا على كثير من هذه الأوقاف ووهبوا إلى الكنائس ، وإلى جمعيات المبشرين ، وإلى الرهبان ، ورأوا بذلك الجمع بين غرضين مهمين :

أما الغرض الأول فهو طمس هذه الأوقاف من أصلها ، لأن الأفرنج لا يكرهون في الدنيا شيئاً كرههم للأوقاف الإسلامية ، ولا يخافون في مستعمراتهم من شيء كخافتهم منها ، لأنهم يعتقدون أن المسلمين إذا أحسنوا إدارتها وضبط حاصلاتها كان لهم منها منبع إمداد عظيم في أمورهم السياسية ، فلذلك تراهم يسعون بقدر طاقتهم في محو رسومها

وأما الغرض الثاني فهو إمداد المبشرين والرهبان وتوطيد أقدامهم في بلاد الإسلام ليتمكنوا من بث دعايتهم بين المسلمين مما لم يبق خافياً على أحد ومما لم يبق أدنى سبيل للكبرة فيه . فبدلاً من أن هذه الحكومات المستعمرة تشتري لهؤلاء المبشرين والدعاة عقارات وأراضي من مالها تبذلها الاقصد والافوق أن تصرفهم في أوقاف المسلمين ، فتكون أغنتهم من كسب غيرها ، وتكون جمعت بين دفع ما تعتقده ضرراً وجر ما تعتقده منفعة

والجلية في هذه الحيلة والحق يقال من بين جميع الحكومات المستعمرة هي الحكومة الأفرنسية ، فلم نعهد حكومة استطابت طعم أوقاف المسلمين مثلها ، ولا استحلّت طعمتها الرهبان والمبشرين بدرجة استحلالها ، ولقد تمكنت منها إعادة التسلط على أوقاف المسلمين في المغرب إلى حد أنها حاوت مثل ذلك في المشرق

فهي تأتي الا أن تسيطر على أوقاف المسلمين في سورية برغم ان النصارى واليهود فيها متصرفون في أوقافهم بتمام حريتهم

وقد راجعنا في هذا الامر جمعية الامم وأوضحنا لها كيف أن الدولة «المنتدبة» في سورية ترك النصارى واليهود أحراراً في أوقافهم وتعرض لأوقاف المسلمين خاصة؟ وكيف انها وهبت الرهبان وقفاً عظيماً من أوقاف المسلمين في اللاذقية وغير ذلك ووجدنا لجنة الانتدابات الدائمة تؤيد رأينا في هذه المسألة وتقرح على فرنسا ترك مسلمي سورية أحراراً في أوقافهم كما هم مسلمو فلسطين التي هي تحت انتداب انكلترة، ولكن الحكومة الافرنسية لا تبرح تماطل وتتعلل في هذا الامر برغم ميل لجنة الانتدابات الى انصاف المسلمين فيه

وإذا رجعنا الى أصل البلية وجدناها من المسلمين أنفسهم، لان حكوماتهم لما كانت مستقلة ولان حكوماتهم المستقلة الباقية الى اليوم - تصرفت بالاوقاف تصرفاً سيئاً مخالفاً للتريعة، منافياً للامانة، فهدت للدول المستعمرة العذر في طمسها لهذه الاوقاف أصلاً وفي هبتها منها للرهبان وسيطرتها التامة على مآرادت بقاءه منها للانفاق من ريعه على المساجد

ولا يزال حتى اليوم في بلاد الاسلام أوقاف لا يحصى محبوسة على الحرمين الشريفين كان يجب على حكومات هذه البلدان من اسلامية أو أجنبية أن تحسن ادارتها ولا تحتجن شيئاً من حاصلاتها لانفاقها في حاجات آخر بل ترفعها كلها الى الحرمين بحسب شروط الواقفين

وإذا قدرنا انها لا تثق بحكومة الحجاز أو بأعيان أهالي الحجاز في قضية توزيع هذه الصدقات أو انفاق هذه الاموال في وجوه الخير فليس عليها أكثر من الاشراف أو الاشتراك مع حكومة الحجاز في التوزيع أو الانفاق على المشروعات الخيرية التي باحيائها يعمر الحجاز

ولعمري ان الاولى بهذه الحاصلات الواردة من الآفاق الى الحجاز اذا وردت أن ينفق جلها - ان لم ينفق كلها - على تأسيس ملاجئ للفقراء وللأيتام حتى لا يبقوا عالة على الناس ووقراً على الحكومة وفي بناء مستشفيات ومصاح للمرضى والضعفاء الذين يكثر عددهم في الحجاز بكثرة الغرباء ولو كان هواء الحجاز بحد ذاته نقياً - وكذلك في تشييد مدارس صناعية ومشاكل بمشدد اليها العاطلون من العمل والعائشون من التسول ، وعلى مشروعات أخرى خيرية عامة لا ينحرف فيها البر عن أصله ، ولا يخرج الوقف عما ربط عليه ، مع التباعد فيه عما يغري الأهالي بالكسل ويعودهم البطالة ويوجد عندهم عقيدة معناها ان أهل الحجاز أو أهل الحرمين الشريفين لا يجب عليهم الكسب من عرق جبينهم ولا الاشتغال بصناعة أو تجارة أو زراعة ، وانما وجدوا ليعيشوا من مجرد الصدقات والمبرات وهدايا العالم لاسلامي ، مما لا يلبق بهم ولا ينفعهم ولا يكفيهم . مهما كثر لان الانسان الذي لا يعيش من كسب يده يجد نفسه دائماً في ضيق . وقد شاهدنا ذوي الثروة والحاصلين على الكفاية من أهل مكة والمدينة انما هم من أصحاب الاشغال والمتاجر ، لا من أصحاب الرواتب والمعاشات التي لا يبرح عائلاً من اعتماد عليها

## مرضي في مكة المكرمة وأسبابه

### وتأثيره في أثناء أداء فريضة الحج

إذا كان الاجر على قدر الشقة فقد كتب الله لهذا العبد أجراً عظيماً. فإنه لم تمض على مقامي بقرب المقام أكثر من تسعة أيام حتى انحلت قواي والتاث مزاجي وأصبحت مريضا تتصاعد بي الحمى إلى أن بلغت درجة الاربعين . وذلك أني من أبناء جبل لبنان ولم تألف أجسامنا الحر الشديد الذي ألفتة أجسام اخواننا أهالي جزيرة العرب لاسيما سكان التهاثم منهم . وكنت من أصل فطري أكرم الحر وأفر منه ، ولم أكن أيام القميظ أفارق الصرود وهذا كان سبب اصطيا في عين صوفر مدة تزيد على عشرين سنة ، وقد نشأ عن شدة رغبتني في ذلك المكان أني اقتنيت فيه الكروم والعقارات وتأثلت مايقارب ثلثمائة الف ذراع مربع من الارض ، ولم تكن درجة الحرارة في صوفر تزداد بميزان سنتيغراد على ٢٣ إلا نادراً ، وكذلك كنت أقبح أحياناً بعالية وحرارتها لا تعلم فوق ٢٦ أو ٢٧ إلا نادراً ، ومنذ اثنتي عشرة سنة أنا في اوربة وليست هذه القارة بالتي يشكو فيها الانسان شدة الحر ، وما أذكر أني لقيت في اوربة شيئاً يستحق اسم الحر إلا في رومة إذ صادف وجودي فيها إحدى المرار في شهر يوليو . ومن العلوم أني آقت سنوات بألمانية وهي لا تعرف الحر إلا عابر سبيل ، وأنني منذ سنوات في سويسرة وهي لا تدري شيئاً من حمارة القميظ . وعدا ذلك تراني في سويسرة نفسها أقضي الصيف من قنة جبل إلى قنة جبل . فتارة في القنة المسماة «روش دونيه» فوق « مونترو » وهي تعلو عن سطح البحر الفين وخمسين متراً ، وطوراً في « شتانسر هورن » فوق بحيرة «لوسرن» وهي قنة بيضية الشكل تعلو عن سطح

البحر ١٩٥٠ متراً ، وأحياناً في القمم الشاهجة التي تقابلها مثل « بيلاتوس » المشرفة على لوسرن اشرف المنارة على الجامع ، ومثل « ريفي » التي يطل منها الرائي على نماني بحيرات في لمحاة واحدة من شفير شاهق ، ومن شدة غرامي بهذه القنن التي قد كنت أصادف فيها الثلج أحياناً في شهر أغسطس أند كراني تركت قنة « غورتن كولم » في برن وذهبت فانتجعت قنة « شتانس هورن » في لوسرن لانها أعلى من الاولى ، وأقت هناك شهراً إلى أن جاءني كتاب من سعادة الاخ الشهم الهمام عبد الحميد بك سعيد - رئيس جمعية الشبان المسلمين الآن في مصر - امتع الله الاسلام بطول حياته ، وكان يسكن في « غورتن كولم » في الفندق الذي أنا فيه فكان يؤنبني في هذا الكتاب على تلك العزلة برأس جبل « شتانس هورن » ويقول : لا يحل لك هذا .

والخلاصة ان برودة جو سويسرة كلها لم تكن تقنعني . وكنت أنتجع منها الشناخيب التي أستيقظ فيها صباحاً فأرى الارض التي حولنا بيضاء من الثلج وذلك في ابان فصل القيظ . وقبل ذلك لما كنت في جبلنا البنان لم تكن عين صوفرا (وهي في ارتفاع ١٣٥٠ متراً) تقنعني وتكفيني فطالما قصدت ابهل الباروك (١) وتوأمت نيجا وهي تملو ١٨٠٠ متر (٢) وغير ذلك . فكيف بي الآن وقد صرت في اقليم حرارته تقابل من ٤٠ درجة بميزان سنتيغراد إلى ٥٠ وذلك لأول مرة في حياتي . لاجرم اني لم آتحمّل هذا الفرق الشاسع ورأيت نفسي هبطت هبطة واحدة كما يقع الزق عن الظهر لامتدرجا ولا متدحرجا

وكان قد سبق أني لما مررت بمدينة السويس منتظراً باخرة البوسطة المصرية

- (١) الابهل بفتح فسكون شجر الارز وفي جنوبي لبنان يقولون ابهل، وفي شماليه يقولون ارز وكلاهما صحيح - وهو على ارتفاع اني متراه من الاصل
- (٢) سميت توأمات لانها عبارة عن قتين متنا وحتين متجاورتين اه من الاصل

الركوب بها إلى جدة لم يشاؤا أن يمهلوني يومين ريثما يأتي ميعاد سفر الباخرة بل صدر الامر بتسفيري على باخرة هندية سيئة الحال مسلوحة بجميع أسباب الراحة في المنام والغذاء والجلوس وكل شيء وناهيك انه كان فيها نحو ١٥٠٠ حاج وانها كانت من المواخر الصغيرة . فبعد هذا لا ينبغي لي أن أطيل الشرح وأن أقول كيف مرضت وانما أقول اني وطئت أرض جدة ملتاثا .

ثم اني لما وصلت إلى مكة نزلت في منزل سعادة ولدنا فؤاد بك حمزة وكيل الشؤون الخارجية فهبالي سريراً على السطح كما هي عادة أهل البلد الحرام في أيام الصيف . ولكن هذا السطح لم يكن مفتوحاً من جوانبه الاربعه كما هي بعض السطوح لان الباني الاصيلي لذلك البيت (١) كان قد حوطه بجدران عالية فوق قامه الانسان غيرة على الحرم أن ينظر أحد هن شبحاً ولو من بعيد ، فأصبح السطح مسدوداً من كل جهاته إلا من الاعلى فلم يكن الانسان ينظر منه إلا القبة الزرقاء ، ومن عادة الناس أن يفتحوا في الحيطان نوافذ لاجل الهواء او للنظر عند اللزوم فأما هذا السطح فلم تكن في جدرانه العالية الا قمرتان أو ثلاث مشبكت بحجارة مستديرة بينها تقوب ضيقة لا تكاد المسلة تدخل في الواحد منها، فكانت في حكم كان لم يكن من جهة نفوذ الهواء هذا على فرض وجوده (٢)

ولما جئت لاضطجع في السرير الوثير قيل لي انه لا بد من الدخول تحت الكلة بلباقة عظيمة حتى لا يتسنى للبعوض أن يدخل ورائي فان البعوض هناك تجب الوقاية منه، فكانت أدخل تحت الكلة وأنا أسترق السمع حتى إذا سمعت

«١» ليس هذا من عمل باني ذلك البيت وحده بل عامة البيوت هنالك مثله بترك فيها حجرة بغير سقف ولا نوافذ لاجل السهر والنوم فيها مع عدم كشف الجيران ونظرهم «٢» كذا في الاصل المطبوع في جريدة الشورى وهو كما ترى وامله قد بسقط منه شيء وذهل الامير عنه عند قراءته

طنين بعوضة اجتهدت في محوها او طردها و كنت طول الليل كأني تحت الحصار أحاذر أن تقع مني حركة يرتفع بها شيء من سجوف الكلة فيهجم من خلال ذلك البعوض ونسوء العاقبة . على ان قولي « طول الليل » صورة من صور التعبير فاني ما قدرت ولا ليلة أن أبقى تحت ذلك الحصار أكثر من ساعة لان السرير كان مسدوداً بالسجوف السابغة والسطح كان مسدوداً بالجدران الاسكندرية العالية ، فلم يبق من سطحه إلا الاسم والحجر كان شديداً ، وبالاختصار كدت أختنق ، وصبرت إلى أن غرق مضيبي الشاب في لجة الكرى ونزلت إلى سطح آخر مفتوح من كل الجوانب يرقد عليه الخدم بدون أغطية ولا سجوف مسدولة ولا خشية بعوض ولا اتقاء جرائم ، وقلت في نفسي ليفعل البعوض ما شاء فاني تحت تلك الكلة لا أستطيع الفمض ولا دققة والنوم سلطان لا يغالب فلا بد من طاعته ورحم الله القاتل :

إذا لم يكن إلا الاسنة مركبا فلا يسع المضطر إلا ركوبها

فوجدت على ذلك السطح خشبة عارية عن الفرش اضطجعت عليها و كنت أمشي على رموس أصابعي حتى لا يستيقظ أحد لافؤاد حمزة ولا خدمه فاني لأحب أن أزعج أحداً ولا ان أسلب راحة الناس لاجل راحة نفسي . على اني لو أيقظتهم وأزعجتهم وسلبت راحتهم فلا أعلم ماذا كانوا يقدرون أن يصنعوا لي وجميع تلك الملل التي وقفت في طريق رقادني لم يكن مصدرها اعواز أسباب الرفاهة وانما كان مصدرها الجو .. وما حياتي وما حيلتهم هم في الفلك ؟

فارتيمت على تلك الخشبة بدون وطاء سواها ولا غطاء سوى القميص . وهكذا أمكنني قبيل الفجر ان اهوم تهوياً أشبه باليقظة منه بالنام . ولكن لم يصبح الصباح حتى قامت القيامة اذ استيقظ الجميع فرأوني على تلك الحالة فأخذوا يدوكون في الطريقة التي تلزم لاجل تمكيني من الرقاد ، وبهذه المذاكرات أطاروا ما كان بدأ من تهومي ، ولجل توفير راحتي سلبوا تلك البقية الباقية من



راحتي . وفي هذه الاثناء طاعت الشمس ليس من دونها حجاب لاني كنت على  
السطح كما قلنا ، وانا لم أكن أقدر أن أنام في الظل ولا في العتمة فما ظنك في  
الشمس فهضت برغم أنفي وانا اقول : يا من يأتيني بنخب عن الكرى

وأخذ فؤاد بك يفكر في الاستعدادات لمركة الليلة الآتية ، وصاروا  
ينظرون في وجوه الوسائل وفتون الذرائع حتى يتمكن من الرقاد ثاني ليلة، ولكن  
لم يكن في الحقيقة من وسيلة تنفع ، ولا من ذريعة تنجع، لان العلة هي شدة الحر  
وعدم اعتيادي مثل هذا الجو ، وقد يقال إن فؤاد بك حمزة هو ابناي مثلي وبلدته  
مصيف شهير وهي عبية، ولم يتعود جسمه الحرارة ، ولكن بيني وبين فؤاد بك  
حمزة فرق ثلاثين سنة . ففوة المقاومة التي عنده ليست عندي ، ولذلك لم يتمكنوا  
في الليلة التالية برغم جميع الوسائل من أن يجعلوني أنام ، وخسر فؤاد بك المعركة  
والحقيقة ان الدائرة انما كانت تدور علي وحدي لاني أنا الذي لم يكن ينام

ولما وصل الخبر عما أعانيه إلى جلالة الملك ، بمكان ذلك الاسد من الجمع بين  
الاضداد من الصلابة والشمم والخنو والتواضع ، أشار بان انتقل إلى محلة الشهداء  
بظاهر مكة رعيًا خلفه حرارتها عن حرارة مكة، فان لجلاته هناك مقصفاً بديعاً  
أنيقاً في وسطه صهرج ماء عظيم ، وأدمه بستان حديث العراس ، فسيح الرقعة  
سيكون يوماً من الجنان المشهورة ، فكان يدري أيده الله ان بين الشهداء والبلدة  
فرقا كبيراً في الجو ، واني لو بت في ذلك المقصف الذي لجلاته لما كنت أحرم  
طيب الرقاد . إلا أن مضيفي فؤاد بك لم يكن يرغب في ان أتحوّل إلى الشهداء  
خشية أن ينقصني شيء من أسباب الراحة التي لا يأمن على اسنكالها إلا اذا كان  
هو قريباً ، والحال أن الشهداء هي ريبض من أرباض مكة ومن هذه اليها مسافة  
وأنا لم أكن أريد أن آتي مالا يروق فؤاد بك، وكنت أقول في نفسي : هن ليال  
قلائل أقضي مناسك الحج ثم أصعد الى الطائف . فعلى فرض اني لم أنم هذه  
المديدة ، فلن تنفذ بها قوة مقاومتي للطبيعة . ولذلك عصيت أمر الملك في هذه  
وندمت ولا ندامة العصاة الذين شاقوه في السنة الماضية

## الكلام على الزاهر

الشهداء هو المكان الذي يقال له في التواريخ « الزاهر » وهو اسم طابق سماه : بسيط افصح تلعب فيه الرياح بدون معارض إلا من بعض آكام على جوانبه تزيده بهجة ، وأهاضيب وتلعات اذا أقبل الربيع تكلمت بالازاهر ، فسمي من أجلها الزاهر . وهو في ابان التقيظ أخف حرارة من الباردة لاسيما بعد غروب الشمس ، وأنتقى هواء وأنشط صقما . وفيه مياه تجري في قنى تحت الارض من قديم الدهر ، وبقايا قصور لاشراف البلاد وسراته ، وفيه مقاه على الطريق للسابلين ، ومقاه على نجوة من الطريق يتأهبها الناس من مكة عند الغرب فيبيتون فيها ويعدون عند الصباح إلى أشغالهم بمكة ، ويكون مبيتهم على مقاعد مستطيلة في الخلاء فلا يضع الواحد منهم رأسه على مخدته إلا ثقلت أجفانه من لطف الهواء فينام إلى الفجر مستريحاً ويقوم إلى صلاة الصبح أشد من الحديد . وفي الزاهر مكان صغير اصديقنا الشيخ الشيبى الكبير سادن البيت للمعظم الذي بسلامة ذوقه له في كل واد من الحجاز منتجع ، وفي كل جبل مصيف أو مرتبع

ولما ودعت الحجاز بعد اياي من الطائف تلطف الشهم الكريم الشيخ عبد الله سليمان ناظر المالية فادب لي في الزاهر مادبة ودعا الجم الغفير من كل ما في البلد الامين من سيادة تجرر أذيالها ، ومحادة تضرب بعروضها أطوالها ، وبلاغة تضرب أمثالها ، وفصاحة اذا نطقت يقال من ذا قالها ، فكانت ليلة ندر أن يعرف الناس مثالها ، وقال فيها أحد الاخوان انها ليلة من قبيل قصص ألف ليلة وليلة لكثرة ما كان فيها من نمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، ومصاييح منورة ، وأعلام منشرة ، ومقاعد مجللة ، وحفان من الشيزى مكللة . وناهيك بالعربي القمح ، الذي

لا يعرف إلا من انقاموس معنى الشح ، وبمن جمع بين الحجاز ونجد ، اذا ما ارتفعت راية المجد

ومن بعد ذلك بقيت في أواخر مقامي مكة أتردد إلى الزاهر عصر النهار وأتندم على فوتي إياه قبل الحج . وكان ينشرح صدري في كل مرة أفيض فيها من وراء تلك الآكام إلى بسيط الزاهر

واذا وصلت إلى انقصف الملوكي جلست طويلا على حرف ذلك الصهريج الذي يخز مزرابه، ويكاد يتلاطم عبا به ، وقد يشتد الحر فلا تأنف من النزول إلى الصهريج والخوض فيه لاجل اتبرد ، ويكون معنا من الاخوان في هذا النزول من جل قدره وعلت منزلته . وقد أمسكنا باديء ذي بدء عن النزول إلى الماء تفاديا من أن ينسب اليينا اطراح الحشمة، وتغلب الحرارة على الهمة، إلا اني تذكرت أن قاضي الجماعة بقرطبة المنذر بن سعيد البلوطي بمكانه من العلم والورع وجلالة القدر ، ومشيخة الاسلام في ذلك القطر ، قد اشتد به الحر في أحد الايام إلى حد ان أمره الخليفة الحكم المستنصر بن الخليفة عبد الرحمن الناصر أن ينزل إلى صهريج كانا جالسين بجانبه في زهراء قرطبة — التي زرت اطلالها هذه المرة (١) فنزل مولانا الاستاذ ولم يبال ، والحشمة والحرارة قلما يجتمعان على الشروط المرعية في البلاد الباردة

فلما كنت بقرطبة في شهر يوليو الفائت ولقيت فيها مالمقيته من شدة الحر عذرت قاضي الجماعة في خوضه صهريج الزهراء ، ولكن حر مكة المكرمة يزيد بمشر درجات على حر قرطبة ، فخوض صهريج الزاهر أقرب إلى العذر من خوض صهريج الزهراء ، وأنا أبعد عن المشيخة من القاضي منذر بن سعيد

(١) كانت كتابتي لهذه السطور بعد سياحتي الى الاندلس اه من الاصل

الصعود إلى عرفة في شدة المرض

ثم نعود إلى قضية التياثنا فنقول : اننا بعد قضاء بضع ليال على هذا المنوال بلغ منا النهك مبلغه ، ثم كان لا بد من أن نصعد إلى عرفة قبل لوقفه ، فأغى علينا في الطريق وسار بنا اللذان كان معنا في العربة فؤاد بك حمزة والسيد حسين العويني إلى منى ، فاسترحنا هناك إلى الصباح ، ولكنه لم يكن بد من الذهاب تلك الساعة إلى عرفات فذهبنا إليها وأنا على ما أنا عليه من الاعياء ، ثم أفضنا مع الحجاج الكرام عاندين إلى منى حيث بقنا ليلتين لقضاء المناسك ، فما رجعت إلى مكة وقضيت المناسك إلا وكنت مريضاً جد مريض . ولم يثقل علي ذلك لان الحج الشريف تطهير وتمحيص ، فرجوت ان يكون المولى سبحانه قد غفر لي ذنوبي الكثيرة التي يستحق تمحيصها أكثر من هذه الاوصاب . والله غفور رحيم ( يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله )

الاتجاه إلى الطائف

ولما اشتد بي الضعف قلت لآخواني : لا ينقذني مما آنا فيه إلا الطائف . فأنا أدري بنفسي ، ومتى نشقت هواء الجبال لم يبق علي خوف ، فتردد فؤاد بك قليلا خشية ان لا يكون قريباً مني وأنا على هذه الحال ، فقلت له : إن كنت تحبني فدعني أصعد إلى الطائف بدون تأخير .

وقد كان هذا رأي سليمان شفيق باشا ناظر الحربية في تركيا سابقا المقيم الآن بخدمة الملك ابن سعود ، فانه نهى عن ان أترث ساعة واحدة ولو لاجل اعطاء التواصي اللازمة لأمير الطائف بترفيه مقامي وتوثير مسكني . ولما جيء بالسيارات لأصعد بها إلى الطائف شعرت من الفرح بنشاط غريب ممن هو على تلك الحالة ، ونهضت مسرعا أستقبل الحياة من بعد ان كنت على ثنية الهلاك . فسرنا إلى محطة اسمها « الشرائع » على مسافة ساعتين بالسيارة من مكة ، ومن هناك رجع إلى

مكة الاخوان السراة الافاضل الذين تلتطفوا بوداعنا: الدكتور محمود بك حمدي مدير الصحية وفؤاد بك حمزة وكيل الخارجية، والسيد عبد الوهاب نائب الحرم عضو مجلس الشورى، وبقي معي الاخ البطل المجاهد الشهير فوزي بك القاوقجي، والاخ الفاضل الدكتور خيرى القباني الذي صدرت الارادة الملوكية بان يلازمني إلى ان أنال الشفاء ونعم الاخ هو ونعم الطبيب الفاضل .

وليس فيه من عيب سوى قلة الثرثرة والجمجمة وعدم ايهام العلم الاوسع والشفاء الاسرع، فاذا استطب العليل لديه ورأى صمته وقلقلة شفتيه قال: يظهر ان المسئلة مقضية وزاده الخوف مرضاً، وقد فات الاخ القباني ان الجمجمة هي نصف الطب، وان المريض كلما سمع ألفاظا لا يفهمها وكلمات فنية لم يسمعها ازدادت ثقته بالطبيب، وقد يحصل على الشفاء بدون دواء . لاسيما اذا كان الطبيب يعرف أن يرصف تلك الالفاظ ويسير بها بسرعة كلية، فلا يبقى شبهة عند عليه بانه أحذق الاطباء

ثم اننا بعد ان رقدنا هزيماً من الليل قلنا للسائق تقدم بنا نحو « الزيمة » فسرنا اليها ولم يمض نصف ساعة حتى بلغناها . واذا بالزيمة عين ماء ثرة لها خرير يسمع من بعيد، فلما سمعت خرير الماء أخذ مني الطرب أن نفضت الضعف عني ونزلت من السيارة وذهبت إلى العين أتمتع برؤية الماء بعد ان سمعت صوته المطرب . ثم جاءنا شيخ قرية الزيمة يدعونا إلى فك الريق — لقمة الصباح — في بيته فذهب الاخوان ولم أستطع المشي لما كان النهك قد بلغ مني، فجاءوا إلي بالشاي إلى السيارة . ولم أنشط إلى الطعام كما نشطت إلى منظر الماء

ومن ثمة صعدنا بالسيارة في واد فيه كثير من شجر الطلح وسرنا ساعة من الزمن فبلغنا أعلى الوادي وهو المسمى بالسيل وعنده مقهى بسيط جداً يقوم عليه بدوي من عتيبه، إلا انه ذو قيمة في تلك البرية. والوادي هناك قريب الماء لا يجف

فيه الانسان ثلاثة أشبار الا أنبط . ولذلك تجدد فيه عدة مناقع عذبة  
وهذا هو المحل الذي كان في الجاهلية يسمى بذات عرق وفيه يقول الشاعر:  
ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام  
وأحسست في ذات عرق بنشاط مرير ، ومنها الى الطائف مسافة ساعتين  
يمر فيها الانسان على المكان الذي كانت فيه سوق عكاظ بالجاهلية ، وكنت كلما  
تقدمت صوب الطائف أشعر كاني آكل العافية أكلا . فلم يخطيء ظي اني لما  
كنت من أبناء الجبال لم يكن يشغيني إلا هواء الجبال . ولم تنزل أهوية الصرود ،  
ترمم ماهدمته أهوية الجروم

## الكلام على ذات عرق

جاء في تاج العروس عن ذات عرق ما يأتي :  
« وذات عرق موضع بالبادية كان يقال له قبل الاسلام عرق ، وهو ميقات  
العراقيين ، وهو الحد بين نجد وتهامة ، ومنه الحديث « انه وقت لاهل العراق ذات  
عرق » وهو منزل من منازل الحاج يحرم اهل العراق بالحج منه ، سمي به لان فيه عرقا  
وهو الجبل الصغير ، وعلم النبي ﷺ انهم يسلمون ويحجون فبين ميقاتهم » انتهى .  
وجاء في معجم البلدان :

« وذات عرق مهل ( بتشديد اللام ) أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة  
وقيل عرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق . وقال الاصمعي ما ارتفع من  
بطن الرمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق ، وعرق هو الجبل المشرف على ذات عرق »  
إلى أن يقول :

« وقال ابن عينية : اني سألت اهل ذات عرق أمتهمون أنتم أم منجدون ؟ »

فقالوا ما نحن بمتهمين ولا منجدين . وقال ابن شبيب : ذات عرق من الغور والغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من أوطاس إلى القريتين . وقل قوم أول تهامة من قبل نجد مدارج ذات عرق «  
وبالفعل تجد نفسك إذا بلغت ذات عرق وأنت ذاهب من مكة إلى الطائف قد ارتفعت ونشقت هواء نجد . ثم ان الطريق من « السيل » الذي هو من ذات عرق كله صعود إلى المكان الذي يقال له اليوم « القهاوي » والذي يقولون انه كانت عنده سوق عكاظ حسبما سمعت من أهل مكة ومن أعرقهم وأعتهم الشيخ عبد القادر الشيبى كبير بنى شيبة وسادن البيت الحرام ، ومن ذات عرق إلى الطائف بالسيارة مسيرة ساعتين ، وبعد أن تفوت ذات عرق بنحو نصف ساعة بالسيارة تجد على يسارك مفرقا للطريق المؤدية إلى بلاد العارض من نجد ، ومن هذه الطريق يسير الملك عبدالعزيز بن سعود عند ما يقصد الرياض وعليها تدرج سياراته التي تبلغ أحيانا مائة وسبعين سيارة فتصل إلى الرياض من مكة في أربعة أيام ، وهي على الجمل مسافة عشرين يوما ، ولو كانت الطريق معبدة كما يجب من مكة إلى ذات عرق ومن ذات عرق إلى الرياض لكان من الممكن الوصول في أقل من يومين . إلا ان تمبيد طريق كهذه على مقتضى أصول هندسة الطرق ينبغي له أموال لا تطيقها حكومة الحجاز ونجد في الزمن الحاضر ، وهي التي لا يساعد واردة على مثل هذه الانشاءات كلها ، فان الداخل قليل ، والحمل ثقيل ، والآمال متوجهة إلى تمهيد هذه الطرق تدريجاً . واما الآن فان درجة اصلاح هذه الطرق هي الدرجة التي يقال لها « على قدر الامكان » وتعبرها السيارات بدواليبها والخيول بحوافرها والاباعر باخفافها وهلم جرا

# الكلام على سوق عكاظ

وأما سوق عكاظ التي لم يسمع أحد بشيء اسمه اللغة العربية إلا سمع بها فليس لها من أو سوى الخبر وهو أنها في هاتيك المظنة . واصل لفظة «عكاظ» هو من فعل «عكظ الشيء يعكظه» أي عركه . وقال ابن دريد :عكظه قهره ورد عليه فخره ، وبه - كغراب - سوق بصحراء . بين نخلة والطائف ، يريد ان عكاظ على وزن غراب . وقال الاصمعي :عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه كانت تقام سوق العرب . وقل الزمخشري : عكاظ ماء بين نخلة والطائف إلى بلد يقال له الفنق كانت موسما من مواسم الجاهلية تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوما . قال ابن دريد : وكانت تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون . قل في تاج العروس : زاد الزمخشري كانت فيها وقائع وحروب ، وفي الصحاح فيقيمون شهراً يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون شعراً ، فلما جاء الاسلام هدم ذلك

وأنشد الجوهري لابي ذؤيب

إذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف

وقال أمية بن خلف الخزاعي :هجو حسان بن ثابت الانصاري

الامن مبلغ حسانت عني مغلغلة تدب إلى عكاظ

أنيس ابوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا في الحفاظ

يمانيا يظل يشد كيراً وينفخ دائماً لهب الشواظ

فأجابه حسان رضي الله عنه ، ولو لم يكن بالذي إذا سوجل لايملاً الدلو

إلى عقد الكرب - :

أتاني عن أمية زور قول وما هو في المغيب بندي حفاظ



سأنشر ان بقيت لكم كلاما      ينشر في المجنة مع عكاظ  
قواف كالسلاح إذا استمرت      من الصم المعجزة الغلاظ  
تزورك ان شتوت بكل أرض      وترضح في محلك بالمقاظ  
بنيت عليك ابياتا صلابا      كامرالوسق قعّض بالشظاظ  
مجلة      تعممه      شنارآ      مضرمة      تأجج      كالشواظ  
كهمزة ضيغم بحمي عربنا      شديد مغارز الاضلاع خاظ  
تغض الطرف، ان القاك دوني      وترمي حين أدبر بالاحاظ

كامرالوسق أي كامر حمل البعير، وقمض مبنياً للجهول معناه عطف، والشظاظ خشبه عفاء محدة الطرف تجعل في عروتي الجواليق إذا عكأ على البعير، والاسد الخاطي المكتنز اللحم. وقال طريف بن تميم:

او كما وردت عكاظ قبيلة      بعثوا إلي عريفهم يتوسم

وجاء في معجم البلدان: «عكاظ بضم أوله وآخره ظاء معجمة. قال الليث: سمي عكاظ عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار أي يدعك، وعكظه لان خصمه بالالد والحجج عكظا. وقال غيره: عكظ الرجل دابته يعكظها عكظاً إذا جسها، وتعكظ انقوم تعكظاً إذا تحبسوا ينظرون في أمورهم وبه سميت عكاظ، وحكى السهيلي كانوا يتفاخرون في سوق عكاظ إذا اجتمعوا، ويقال عاكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة. وقال الاصمعي: عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له الاثيداء وبه كانت أيام الفخار وكان هناك صخور يطوفون بها ويحجون اليها. قال الواقدي: عكاظ بين نخلة والطائف. وذو الحجاز خلف عرفة، ومجنة بمر الظهران. وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيه أعظم من

عكاظ ، قالوا كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق  
مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم  
فيه إلى أيام الحج انتهى

وقال في المصباح المنير : عكاظ وزان غراب سوق من أعظم أسواق الجاهلية  
وراء قرن المنازل بمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن . وقال ابو عبيد : هي  
صحراء مستوية لا جبل بها ولا علم ، وهي بين نجد والطائف وكان يقام فيها السوق  
في ذي القعدة نحو من نصف شهر ثم يأتون موضعاً دونه إلى مكة يقال له سوق  
مجنة فيقام فيه السوق إلى آخر الشهر ، ثم يأتون موضعاً قريباً منه يقال له ذوالمجاز  
فيقام فيه السوق إلى يوم التروية ثم يصدرون إلى منى . والتأنيث لغة الحجاز  
والتذكير لغة تميم انتهى

قلت وقوله : وراء قرن المنازل بمرحلة أي وراء الوادي الذي يقال له اليوم  
وادي محرم ( بفتح فسكون ) وسيأتي الكلام عليه وهو من أنزه أودية الحجاز  
وهو يمتد إلى ذات عرق

وأما ان عكاظ صحراء مستوية لا جبل بها ولا علم فهو صحيح ، وإنما رأيت  
في ذلك الموضع صخوراً كباراً ورأيت أيضاً مسابيل ماء شتوية ، وكثيراً من شجر  
السدر والطرفاء هذا إذا كانت عكاظ في المكان المسمى بالقهاوي

## ذكر أسواق المغرب

لا ينبغي أن يظن أن أسواق العرب هي عكاظ ومجنة وذو المجاز فحسب بل كانت لهم أسواق عديدة غيرها . وقد جاءت في « صبح الاعشى » خلاصة هذه الاسواق ، قال :

كانوا ينزلون دومة الجندل ( هذه في الشمال على حدود الشام وتسمى الآن الجوف وهي من مملكة ابن سعود ) أول يوم من ربيع الأول فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء ، والاختد والعطاء ، وكان يعيشون فيها أكيدر دومة - وهو ملكها - وربا غلب على السوق كلب فيعشونهم بعض رؤساء كلب . فيقوم سوقهم هناك الى آخر الشهر ( يقال ان كلبا هم الذين يقال لهم اليوم الشرارات . وقوله يعيشون معناه يقصدهم (١) أصله مخصوص بالقصد ليلا ثم عم ) ثم ينتقلون الى سوق هجر من البحرين في شهر ربيع الآخر فتكون أسواقهم بها . وكان يعيشون في هذا السوق المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم - وهو ملك البحرين - ثم يرتحلون نحو عمان من البحرين فتقوم سوقهم بها . ثم يرتحلون فينزلون إرم وقرى الشحر من اليمن فتقوم أسواقهم بها أياما . ثم يرتحلون فينزلون عدن من اليمن أيضاً فيشترون منه اللطائم وأنواع الطيب . ثم يرتحلون فينزلون حضرموت من بلاد اليمن . ومنهم من يجوزها فيرد صنعاء فتقوم أسواقهم بها ويجلبون منها الحرز والادم والبرود . وكانت تجلب اليها من معافر (مخلاف من مخاليف اليمن تنسب اليه الثياب المعافرية) ثم يرتحلون إلى عكاظ في الا شهر الحرم فتقوم أسواقهم ويتناشدون الاشعار ويتحاجون ، ومن له أسير سعى في فدائه ، ومن له حكومة

(١) قال في المصباح: وعشبهته بالثقل وعشوته اطعمته العشاء (يعني طامام العشاء بالفتح) وهو الذي يتعشى به وقت العشاء (بالكسر)

ارتفع إلى من له الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم -  
وكان آخر من قام بها منهم الاقرع بن حابس التميمي ، ثم يقفون بعرفة  
ويقضون مناسك الحج . اهـ

فيظهر للتقاريء من هنا أن العرب كانوا يقصدون جعل نصيب من هذه  
الاسواق لكل الجزيرة العربية مما يدل على الوحدة والاتصال ، فانهم بدأوا  
بالشمال وهو دومة ، ثم اثنوا نحو الشرق وهو البحرين وعمان ، ثم انمطفوا إلى  
الجنوب وهو اليمن ، ثم جاءوا إلى الغرب وهو الحجاز . والمسافون لم تكن تطول  
عليهم مها تراخت وتناوت ، ولو لم تكن يومئذ سيارات كهربائية ، فانه لا يوجد في  
البشر أقدر على طي المراحل وإنشاء الرواحل من العربي ، وهو بطبيعته يحتمر طول  
المسافات ولا يراها بالنسبة إلى همته شيئاً

على أني أرى صاحب «صبح الاعشى» أهمل « المربد » من أسواق العرب  
وهو سوق عظيم في البصرة - أو عظيمة ، لان السوق تذكر وتؤنث مثل الطريق (١) .  
ولعل إهماله ذكرها هنا هو من أجل أنها سوق محدثة في صدر الاسلام ولم تكن  
في الجاهلية ، وأصله سوق للابل ، ثم صار محلة عظيمة يسكنها الناس . قال ياقوت  
«وبه كانت مفاخرات الشعراء ، ومجالس الخطباء ، وهو الآن بائن عن البصرة  
بينها نحو ثلاثة أميال وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب » وعلى كل  
حال أشهر أسواق العرب عكاظ ، ومن محفوظي هذا الشعر للفرزدق

«١» في النصفحة التي قبل هذه التذكير والتأنيث في عبارة صبح الاعشى  
ولعلها محرفة وتذكير السوق لغة ضعيفة وقيل خطأ وأما الطريق فتذكيره لغة  
اهل نجد والتأنيث لغة الحجاز وكلاهما فصيح وقوله تعالى ( فاضرب لهم طريقاً  
في البحر يساً ) يوافق اللغتين لانه وصف بالمصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث  
وذهل عن هذا من قال انه جاء بلغة نجد

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها      يهدي الي غرائب الاشعار  
 فخلفت يازرعُ بن عمرو اني      رجل يشق على العدو خباري  
 أ رأيت يوم عكاظ حين لقيتني      تحت المعجاج فما شقت غباري  
 إنا اقتسمنا خطبتينا بيننا      فحملت مرة واحتملت فجار

وللاخ الفاضل المؤرخ، والشاعر المبدع السيد خير الدين الزركلي رأي آخر في مكان عكاظ، واليك ما قاله في كتيبه «مارأيت وما سمعت» الذي ألفه على رحلته الى الحجاز: «وعلى ذكر طريق السيل أو اليمانية لا أرى أن تفوتني الاشارة الى أشهر سوق من أسواق العرب أعني سوق عكاظ او وقوعها في تلك الضريق على مرحلتين من مكة المذهب إلى الطائف في طريق السيل يعيل قاصد عكاظ، واليمين فيسير نحو نصف الساعة وذا هو أمام نهر في باحة واسعة الجوانب يسمونها «القانس» بالكاف المعقودة — وهي موضع سوق عكاظ الذي لا تكاد تقرأ كتاباً من كتب الادب أو التاريخ العربي الا وجدت له ذكراً فيه

وهذه الباحة التي يسمونها «القانس» هي مجتمع الطرق الى اليمن والعراق ومكة، وهي مرتفعة نشرف على جبال اليمن وبينها وبين الطائف مرحلة واحدة كل ذلك يدل على مادعا العرب في الجاهلية لاختيار هذه البقعة المتوسطة من دون غيرها، لتكون مجمعهم الاكبر، ومعرضهم الاشهر، ولم أجد فيما بين يدي من مصنفات التاريخ عملياً لاتفاق القبائل على الاجتماع في هذا المكان غير ما عرفته الآن والواقف في القانس أو «عكاظ» يرى على مقربة منه موضعين مرتفعين أحدهما يسمى الدمة — بكسر ففتح — والآخر البهيتة — بصيغة التصغير — وعكاظ هو الفاصل بين الدمة والوادي الموصل الى الطريق التي يمر بها سالكو درب السيل «اليمانية» ثم نقل قول ياقوت عن عكاظ وختم بقوله: «وسمعت كثيراً من أهل الطائف يقولون ان عكاظاً كان في مكان يعرف

اليوم باسم « القهاوي » في وادي لية من الطائف ، غير أن الشيوع يؤيد ما قلناه  
 آ نفا من انه هو القانس نفسه وعليه أ كثر العارفين من أهل هذه الديار » اه  
 أفلا يحتمل أن يكونوا أقاموا السوق مرة في القانس ومرة في المكان المسمى  
 اليوم بالقهاوي ؟ على أن قول الاخ الزركلي ان القهاوي هي في وادي لية فيه نظر  
 لان القهاوي ليست في وادلية ولا وادي لية هو قريب من هناك ، فقد عرفت  
 وادي لية ، وسأتكلم عليه وهو الذي فيه لروض النضير ، والماء الغزير ، والدوح  
 الكبير ، والكروم التي ليس لها نظير ، والرمان الذي حبه كحب اليواقيت والذي  
 ذكره في البلاد يسير ، فأما مكان القهاوي الذي نعرفه جميعاً فهو صحراء مستوية  
 يابسة ليس فيها الا سدر وطلح وما أشبه ذلك ، فلا امكان للتأليف بين هذا  
 القول الذي سمعته وهذا الذي أذكره أنا الا على شرط واحد وهو أن يكون اسم  
 وادي لية يطلق على كل هاتيك الاراضي

ولقد رحم الله الحجاز بعدم دخول الافرنج اليه ، وبعدم جوسهم خلاله ،  
 وبعدم استطاعتهم الكتابة في جغرافيته وتاريخه ، اذ لو كان ذلك لرأينا العجائب  
 والغرائب ، ولشهدنا النجوم طالعة في النهار ، والشمس طالعة في الليل ، ولكانت  
 التعليقات على مظنة سوق عكاظ ، م. تضيق عن وصفه الالفاظ ، ولذهبوا فيها  
 من المذاهب وأوردوا من الفكر ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على  
 قلب بشر . فواحد يقول مثلاً ان اختلاف هذه الروايات بين القانس والقهاوي  
 قد يجعل ريبة في صحة كل منها - ولو قدر أن بين المكانين مسافة نصف ساعة -  
 وآخر يقول : ان مكان سوق عكاظ الحقيقي محاط بالعموض بحيث لا يقدر أن  
 يجزم أحد بشيء . وآخر يذكر انه توجد اسباب تدعو الى الظن بأن قصة  
 سوق عكاظ مخترعة لاجل أن تتخذ دليلاً على فصاحة العرب ، وآخر يقترح زناد  
 الفكر فيقول : ان كون الاقرع بن حابس التميمي حكماً في السوق دليل على انها

لم تكن في الحجاز بل في نجد لان بني تميم يسكنون في العارض لا في الطائف .  
 وافرنجي أعرق في مذهب الشك من غيره يقول: من المعلوم ان محمداً كان دعا  
 أصحابه الى إلغاء عادات الجاهلية كلها ، فأئمة الاسلام لاجل أن يؤكدوا صحة  
 إبطال هذه العادات اخترعوا من عقولهم قصة معناها انه كانت تقام بقرب الطائف  
 في الجاهلية سوق يقال لها سوق عكاظ تجرى فيها المنافرات والمفاخرات والمساجلات  
 بالشعر وان محمداً ألغاه ! وانه يوجد أمارات كثيرة تدل على أن تلفيق قصة عكاظ  
 هذه قد تقرر بين الخليفة والأئمة في زمن المستنصر العباسي أبي جعفر مثلاً أو في  
 سنة ٦٢٢ للهجرة في أواخر خلافة أبيه الظاهر أبي نصر مثلاً لانه كان قد ظهر  
 في ذلك العهد فقهاء ممنعوا الحرية الفكرية، وكانوا يمكن من التمسك الديني ! فلا  
 يبعد أن يكون هذا الوضع وقع في ذلك العصر !

وأخيراً تنتهي مسألة عكاظ هذه بأنه لا وجود لعكاظ أصلاً، وانها موضوعة  
 بعد الاسلام بكثير، وان روايات مؤرخي العرب عنها هي خيالية، وان التواطؤ  
 بين فقهاء الاسلام على اختراع قصص لاجل تأييد محمد قد كان أكثر مما يظن،  
 وأن أئمة أسباب تدعونا أن نشبهه في كوز الاشتباه الذي يتظاهر به مؤلفو  
 الاسلام أحياناً هو من الاشتباه الذي يدعو إلى الشبهة . وما مثل ذلك من  
 (التحقيقات أو التحليلات) التي قراءتها تعني من أصابه تسمم في المعدة عن أخذهم في  
 ولقائل أن يقول : أهكذا تحقيقات الافرنج ؟ وهم الذين بلغوا من العلم  
 والعرفان ما بلغوا ؟

فأقول : حاشا ان يؤخذ كلامي هذا على إطلاقه . ومن الافرنج العلماء  
 المحققون الذين يتزهون عن مثل هذه الاقاويل المقيئة ، ومن يعرفون أن شعر  
 الجاهلية هو الشعر المعروف المنسوب إلى الجاهلية ، وان سوق عكاظ هي التي كانت  
 تقام في أرض الطائف المذكورة وان الاشتباه في مثل هذه الامور خطة جائرة ،  
 وصفقة خاسرة ، ليست من العلم في قبيل ولا دبير

ولكن من الافرنج أيضاً فئة متجدلة متفلسفة في كل شيء ، مولعة بالقض  
 وهدم النظريات المقررة بدون داع إلى ذلك سوى الميل الى الاطراف والاتيان

بشيء جديد. وفي الشرق أيضا منتظمون لا يعجبهم إلا تقليد هذه الفئحة من الافرنج (١) وإذا جاز أن يكون شعر الجاهلية غير صحيح لزم أن تلحق به سوق عكاظ في عدم الصحة، لأنها السوق التي كان العرب يتناشدون فيها ذلك الشعر الذي زعم بعضهم انه مخترع بعد الاسلام! وعلى هذا تكون سوق المخترع مخترعة أيضا، لأنه إن لم يكن المظروف صحيحا لم يكن الظرف صحيحا

### الكلام على صخور تلك البلاد

مما اقتضى عجيبي في الطائف شكل الصخور - ( عامة الطائف تجمع صخوراً على اصغار ، والحال أن فعلا بفتح أوله لا يجمع على أفعال إلا في الفاظ معلومة ) ، فانه غريب جداً من وجوه ( أولها ) إن الصخور والجنادل هي بكثرة زائدة في كل هاتيك الجبال وفي السهوب التي تتخللها ( ثانيها ) إنها قد توجد مجموعة في أمكنة معلومة متراصفة بعضها إلى بعض كأنما هي مجتمعة على ميعاد ( ثالثها ) إنه تغلب عليها الملاسة بخلاف صخور جبالنا الشامية التي تغلب عليها الحرشة إلا ما كان منها في الاودية السائلة ( رابعاً ) إن أشكال بعضها غريبة جداً ، منها ما يشبه الشجر ، ومنها ما يشبه البشر ، ومنها ما تخل انه ينظر بعيون ، ومنها ما تخاله مطرقاً برأس ، ومنها ما هو مجوف تجويفاً يظنه الرائي من صنع البشر ، او مثقوب من مكان إلى آخر . وإن كثيراً من هذه الجنادل تراه منضوداً بعضه فوق بعض ، وفي أعلى الجميع صخرة هي الرئيسية تشبه رأس المنارة . والبدو يرون في هذا جمعيه يد الباري تعالى التي جعلت هذه الاشكال لأجل العبرة في قدرته تعالى . ولاشك في يد الله تعالى في هذا وفي كل شيء . ولكن الفرق بين العالم والجاهل هو في معرفة الاسباب المتوسطة . فالعالم يرى ثمة الاسباب وكما ازداد علماً طالت معه السلسلة فلا يزال يرتقى من سبب إلى سبب ومن معلول إلى علة حتى يقف حماره في العقبة فيقول :

« ١ » ذهل الامير اونسي هنا ان هؤلاء المنتظمين من الافرنج ومقلدتهم بينون جل فلسفتهم على الشك والتشكيك فيجعلون هذا الجهل والتجهيل اقوى وسائل العلم والتعليم وقد رد عليهم احسن الرد في مقدمته التي وضعا لكتاب ( النقد التحليلي لكتاب في الادب الجاهلي ) تأليف صديقه وصديقنا الامتاذ محمد احمد انمراوى



لا أدري . أو يقول: هكذا خلق الله . وأما الجاهل فإنه يصل إلى الله رأساً ويحذف السلسلة المتوسطة (١) على أن العالم والجاهل مستويان في العجز عن معرفة المكنه فهذه الصخور التي في الحجاز لا بد من أن تكون لاوضاعها وأشكالها هذه أسباب طبيعية متولدة عن أسباب سابقة. والذي يراها أول وهلة يحكم أن هذه التجاويف والتقاير وهذه الملمسة وهذا التدور وهذا الرأس وغير ذلك إنما هي من عمل الريح والماء في ملايين من السنين . وإن هذه الصخور العالية المشرقة المنتصبة على رؤس أكوام أشبه بالانصاب كأنها التماثيل التي ينحتها البشر بأيديهم وينصبونها فوق مكان مرتفع إن هي إلا بقايا صخور كانت كثيرة متلاصقة فلم تنزل سحب الامطار الغزيرة تجرف من حولها الاتربة اللازقة بها وتخل بموازنة بعضها فتهوي به من محله وتجره إلى الوادي، وتعري القائم الباقي منها وتجرده من التراب فيصير أملس مع شدة صلابته . ولقد وجب الآن أن نذكر شيئاً عن نظريات العلماء في شأن الصخور فنقول :

## كيفية تشكل الصخور

### ﴿ أو سنة الله في تكوين الارض وطبقاتها ﴾

كانت الارض من قبل اليوم بمئات ملايين من السنين عرضة لهز زبر كانية عنيفة، وكانت بومئذ غير مولدة ولا منبثة . وكانت سيول الامطار تغسل الارض بدون انقطاع ، والانهار تجري فياضة إلى البحار ، وكانت تجرف كتلا عظيمة من الطين فتصير فيما بعد صلصالا ، ويصير الرمل منها من نوع حجر المسن واقد عرف علماء الجيولوجيا هذه الكتل المتجمدة وما فيها من مواد وحكوا عليها بحسب طبقاتها لانها ذات طبقات . وعندما ان أقدم الصخور هي التي تكونت قبل تكون الابحر المعروفة اليوم . فان الارض بومئذ كانت أسخن من أن تتحمل بجرأ منفصلاً عن بر ، وانما كانت الكرة في أول الامر كلها مائعة ،

(١) اجدر بمن يعلم سلاسل الاسباب وانتظام فيها ان يكون اعلم بكال خالقها

في علمه وحكمته ومشيتته وقدرته

ومياه البحار الموجودة اليوم كانت بخاراً مختلطاً بالهواء . وكانت الطبقات العليا من الهواء ملامى بالسحب المتكاثفة التي تمطر مياها حارة فوق الصخور ثم تعود فتتبخر ثانية . وبهذه الكيفية أخذت الارض تجمد تدريجاً وظهرت الكتل التي يقال لها صخور ، وكانت هذه ذات قشرة تحتوي مادة سائلة شبيهة بمقدوفات الاطيات النارية عند ما تأخذ بالبرودة . وهذه القشرة كانت على شكل رغوة وصارت تذوب ثم تجمد ثم تذوب ثم تجمد بدون ان يتسنى لها صلابة مستمرة

ثم مضت ألوف من القرون كان من عملها ان بخار الفضا، ازداد تكاثفا وصار يتساقط مائه على الارض سبولا حارة فيصيب الصخور ويملاً المنخفضات والاغواط فتكونت من امتلاء هذه الغيطان الابحر والبحيرات والمستنقعات، وكانت المياه تأتي إلى هذه الصخور بالرواسب التي تكونت منها الاراضي . ومن هذه الرواسب ما كان يتراكم في المنخفض من الارض واماكن الهزاهز البركانية كانت لا تدع شيئاً منها يطمئن، وكانت المياه تعج ولا تزال تكس القشرة الارضية، فهذه الصخور مضى عليها من صنوف الاضطراب مالا يعلمه إلا صانع الجميع من العدم. وبعضها جاء طبقات فوق طبق ، وبعضها قد قشرته الاضطرابات وقد برز لا يحجبه حاجب. ومنها ما انفلق، ومنها ما انحطم بعوامل جديدة من حرارة صاهرة أو برودة مؤدية إلى الجود

ولم تكن هذه الصخور طبقات منتظمة ، لشدة ما عرت به من ادوار الاضطراب المختلفة، فتعذر على العلماء فهم تاريخها بسبب التبعض وعدم الاطراد وفقد النسق، وغاية ما عرفوا عنها وجود المواد المستحجرة مما كان نباتاً أو حيواناً. فهذا قد كان بدأ اليونانيون يعرفونه قبل المسيح باربعة قرون ، وقد جرى البحث فيه بين فلاسفة الاسكندرية . ويقول الكاتب الفيلسوف الانكليزي « ولز » ان العرب عرفوا أيضاً هذه المباحث في القرن العاشر بعد المسيح (١) إلا انه لم يبدأ العلم الحقيقي

« ١ » قال الامام الرازي: الاشبه ان هذه المعمورة كانت في سالف الزمان، معمورة في البحار فحصل فيها طين لزج كثير فتحجر بعد الانكشاف وحصل الشقوق بحفر السيول والرياح ولذلك كثرت فيها الجبال . ومما يؤكد هذا الظن اننا نجد في كثير من الاحجار اذا كسرناها اجزاء الحيوانات المائية كالاصداف والحيتان اه من شرح المواقب

## توقع استحواد البرودة على الارض وموت جميع الاحياء بها ١١٥

لهذه المواد المستحجرة إلا من مائة وخمسين سنة فقط، فصار الانسان يحل شيئاً فشيئاً من سطورها التي كانت مستعجمة . ولما يتفق الجيولوجيون على عمر هذه الصخور ، فإن أقدمها يقدر له مليار وستمائة مليون سنة ، وأحدثها عشرات ملايين من السنين

وقد كانت الارض في آمامد - لا يمكن أن يتصور العقل عددها ولا مددها - كتلة مشتملة بدون حياة ، ثم مضى عليها آمامد بقدر الاولى وهي جامدة غاية ما فيها من الحياة جراثيم في غاية الصغر تحتوي عليها أصغر نقطة من الماء . ولكن بعد ذلك دبّت الحياة في الارض ووجدت مخلوقات الدابة ، بدليل أنهم عثروا في هذه الصخور الاصلية الرسوبية على مواد رصاصية وعلى اكسيد الحديد الاحمر والاسود مما استنتجوا منه سبق خلائق حية إذ لا يمكن ان تكون هذه المواد إلا بقايا خلائق كهذه .

ونقول باختصار إن تاريخ ديب الحياة على الارض مقترن بتاريخ تجمد الصخور . فالكرة كانت سديماً فصارت ماء إلى ان صارت جماداً إلى ان خرج من الجماد النبات والحوان ، وقد كان هذا التحول فيها يميناها من الحرارة إلى البرودة بتولي الدهور . والجيولوجيون يرون أن هذه البرودة ستزداد إلى حد انه - بعد ملايين وملايين من السنين - يموت كل ما على وجه الارض من الخلائق الحية (١)

«١» هذا التقدير الذي يقدرونه لحياة الأحياء على هذه الارض هو من قبيل تقدير العمر الطبيعي لكل حي بحسب استعداده للحياة بمقتضى النظام الذي عرف بالاختبار في اسكمال نمو جنسه واطوار طفولته وشبابه وكهولته وشيخوخته ولكن العمر الطبيعي المقدر في ذلك غير العمر الحقبتي الذي يحول دون وصوله إلى العمر الطبيعي ببعض الاقدار الالهية من قتل او وباء او مرض لا يوفق للمالجه بما يكون سبب الشفاء كما وفق الاير أطال الله حياته بالصحة والسمية . كذلك الارض يظهر من نصوص كتاب الله خالقها ان لما عمرا ينتهي بقيام الساعة التي قال انها « لا تأتكم الا بغتة » ووردت آيات متعددة ناطقة بأن ذلك يكون بفارعة تفرعها وصاخة تصخبها فتكون هباء سديماً كما كانت قبل تكوينها « اذا رجبت الارض رجا \* وبثت الجبال ثناً \* فكانت هباء منبثاً » وقد فصلنا ذلك في المنار وتفسيره

فلما كانت الحرارة زائدة على الارض لم تحمل الارض الحياة لان الحياة لا تتحمل الحرارة الزائدة، وعندما تنقص الحرارة نقصاً نازلاً لا تتحمل الارض الحياة، لان الحياة لا تتحمل البرودة الزائدة، كل ذلك يدل على ضرورة التوازن لاجل الحياة ولعل بعض القراء يشتمزون من هذه المباحث « الكفرية » ويرون هذه التعليلات مما لا يأتلف مع العقيدة . وهذا خطأ محض لان هذه الادوار التي لا تحصى إلا بالملايين والمليارات من السنين هي أدل على قدرة الخلاق الحكيم تعالى وهي ولو طالت أضعاف ما هي لما أمكن ان يعطل لها وجود إلا بواجب الوجود وإما ان الارض وغيرها من الاجرام الفلكية كانت كلها كتلة واحدة من البخار ، ثم تفصلت كرات شتى وأخذت كل منها تتجمد شيئاً فشيئاً ، وإن مبدأ الحياة كان في الماء فليس إلا وفقاً للوحي النازل على محمد ﷺ وهو ( أولو لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ) ولكن قصور مفسرينا في العلوم الطبيعية وقف بهم عن فهم المراد من قوله تعالى في أكثر الآي الكريمة التي من هذا الضرب . وكانوا اذا قرأوا ( يوم تأتي السماء بدخان ) أشكل عليهم فهم الدخان هنا فقالوا ان مراده تعالى يوم تأتي السماء بجذب أو قحط، لان الجائع يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع او ان الجوع يقال له الدخان لما في الارض من اليبس في الجذب بحيث يرتفع منها الغبار الذي هو كالدخان وما أشبه ذلك من التفاسير التي هي أبعد من السماء عن الارض (١) والكتاب في محكم آياته قد تأيد بظهور النظريات العلمية المصرية التي

« ١ » لقد كان للأمر مندوحة عن تخطئة هذا التفسير للآية بالاستدلال على الرأي السديمي في التكوين بقوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها . قالنا أيتنا طائعين ) فهي نص في التكوين من الدخان الذي يطلق على بخار الماء وفسر به في الآية وعلى ما يشبهه . والآية التي ذكرها موضوع الدخان امر يرتقب حصوله في المستقبل وفيه قولان مشهوران مرويان لا رأيان للمفسرين . الأول ما ذكره الكاتب مجملاً وهو مروى على انه سبب لنزول الآية في الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه والثاني انه دخان يكون من اشراط الساعة وفيه عدة احاديث

أجمعت على الرأي السدي في مبدأ التكوين ، وأثبتت أن هناك كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه أشار بكلمات موجزات تلخص فيها الرأي السدي الذي أجمعوا عليه في هذا العصر على حين أنه في زمن نزول القرآن لم يكن رأي سدي ولا شيء من هذه النظريات وكان الذي أنزلت عليه هذه الآيات أميا لا يقرأ ولا يكتب ومن أراد أن يعلم معجزات القرآن من جهة سبقه إلى ذكر النواميس الطبيعية التي عول عليها العلماء اليوم في أصل التكوين فليقرأ كتاب « سرائر القرآن » للغازي الفلكي الرياضي احمد مختار باشا رحمة الله (١)

### قرية لقيم وكرومها ومياها

ان المسافة من المكان الذي كانت فيه سوق عكاظ إلى مدينة الطائف هي نحو من ساعة بسير الكهربية، وجميع المسافة من البلد الحرام إلى الطائف بالكهرباء نحو من خمس ساعات واول ما يستقبل الانسان في مسيره إلى الطائف هي قرية لقيم « بضم ففتح فسكون » وهي قرية لطيفة فسيحة الارعاء لا يظنها من رآها قرية واحدة وذلك لتفرق بيوتها وتراخي ما بين حاراتها . والسبب في هذا التفرق أن أكثرها خاص بالاشراف وأكثرم يسكنون في بيوت منفردة مسورة تحيط بها بساتينهم ومزارعهم، فكل واحد منهم يريد أن يعيش مستقلا بنفسه في منزله وزرعه وضرعه وجميع حرافقه ، ومعظم هؤلاء الاشراف هناك من ذوي ناصر واشهرم لهذا العهد الشريف (فطن) فهو أطولهم يدا ، وأوسعهم كرما ، وأكثرم كروم عنب ، ومما لا ينبغي أن ينسى ان عنب « لقيم » هو رأس عنب الطائف في اللذة والحلاوة وان عنب وادي محرم اي قرن المنازل هو رأس عنب الطائف في كبر الحجم مع الحلاوة، وتحسبه جوزا إذا رأيت ، وقد كنا نضع منه الجبة في دورق الماء فتقف في عنقه وتسده وفي لقيم عدد غير قليل من انسواني تحركها البقر لا بالدوران حول البير كما هو الشأن في سورية مثلا، بل بالنزول في منحدر من الارض إلى جانب البير ثم الصعود (١) قد سبقنا احمد مختار باشا الى بيان كثير من هذه المسائل في المنار وفي تفسيره

ثانية فاذا نزلت الدابة في ذلك المنحدر صعدت الظروف المعلقة بالاشيطان من قعر  
 البير وقد امتلأت ماء ولم تزل تصعد إلى أن تصير على قم القناة التي ينصب فيها  
 الماء جاريا إلى البركة ففرغت الظروف ماءها ورجعت الدابة من آخر المنحدر  
 صاعدة نحو البير ، فنزلت بتلك الظروف ثانية إلى قعرها لتمليء ماء وهلم جرا ،  
 وإلى اليوم لم يعتمد أهل الطائف والقرى التي حولها على الآلات البخارية  
 الرافعة ولا يزالون على عاداتهم القديمة في رفع المياه ، وقد رغبتهم كثيراً في استعمال  
 المحركات البخارية لما فيها من التوفير ومن زيادة الري وذكرت لهم كيف ان أهل  
 المدينة المنورة قد عولوا عليها في السنين الاخيرة فوجدوا فرقا عظيما في كمية الماء  
 الذي يستفيضونه واستخلصوا دوابهم التي كانت تهلك في هذا الصمود وهذا  
 النزول ، فاعتدروا بان مياه المدينة اغزر من مياه الطائف وانها رفعت الآلات  
 منها فلا تنزحها ، بخلاف مياه الطائف وجوارها فان الآلة البخارية إذا اشتغلت  
 بضع ساعات فوق قم قلب نزلت كل ما فيه واضطر صاحب البير أن يعطل  
 الآلة مدة ساعات أخرى حتى يجتمع فيها كمية من الماء . والحقيقة ان البداية  
 كما يقال صعبة في كل عمل والا فان آبار الطائف وقراها - وقد تحصي بالالوف -  
 ليست جميعها سواء في النزارة ، ومنها آبار فائضة لا تنزحها الدلاء ولو تحركت آلاتها  
 الرافعة ليلا ونهاراً ، وقد اقتنع بهذه الحقيقة في أثناء وجودي في الطائف صيف  
 سنة ١٣٤٨ صاحب السمو الامير فيصل نجل ذي الجلالة الملك عبد العزيز بن  
 سعود - ونائبه في الحجاز عند ما يكون الملك في نجد - فأراد أن يشرع هو  
 بالعمل ليقندي به أصحاب السواني ، وبعث إلى جدة فاستحضر آلة تدار بزيت  
 الغاز وأمر بتركيبها على إحدى آبار « شبرا » في اول الطائف ، وما ظن أصحاب  
 البساتين إلا مقتدين بعمله لانه انما عمله لاجل أن يكون قدوة لاغير

هذا وفي لقيم سدود كثيرة للمياه إذا شاهدها الغريب ولم يكن يعلم طبيعة  
 الاقليم ظن انها اسوار للحصار ، وحقيقة الحال ان الماء في هذه البلاد عزيز فاذا

جاءت سحابة ملأت، السهل والوعر واماالت الاودية وقد تكون السحابة لم تستمر أكثر من ساعة . ثم تعود الارض فتتسدف كأن لم يصبها نقطة مطر . فأهالي جزيرة العرب من قديم الدهر احتاطوا اللامطار بالسدود والحواجز لتحويل المياه إلى أشجارهم وزروعهم واعدم ذهاب الماء سدى ، ومن هذه السدود ما كان يضرب به المثل وما كانت تحيا به بلدان وقبائل مثل سد مارب مثلاً ، وكيفما تقلب السائح في جزيرة العرب وجد السدود والحواجز والقنى بين كبير وصغير ناطقة بلسان حالها انه يجب احراز اياه بقدر الامكان لانه لا يتيسر هنا في كل وقت ، ولقد صادفنا في جوار الطائف كثيراً من السدود القديمة الخربة، ولحظنا آثار عمران دراسة، كانت في أصولها جنانا ناضرة ، ومما لاصرية فيه ان جزيرة العرب ملأى بهذه الآثار ولكن ليس لها كتب تفي بالتعريف عنها إلا ما كان من كتب الهمداني

و « لقيم » موصوفة بجودة الحنطة والحبوب ولذلك جاء في تاج العروس «الحنطة اللقيمية الكبار السروية التي تؤتى من السراة او نسبة إلى لقيم كزبير بلدة بالطائف موصوفة بجودة الر والشعير »

وفي لسان العرب: لقيم اسم رجل ولا أدري اسميت هذه القرية باسم رجل اسمه لقيم ام هي تصغير لقم بمعنى طريق ؟

وقد جاء ذكر « لقيم » في تواريخ الطائف نقل ابن فهد الهاشمي المسكي المتوفى سنة ٩٢٢ في كتابه (تحفة اللطائف، في فضائل الخبر بن عباس ووجو الطائف) عن كتاب (زيارة الطائف) لابن ابي الصيف مفتي الحرمين ان النبي ﷺ كان قد كتب إلى ثقيف كتابا يحرم فيه صيد ووج وكانت ثقيف تتوارث هذا الكتاب وتبرك به . قال الشيخ ابو العباس الميورقي الاندلسي في كتابه « بهجة المهج » مايلي : « قل لي تميم بن حمران الثقيفي العوفي: قتل ابي رحمه الله تعالى في نوبة قتل الشريف قتادة الحسني لمشايخ ثقيف أهل

بني يسار من قرى الطائف وانتهاج الجيش البلاد، ففقد الكتاب في جملة ما فقدناه وهو كان عند أبي اسكونه شيخ قبيلته . ثم قال الميورقي بعد ذلك، قال قاضي الطائف يحيى بن عيسى رحمه الله : قتل عيسى أبي في هذه النوبة في قرية لقيم لثلاث عشرة من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وستائة ، وكان موت الميورقي رحمه الله تعالى بعد موت ابن أبي الصيف رحمه الله تعالى بقليل

قال ابن فهد المذكور : وقد زرت هذه الآثار المباركة مع والدي رحمه الله وذلك في سنة خمس عشرة وتسعمائة خلا البئر والموقف اللذين بناحية « لية » فلم يتيسر لي زيارتهما ، ورأيت المسجد الكبير الذي فيه قبر سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما خرب بل سقط بمض اروقته وجدرانها وعمر بعضها عمارة ضعيفة، وكذلك بناء الآثار النبوية التي في وسطها، وأحدث به قبور لجماعة صاحب حكمة السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسيني رحمه الله تعالى ، منهم ام ولده الفارس الشجاع السيد هزاع ، وقاصده إلى الديار المصرية الشريف عنقا ووير الحسيني ، وايس بالمسجد جمعة ولاجماعة والظاهر انهما كانا فيه قديماً لوجود المنبر به ، وكذلك جميع القرى المتصلة بالطائف فاني لما زرتها في المرة الاولى لم أربها جمعة . ثم ان الجناب العالي القاضي نور الدين علي بن خالص المغربي المالكي النائب بمجدة بعد المقر الحسامي الامير حسين الكردي الاشرفي لما توجه الى جهات الهند لقتال الافرنج المخذولين امر اهل الطائف بصلاة الجمعة وذلك باشارة سيدنا العلامة المفيد رئيس الحكماء نورالدين احمد بن محمد بن خضر القرشي الكازروني الشافعي فجمعوها في سنة خمس عشرة وتسعمائة واستمرت الى ان زرت الزيارة الثانية في السنة التي بعدها وهي موجودة بعد ذلك في غير المسجد الكبير الذي فيه قبر سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فانه منفرد عن القرى وسط التربة يصعب على اهل البلاد التوجه اليه لبعده عن بعضهم وكونهم لا يسمعون النداء منه والله الامر من قبل ومن بعد اه

(قلت) هذا قد كان يوماً من الايام فأما الآن فالجماعة تقام في مسجد ابن عباس المعمور- ويصلي فيه اهل الطائف وقراها وفي أيام الصيف عندما يكون اهل



حكمة في الطائف يجتمع فيه نهار الجمعة الوف مؤلفة ثم جاء في كتاب (اهداء اللطائف من اخبار الطائف) للمجيمي المكي ان في لقيم قبور بعض الصحابة والله أعلم ومن ذكر « لقيم » الاخ الفاضل المؤرخ السيد خير الدين الزركلي الشاعر الشهير ، فقد أتى على ذكر قرى الطائف باجمعها مما لم يرد مجموعاً ولا في كتاب . ويكفيه أن أبا محمد الحسن بن احمد الهمداني صاحب « صفة جزيرة العرب » الذي لم يؤلف أحد في بابيه مثله وصاحب كتاب الاكامل الشهير قد ذكر طرفاً من قرى الطائف لكنه لم يوفق إلى الاستقصاء الذي استقصاه الخبر الزركلي فهو يقول عن لقيم ما يلي :

« لقيم واد طويل خصيب يجتاز في أقل من ساعتين أوله مزارع الشدايين بعد المايساء ، وآخره قرية الصفاة على مايزعمون ، وعندني أن آخره جبل رغاف . وهو كثير القرى والمزارع وقد اتيت على اسمائها في مواضعها . وفي كتاب المجيمي ان لقيما قرية كبيرة مشتملة على بساتين ومزارع وآبار . ثم قال وهي مسكن جماعة من ثقيف يقال لهم الحمدة ، وقد قتل صناديدهم الشريف زيد بن محسن في حدود سنة ١٠٤٠ لخروجهم عن طاعته اه . والذي صح عندي أن جماعة ثقيف يسكنون قرية المايساء وقد تدعى باسم الحمدة الذين ذكرهم المجيمي لسكنام بها إلى الآن أما لقيم ففيه من ثقيف وغيرها من قبائل العرب عدد غير قليل منتشرون في مزارع هذا الوادي وقراه . وأما اطلاق اسم القرية عليه فلا أعلم له وجهاً إلا ان كانت فيه قرية تدعى لقيما تغير اسمها بعد زمن العجمي وأطلق الاسم على الوادي كله « اه قلت : المعروف الآن أن لقيما هي هذه البيوت التي تمر بها تارة تراها عن يمينك وتارة عن شمالك قبل دخولك إلى الطائف . فأما الحدود الاصلية ، للقيم فلم استعلم عنها ولعالمها كما قال الفاضل الزركلي

وقرأت مرة في أحد كتب الادب ابياتاً لرجل اسمه اللقيمي نظمها لتنقش على قبره وضمنها بحساب الجمل تاريخاً يوافق سنة ١١٧٨ وأخر هذه الابيات هو هذا  
 ماذا ثوى قبر اللقيمي ارخوا مستمنح للعفو أسعد مصطفى  
 هذا ما حضرني من أمر لقيم ولا بد لي من أن أردفه بهذه النادرة لوقوعها فيها :

## الامن الشامل في بلاد الملك المعادل

### الإمام عبد العزيز السعدي

كنت صاعداً مرة من مكة الى الطائف وكانت معي عباءة احسائية سوداء جعلتها وراء ظهري في السيارة فيظهر انها سقطت من السيارة في أرض لقيم، ولم ننتبه لها ، فأخذ الناس يمشون فيرون هذه العباءة ملقاة على قارعة الطريق فلا يجرا أحد أن يمسه، بل شرعت القوافل تنكب عن الطريق القمه عمداً حتى لا تمر على العباءة خشية انه اذا أصاب هذه حادث يكون من سر من هناك مسؤولاً، فكانت هذه العباءة على الطريق أشبه بأفعى يفر الناس منها ، بل لو كانت ثمة أفعى ما تجنّبوها هذا التجنب كله ؟ وأخيراً وصل خبرها الى أمير الطائف محمد بن عبد العزيز من سلالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فأرسل سيارة كهربائية من الطائف أتت بها وأخذ بالتحقيق عن صاحبها فقبيل له اننا نحن مررت من هناك وان الارجح كونها سقطت من سيارتنا ، فجاء الامير ثاني يوم يزورنا وسألنا : هل فقد لكم شيء من حوائجكم في أثناء مجيئكم من مكة ؟ فأهبت برقتي ليفتقدوا الحوائج فافتقدوها فاذا بالعباءة السوداء مفقودة وكنا لم ننتبه لفقدانها، فقلنا له : عباءة سوداء احسائية قال : هي عندنا وقص علينا خبرها

وقد أتيت على هذه النادرة هنا مثل من أمثال لا تعد ولا تحصى من الأمن الشامل للقليل والكثير في أيام ابن سعود مما لم يتحدث عن مثله التواريخ حتى اليوم. فالملك الذي سقطت فيه العباءة كان في الماضي كثيراً ما تقع فيه وقائع السلب والقتل ولا يمر الناس فيه إلا مسلحين. فأصبح اذا وجدت اقمطة هناك على قارعة الطريق تجنب الناس الطريق لثلايتهم وابها اذا فقدت، وكل يوم يأتي الشرطة والخبراء والمسس بقطع وحاجات ضائعة مما فقدته السفار أو سقطت بدون انتباه عن الاكوار وذلك الى دائرة الامن العام فتبحث عن أصحاب هذه اللقطات وتردها لهم بتامها بما يقضي بالعجب وإنك لتجد هذا الأمن ممدود الرواق على جميع البلدان التي ارتفعت فيها

رأية ابن سعود من منجد. ومنتهم ومعرق ومشتم بدون استثناء ، وقد علل بعضهم هذا التأمين البليغ للسوابل بأنه من أركان عقيدة الوهابيين الذين يقولون :

وما الدين إلا أن تقام شعائر وتأمين سبل بيننا وشعاب

قلت أيّاً كان السبب في هذا الأمان فإنه نعم العمل ولا يوجد معنى للحكومة إن لم تكن أول ثمراتها الأمن والعدل ، ولو لم يكن من مآثر الحكم السعودي سوى هذه الأمانة الشاملة الوارفة الظلال، على الأرواح والأموال، التي جعلت صحاري الحجاز وفيافي نجد آمن من شوارع الحواضر الأوربية. لكان ذلك كافياً في استجلاب القلوب إليه، واستنطاق اللسان في اثناء عليه ، فأيوم نجد التاجر والفلاح، والحادي والملاح، والحاج القاصد على الضواصر أو على الجوارى المنشآت بالدر والالواح ، يتحدثون بنعمة هذا الأمن الذي أنام الانام بملء الاجفان ، وجعل الخلق يذهبون ويحيثون في هاتيك الصحاري ، وقد يكون معهم الذهب الرنان، وهم بلا سلاح ولا سنان، فلا تريد من هذه الجهة مزيداً وانما ترجولنده النعمة الدوام، فلا عمران للبلاد إلا بالأمان والاطمئنان

### ذكر أمير الطائف الملقب بالصحابي

ليس أمير الطائف المشار إليه هو المنفرد بمزية الضبط والربط في الامارة التي عهد بها إليه ، بل هذه الحلمية عامة للامارات والولايات التي يظللها لواء ابن سعود كلها ، إلا ان أمير الطائف محمد بن عبدالعزيز... بن عبد الوهاب وهم يقولون ابن الشيخ. هو نسيج وحده في أخلاقه وتقواه وورعه، ونقاء سريرته وزكاه سيرته، فقد ندر أن ينمقد الاجماع على حب وال انعقاده على حب أمير الطائف الذي لم أسمع من أحد من أهالي هذه البلاد. حضرها ووبرها. إلا نعمة واحدة بحقه، وهي اثناء الجميل ، ولحسن أخلاقه واستقامة طباعه ينقبونه « بالصحابي » وقد أقمت بالطائف زهاء أربعة أشهر وهي مدينة صغيرة لا يخفى فيها شيء فما عرفت عن هذا الملقب بالصحابي إلا ما ثبت لهذا الرجل مثل أخلاق الصحابة، أكثر الله من أمثاله

## الكلام على الطائف

اول ما يدخل الانسان إلى الطائف، بل أول ما يعطل هلى لقيم يشعر بالسروو وينشرح صدره انشراحا لا يمهده إلا في النادر من البلدان .

نقل عن الاصمعي انه قال: « دخلنا الطائف فكأني كنت أبشر وكأن قباي ينضح بالسروو ولا أجد لذلك سبباً إلا انفساح حدها وطيب نسمتها »

قلت أما انفساح حدها فانها في بسيط من الارض أفيح، يسرح فيه النظر ماشاء أن يسرح، وحولها بعض جبال عالية ترى من بعيد، وأهاضيب ترى من قريب، وجميعها لاتغم الطائف في شيء، وهي مع هذا الانفساح والانفراج والاستواء في الارض تملو نحو ألف وستائة متر عن سطح البحر، وأما طيب الذسمة فانك تحس فيها من الانتعاش وسمة التنفس مالا تشعر به في مكان، وقد كان أصابني في سويسرة زكام في شعب الرثة لعل أصله من البرد، فكان يضيق به نفي كثيراً لاسيما اذا استطال الشغل، فما مضى علي في الطائف إلا قليل حتى ذهب هذا الزكام بتمامه وصار الهواء يجري في رثتي كأنه في صحراء، ولما رجعت الى أوربة قال لي الاطباء بعد المعاينة انه لم يبق هناك أثر لشيء يقال له زكام في شعب الرثة، ولم يكن هذا بأول فضل للطائف علي، بل هواء الطائف هو الذي شفاني باذن الله - بل الله هو الذي شفاني به - من الضعف الذي كنت منه على شفا، فلا عجب فيما رواه ابن عراق من انهم كانوا يغبطون من يصيف بالطائف . وفيما يروى عن معاوية بن أبي سفيان من قوله: أنم الناس عيشاً من يقيظ بالطائف ويشتو بمكة ويربع بمكة .

وقال الفاكهي في تاريخ مكة : كان للطائف خطر عند الخلفاء فيما مضى وكان الخليفة يوليها رجلا من عنده ولا يجعل ولايتها الى صاحب مكة

ووجد بخط الشيخ أحمد العبدري الميورقي المتوفى سنة ٦٧٨ انه وقع الكلام في ترجيح سكني الحجاز على سائر الآفاق، ثم وقع الترجيح بين نواحي الحجاز

ومكة والمدينة فوق الاتفاق على ان الطائف اقرب للسلامة والسنة، لمدم مصاحبة  
 أهل الاهواء ورؤية من يقسي القلب من ذوي الاطماع . ولم تنزل الطائف مصيفا  
 لمكة جاهلية وإسلاما الى يومنا هذا ، وهي في نظري حارة من مكة خاصة بأيام  
 الصيف ولا غنى لمكة عنها

أول ما يستقبل الانسان من الطائف هو قصر شبرة الذي ينحصر الاشراف  
 ذوي عون ، وهو قصر شاهق حوله بيتان طويل عريض هو أكبر بستان في  
 الطائف . وجميع الاراضي التي هناك على مسافة بعيدة هي من مضاف القصر . وقد  
 بنى إلى جانبه الشريف علي باشا أمير مكة سابقا - وهو مقيم الآن بمصر وعهدي  
 به - كن بجوار قصر القبة بضاحية الزيتون من ضواحي القاهرة - قصرآ بديما  
 ملوكيا أنفق عليه عشرات الألوف من الجنيهات فجاء أخم بنية في الطائف بل في  
 جميع الحجاز وفي هذا القصر نزل السلطان وحيد الدين محمد السادس آخر  
 سلاطين بني عثمان عندما جاء إلى الحجاز بعد خلعه وذلك بدعوة الملك حسين  
 ابن علي الذي كان صاحب الحجاز وقتئذ .

وعندما يصيف في الطائف الملك عبد العزيز بن سعود صاحب الحجاز ونجد  
 وملحقاتهما يكون نزول جلالته بهذا القصر .

ولقد سمى الاشراف ذوو عون هذا القصر بشبرة على اسم شبرة الشهيرة  
 بمصر (١) وذلك والله اعلم لان أمراء مكة المشار اليهم أصدقاء من قديم الزمان  
 لاسرة محمد علي الجالسين على سرير الكنانة .

وسبب هذه العلاقة القديمة هي انه لما هاجم الوهابيون الحجاز في القرن  
 الماضي واستولوا عليه كان يلي الامر فيه الاشراف ذوو زيد وجميع هؤلاء  
 الاشراف سواء من ذي زيد أو من ذي عون أو من ذي ناصر أو من فروع آخر

« ١ » شبرا مصر تكتب بالالف قال في القاموس : وشبرا ككسري ثلاثة  
 وخسون موضعا كلها في مصر وقد بين شارحه الزبيدي مواضعها ولكنه كتبها  
 بالالف العمودية « شبرا » كما يكتبونها في مصر الى اليوم

عديدة يجتمعون في الحسن بن أبي نمي من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما (١) وقيل لي ان عددهم في الحجاز يزيد على عشرة آلاف ، إلا ان فرعا منهم انفرد بالامارة في خبر لو اردنا شرحه يطول جداً هو فرع ذي زيد نسبة للشريف زيد بن محسن أمير مكة في حدود سنة ١٠٤٠ وهؤلاء الذين منهم الامير عبد المطلب الذي ولي إمارة مكة ثلاث مرات والذي حفيده الامير علي حيدر باشا وقد ولته الدولة الامارة في أيام الحرب بعد ان ثار عليها الشريف حسين بن علي وتلقب ملكا ، فصار هذا الفرع الذي يقال له ذوو زيد أشبه بالبوربون ملوك فرنسا بجمعهم وآل اورليان نسب آل « كآيت » إلا ان الملك منحصر في آل بوربون وبقي الامر كذلك في فرنسا الى ان سقط شارلس العاشر سنة ١٨٣٠ فتولى الملك بعد لويس فيليب من آل اورليان .

وهكذا كانت امارة الحجاز منحصرة في ذوي زيد الى ان استولى الوهابيون على الحجاز ، وعجزت الدولة عن اخراجهم منه فرمتهم بمحمد علي والي مصر الذي جرد عليهم الجيوش واثبت قاتلهم نحو عشر سنوات إلى أن أخرجهم من الحجاز ، فكان اقتراحه على الدولة اخراج امارة الحجاز من ذوي زيد وتولية أمير من غيرهم من الاشراف . فتلكأت الدولة باديء ذي بدء عن اجابة طلبه إلا انه مازال يلح بذلك ويبرم إلى ان تمكن من تولية الشريف محمد بن عون أميراً على مكة ، ومن ذلك الوقت صارت الامارة مداولة بين الفرع بن ذوي زيد وذوي عون بعد ان كانت منحصرة في الفرع الاول .

« ١ » هو الحسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن ربيعة بن أبي نمي محمد بن أبي سعيد الحسن بن علي بن قنادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد بن موسى ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض) وكانت وفاة الحسن بن أبي نمي سنة عشر بعد الالف اه من الاصل

وقد كان يحدثني في الاستانة بهذه الامور التاريخية الشريف عبد الاله باشا أخو الشريف عون الرفيق باشا الذي كان تولى اماره مكة أكثر من ٢٠ سنة في أيام السلطان عبد الحميد، وهو عم الملك حسين . وقد تولاهما الشريف عبدالاله نفسه أيضا عند وفاة أخيه لكنه توفي إلى رحمة ربه قبل ان يبرح الاستانة. وكان الشريف عبد الاله رحمه الله ذامقام سام في عاصمة آل عثمان ، وكان على خلق عظيم لا يعرفه أحد إلا بالبالغ في اجلاله ، وقد كنت كثيرا أسمر عنده وكان له إلى ميل أكيد وبي ثقة شديدة ، فقلما كان يسترسل في الكلام السياسي في مجالسه الا أمامي . وكان يحدثني اذا خلا المجلس بقصص كثيرة من جهاتها هذه القصة وهو ان محمد علي باشا جد الاسرة المالكة بمصر هو الذي نصب والده محمد بن عون أميراً على الحجاز وهو الذي وهب له الاراضي التي لهم في مصر وهو الذي أولاهم تلك النعم الجسام

ومنذ أصبحت اماره الحجاز بين هذين الفرعين اشتد الخلاف بينها كما هو بديهي . وقد اختلفا في كل شيء الا في بئر واحد وهو أنهم جميعا اتفقوا على الاستثمار باحسن الاراضي وأجمل المواقع في ذلك القطر، ولا سيما الطائف ونواحيها وقد يكون ذلك خيراً للبلاد لانهم بمكانهم من الامارة أقدر على العمارة والتأثيل من غيرهم

ففي الطائف المياه كلها ترفع بالسواني وليس في البساتين إلا آبار مركبة على أفواهاها الدواليب . والماء الجاري من نفسه هناك انما هو عينان غزيرتان لاغير احدهما عين سلامة والاخرى عين المثناة

فاما عين سلامة فهي تخرج في قرية بهذا الاسم هي الآن حارة من حارات الطائف واقعة على جانب الوادي الذي يقال له وج . قل الحمداني في صفة جزيرة

العرب « وفي قبلة الطائف حائط أم المقتدر الذي يدعى سلامة » فيظهر انه كان لام الخليفة المقتدر هناك بستان يسقى بهذه العين وقال ياقوت في معجمه « السلامة بلفظ السلامة ضد العطب قرية من قرى الطائف بها مسجد للنبي ﷺ ، وفي جانبه قبة فيها قبر ابن عباس وجماعة من أولاده ومشهد للصحابة رضي الله عنهم »

وقال الشيخ حسن العجيمي المكي في كتابه اهداء اللطائف « ومنها قرية السلامة وهي كثيرة البيوت والبساتين وبها عين ولا أعلم متى كان ابتداء عمارتها إلا انها كانت معمورة في أوائل القرن التاسع . وبها كان ينزل أعيان مكة وفضلاؤها بل غالب أهلها ثم خربت في حدود الثمانين وتحول أهلها عنها ولم يبق منهم إلا القليل الخ »

وقال الخبير الزركلي حفظه الله في « مارأيت وما سمعت » : سلامة قرية محاذية للطائف من جهة باب ابن عباس كثيرة البيوت بعضها عامر وبعضها خرب ، سكانها قليلون من قریش وغيرها . ثم قال : هي الآن في ظاهر البلدة يفصل السور بينها وبين قبة ابن عباس . ثم قال : ان الشريف سروراً نزل بها سنة ١١٩٣ وهذا دليل على انها كانت عامرة لعده . انتهى . والشريف سرور هو جد الشريف عبد المطلب جد ذي السمو الامير علي حيدر نزيل بيروت اليوم

فعين سلامة هذه جرها الامراء ذوو عون الى شجرة على مسافة نصف ساعة وتركوا منها مشارع لورود الاهالي وأحدثوا عليها هذا البستان البديع الذي حول ذلك القصر

وأما المثناة فهي على مسافة ثلاثة أرباع الساعة من الطائف نحو الغرب وتمتد أجمل مزرعة في الطائف : وادي وج الشهير على جانبيه البساتين والجنان الغناء مشتبكة اشتباك الغاب الاشب وعين ماء مجرورة بقنى تحت الارض من مسافة



ساعة ونصف من ناحية جبل برد ( بالتحريك ) أعلى جبل في أرض الطائف .  
وهذه العين هي أغزر عيون تلك البلاد تصب في الثانية ٤٤ ليبرة ويسقى منها نحو  
٤٠ بستانا في المثناة ثم تنحدر فضلة المياه صوب الطائف ، وجميع هذه البساتين  
وما فيها من قصور وأبراج تخص الاشراف ذوي زيد ومنها شيء لاشراف  
آخرين يقال لهم الشنابرة ، وفي هذه المثناة من الفواكه من العنب والسفرجل  
والخوخ الذي يقال له في الشام الادران ويقال له في اليمن والحجاز الفرسيق ماهو  
من الطبقة العليا في نوعه

ويلفظون « المثناة » بالثاء المثناة وكنت ظننتها من غلط العوام وان أصلها  
المسناة بالسين المهملة . وذلك أنه يقال ان القوم يسنون لأنفسهم اذا استقوا  
ويقال السحابة تسنو الارض أي تسقيها فقد تكون بمعنى مكان السقيا . وأقرب  
من هذا ان تكون مخففة من « المسناة » وهي السد الذي يعترض الوادي حتى  
لا تطفئ مياهه على الارض ، وفي لسان العرب : المسناة ضفيرة تبنى للسيل لترد  
الماء سميت مسناة لان فيها معامح للماء بقدر ما يحتاج اليه مما لا يغلب مأخوذ من  
قولك سنيت الشيء والامر اذا فتحت وجهه اه

وفي فتوح البلدان للبلاذري المتوفي سنة ٢٧٩ مايلي « فلما كان زمن قباذ ابن  
فيروز انبثق في أسافل كسكر بثق عظيم فاغفل حتى غلب ماؤه وغرق كثيراً من  
أرضين عامرة وكان قباذ واهنا قليل التفقد لامره ، فلما ولي أنو شروان ابنه أمر  
بذلك الماء فردم بالمسنيات (جمع مسنة) حتى عاد بعض تلك الارضين الى عمارته » انتهى  
وفي أول المثناة من جهة جبل برد سدود على وج هي على هذه الصفة مما جعلني  
أفكر في أن المسناة هي بالسين لا بالثاء . إلا أن أهل الحجاز باجمعهم يقولون  
« المثناة » وتوارخ الطائف كلها تذكر المثناة بالثاء . وإذا رجعنا الى كتب اللغة لا  
نجد مناسبة بين معنى لفظه « المثناة » وهذا المكان ، فقد قالوا : المثناة الجبل من

الصوف أو من الشعر مطلقاً : ونقلوا عن عبد الله بن عمر من اشراط الساعة «أن  
توضع الاخيار ، وترفع الاشرار ، وأن يقرأ فيهم بالمثناة على رؤوس الناس ليس  
أحد يغيرها : قيل وما المشاء ؟ قال ما استكتب من غير كتاب الله» (١) كأ أنهم جعلوا  
كتاب الله مبدأ ، وهذا متنى : فأنت ترى انه لا هذا ولا هذا فيه شيء من  
ملايسة معنى بستان أو جنة ، أو واد ذي زرع : وأما قولهم مثاني الوادي ، بمعنى  
معاطفه ، واحناؤه فهو جمع ثني - بكسر فسكون - لا جمع مثناة

قل في لسان العرب : وفي الصحاح في تفسير المثناة قال : هي التي تسمى بالانارسية  
دوبيتي وهو الغناء (٢) وهذا أبعد عن ذلك المعنى أيضاً . وقد جاءت معان كثيرة  
للمثني بالتذكير وكلها أيضاً بعيدة عن هذا المعنى . وعلى كل حال فلسنا هنا في المثني  
بفتح فسكون وانما نحن في اثناة ، ولم يبق إلا أن نردها إلى اسم مكان من فعل  
ثنى بمعنى عطف أو حنا كأن تكون بمعنى منحني الوادي ، أو أن نردها إلى اسم  
مكان من ثنى بمعنى صيده<sup>٣</sup> نياً لان النهر شق للزرعة نصفين اثنين . أو أن  
يكون أصلها من اثناة بمعنى الفلاحة والزراعة ، ولكن اثناة بمعنى الفلاحة  
والزراعة لم يرد منها اسم مكان ، ثم انها لم ترد بهذا المعنى إلا عن ابن الاثير في  
تفسير حديث قتادة : كان حميد بن هلال من العلماء فأضرت به التناوة أو  
التناية . والعامية عندنا في جبل لبنان تستعمل « التناية » بمعنى الفلاحة أيضاً ،

(١) التحقيق ان المثناة هذه تعريب المشنا أو المشنة بالعبرية وهي الشريعة التي وضعها  
اليهود بعد النبي باجتهادهم أو ابتعادهم وبإلها الجهمارة وهي الشريعة الشفوية لهم والتقاليد  
العملية وهما أصل التلمود وفسرها في القاموس : بقوله كتاب فيه اخبار بني اسرائيل اخلو  
فيه وحرموها ماشاؤا — او هي الغناء او التي تسمى بالفارسية دوبيتي

« ٢٢ » دبيت في الفارسية معناه بيتان لا الغناء فان « دو » اسم لعدد الاثنين قال شارح  
القاموس بعد ما تقدم أنفا وقوله دوبيتي بالفارسية ترجمة الاثنين والياء في بيتي للوحدة  
او للنسبة وهو الذي يعرف في المعجم بالمتنوى كانه نسبة الى المثناة هذه

لكن لا مطلقاً، بل يقولون تناية للوجه الثاني من حرث الارض . والأظهر أن أصل انشأة بالثاء لا بالطاء

بقي علينا وجه ثانويل آخر وهو أن تكون من ( تنأ ) أقام . وقد سهلوا الهمزة فصارت ( تنأ ) وجاء منها اسم مكان (التنأة) اي محل الإقامة — واعمري لنعم محل الإقامة هي — ثم ان العامة حرفتها من انثاء الى اشاء . فهذا كل ما يخطر لي من جهة هذه اللفظة

ثم اني لما عزمت على الكتابة عن الطائف — وكان باعني أن في المكتبة التيمورية بمصر بعض تأليف عن الطائف ووج — كتبت إلى ذلك العالم الفاضل الكبير، الذي من اي الجهات اعترته فهو أمير، أحمد باشا تيمور قدس الله روحه ونور ضريحه، أرجو منه إذا كانت عنده كتب في هذا الموضوع أن يأمر لي باستنساخها على نفقتي ، فكان منه انه لم يتض على رجائي هذا خمسة عشر يوماً حتى جاءني منه ٤ تأليف في هذا البحث مصورة بالفوتوغرافية بالمطبعة السافية الشهيرة ، ومجلدة تجاميداً مذهبا ، وهذه الكتب هي (إهداء اللطائف، من اخبار الطائف) تأليف الشيخ حسن بن الشيخ علي العجيمي المكي الحنفي من علماء أواخر القرن الحادي عشر . و ( تحفة اللطائف، في فضائل الخبر ابن عباس ووج واللطائف ) للشيخ محمد جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن محمد الشهر بابن فهد المتوفى سنة ٩٢٢ و (نشر اللطائف، في قطر الطائف) لابن عراق من المتأخرين وهو الشيخ نور الدين علي ابن محمد بن عراق الشامي . و (رسالة في فضائل سيدنا ابن عباس واللطائف) للشيخ محمد بن عبد الكريم القنوي الذي كان في أواسط القرن الثاني عشر

وتكرم رحمه الله بارسال بطاقة أنيسة ، مع هذه الهدية النفيسة، قابلته عليها بكتاب شكر طائل أودعته ما خطر ببالي من جهة لفظة ( التناة ) او ( السنة ) فأجاني مستحسنا ما رأيته إلا أنه قال : ان روايات الكتب المؤلفة عن الطائف

متفقة على كونها بالثناء ، فضلا عن تلفظ أهالي الحجاز بها بالثناء أيضا . وقد كان كتاب تيمور باشا هذا من آخر ما خطه قلمه لان المصاب بوفاته رحمه الله وقع بعد تاريخ المكتوب بخمسة عشر يوما

ويمتد وقف الاشراف ذوي زيد من المثناة إلى نفس الطائف بجنان وبساتين منتظمة بلبنة وج ، متابعة له إذا استوى أو إذا اعوج ، وهي من انزه ضواحي تلك البلدة والطفها وان أشهرها سانية (حوايا) ذات الصمريج الكبير ، والروض النضير ، وبالاختصار كيفما توجه الانسان في الطائف بل في الحجاز كله بين تهنائه ونجوده وبواديه وحواضره بمجد الاماكن الشريفة للاشراف . ففي لقيم اشرف الاماكن للاشراف ، وفي وادي لية اشرفها للاشراف ، وفي وادي وج اشرفها للاشراف ، وفي وادي فاطمة الذي يقرب مكة يمتد بسايقه ١٥ ساعة احسن البقاع للاشراف . وهلم جرا

أما ان الطائف هو قطعة من الشام جعلها الله في الحجاز ، وما ورد في ذلك من الآثار والاحاديث المنقولة في التواريخ التي اطلعنا عليها ، وفي غيرها مما لم نطلع عليه ، واطلع عليه الاخ الزركلي ككتاب «عقود اللطائف في محاسن الطائف» للشيخ عبدالقادر الفاكهي المسكي المتوفى في أواخر القرن العاشر ، وكتاريخ الشيخ احمد بن علي العبدري البورقي الاندلسي ثم الطائفي الوجي مسكناً المتوفى سنة ٦٧٨ بمد ذهاب وطنه ميورقة بخمسين سنة ، فكل هذا نحن نحمله على الحجاز . وذلك اننا إذا قلنا زيد أسد فلا يكون المراد انه هو هذا الحيوان المقترس ، بل انه في شجاعته كالأسد : وإذا قلنا زيد ببحر ، فلا يكون المعنى انه هو هذا الماء الكثير المتلاطمة امواجه ، وإنما هو كناية به عن الكرم ، أو العلم ، أو الحلم . وإذا قلنا زيد جبل فما يراد بذلك إلا المتان ، والرصانه ، والثبات . وإذا نظرنا الى الحديث الشريف « ان من البيان لسحراً ومن الشعر لحكمة » لم يمكننا تأويل ان من

البيان لسحراً الا بالمعنى المجازي كما لا يخفى، وذلك بأن من البيان ما يستولي على العقول ويأخذ بالالباب، لانه هو من السحر المحرم وهكذا حديث « إن الطائف قطعة من الشام جعلها الله في الحجاز » أو ما هو بمعناه لا أفهمه إلا على هذا الوجه وهو أن الطائف وارضها شامية في فواكهها وتمراتها وعدوبة مائها وبرودة هوائها، ومن هناك لم يبق حاجة لإرخاء بعض المفسرين العنان لتخييلاتهم في كيفية اقتلاع بلاد الطائف من ارض الشام ووضعها في الحجاز .

هذا زائداً الى أن أكثر هذه الاقوال هي آثار وأخبار ليست من الاحاديث المقطوع بها : ونحن نعلم أن الاحاديث المتواترة التي لا يتطرق الشك الى صحة تلفظ النبي ﷺ بها هي احاديث معدودة وأن الاحاديث مهما جاءت على شروط الصحة والثبوت المعروفة عند المحدثين فلا يزال مجال للقول في اسانيدها واسعاً . لان الكلام اذا نقله واحد عن واحد فلا بد أن يتغير فيه شيء بالزيادة أو بالنقصان أو بتغيير لفظة بلفظة مهما كان البقل قوي الذاكرة: ولقد ثبت أن أكثر الاحاديث مروى بالمعنى :

ولقد ثبت أيضاً أن سيدنا عمر رضي الله عنه كره كتابة الاحاديث خوفاً من الزيادات عليها واكتفاء بكتاب الله المنزل الذي حفظه الالوف من الصحابة واتفقوا عليه . وقد ثبت أيضاً أن جماعة من أكبر الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يتحدثون عن رسول الله ﷺ مع طول صحبتهم له جاء في الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد رواية عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال ( أي عبدالله بن الزبير ) قلت للزبير : مالي لا أسمعتك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان قال : اما اني لم أفارقه منذ أسلمت ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كذب علي فليتبوأ مقعداً من النار » قال وهب بن جرير في

حديثه عن الزبير : والله ما قال « متعمداً » وأنتم تقولون « متعمداً » أي ان بعض المحدثين زادوا لفظة « متعمداً » فانظر إلى هذا الحديث الشريف على قصره لم يخل من زيادة لفظة (١)

وجاء في الطبقات عن السائب بن يزيد انه صحب سعد بن أبي وقاص من المدينة إلى مكة قال : فما سمعته يحدث عن النبي ﷺ حديثاً حتى رجع ثم جاء عن يحيى بن عباد عن شعبة انهم دخلوا على سعد بن أبي وقاص فسئل عن شيء فاستعجم فقال : اني أخاف أن أحدثكم واحداً فتزيدوا عليه المائة

وجاء في الطبقات الكبرى لابن سعد عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى عبدالله بن مسعود سنة ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ ولا يقول فيها : قال رسول الله ﷺ الا انه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه : قال رسول الله ﷺ . فعلاه الكرب حتى رأيت العرق ينحدر عن جبهته ثم قال : ان شاء الله اما فوق ذلك واما قريب من ذلك واما دون ذلك

فهذا شأن عبدالله بن مسعود في الحديث وهو هو أحد العبادلة الاربعة ومن أروع الصحابة وأشدهم ملازمة لرسول الله ﷺ كما لا يخفى وذلك كان شأن سعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في هذا الامر وهما من العشرة المبشرين بالجنة . وذلك كان مشرب الامام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو الذي قيل ان رسول الله قال فيه : « لو كان نبي بعدي لكان عمر » فكيف ينبغي للناس

(١) الحديث متواتر تواتراً صحيحاً بهذه الزيادة ومن رواها عن الزبير نفسه الامام

احمد والبخاري وابوداود والنسائي وابن ماجه فلا عبرة بانكار وهب بن جرير لها عنه فلقاعدة ان من حفظ حجة على من لم يحفظ، وهب هذا قد تكلم فيه بعض رجال الجرح والتعديل فقال ابن حبان كان يخطيء وأنكر عبد الرحمن بن مهدي والامام احمد مارواه عن شعبة الخ

بعد ذلك أن يتكثروا من الاحاديث وهم يعلمون ماقد يتطرق اليها من زيادات الرواة وما قد نقل منها بالمعنى (١)

قال صاحب «تحفة اللطائف» قال الزهري ان الله عز وجل نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعية خايله اراهيم عليه السلام ( وارزق أهله من الثرات ) والله تعالى يقدر أن ينقل إلى الطائف قرية من الشام كما انه يقدر أن يجعل الطائف في خواصها قرية من قرى الشام ، ويرزق أهل ذلك الوادي المقدس مكة من ثمراتها . فاما كون الرسول ﷺ قد ألحق الطائف بمكة والمدينة وحرم لها حرما وقال « لا يختلي حلاها ولا يضد شجرها ، ولا ينفر صيدها » وانه قدس وادي وج ، فان الاحاديث كثيرة في هذا المعنى ، والدليل على صحتها كون الفقهاء أجمعوا على كراهية الصيد في وج ومنهم من قطع بتحريمه ، وربما كان الاكثرون على التحريم المات ، وقيل في كلام الشافعي : أكره صيد وج . انبأ كراهة محريم . وعلى كل حال متفق على النهي عن الصيد في وج ، ومختلف في مجرد الكراهة او التحريم كما انه مختلف في أمران وعده مما أفاض في موضوعه أصحاب التواريخ المار ذكرها . ومع كل هذه الاحاديث بقي أناس لا يطمئنون الى روايات النهي عن صيد وج فقد نقل صاحب « تحفة اللطائف » عن الميورقي انه سأل الشيخ محمد بن عمر القسطلاني امام المالكية في وقته : هل رأيت في مذهب مالك مسألة في صيد وج في الطائف ؟ فقال : لا أعرفها ولا يسعني أن أفتي بتحريم صيدها إلا بالحديث ، ليس فيها من الاحاديث التي يبني عليها التحريم والتحليل (٢)

« ١ » قد كتب اليها الامير سؤالا في هذه المسألة — رواية الحديث — فاجبنا عن سؤاله في المنار بما علم به قصور ما في طبقات ابن سعد وما هو الحق في المسألة فليراجع ذلك من شاء في صفحة ٥٠٧ — ٥١٦ من المجلد التاسع والعشرين (٢) قال النووي في شرح المذهب : واما حديث صيد «وج» فرواه البيهقي باسناده عن الزبير بن العوم (رض) ان رسول الله ﷺ قال « الا ان صيد وج ونضاهه يعني شجره حرام » وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره تقيفا لكن اسناده ضعيف قال البخاري في تاريخه لا يصح ، ثم ذكر الخلاف في وج هل هو واد بالطائف او بلد

موقع الطائف وهواؤها وماؤها

وأما فضل الطائف في صقعها وجودة ماؤها وهواؤها فهو مما تواترنا عليه المحسوس والمأثور ، ولست بمستغرب قول بعض المفسرين لقوله تعالى ( لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ) إن المراد بالقريتين مكة والطائف . وكذلك أنا استحلي مارواه صاحب تحفة الطائف من قول بعضهم ان الطائف من تعاليق مكة . أي من مضافاتها . وعندنا في بر الشام إذا بنيت قرية في طرف قرية نسبت إليها ، وقيل أنها « معلقة » لها فيقال مثلاً « معلقة زحلة » و « معلقة الدامور » وهلم جرا . فما أجدر الطائف بأن يقال لها « معلقة مكة » ولعمري لنعم المعلقة هي . ولا نزاع أنهما في الامصار كالمعلقات السبع في الاعتار . ومن الحديث النبوي المأثور « الطائف من مكة ومكة من الطائف » كررها ﷺ ثلاث مرات وقد جاء في بعض الاحاديث التي نقلها الميورقي ورواها العجيمي صاحب « اهداء الطائف » ان الطائف من مكة ومكة من الطائف ، ونقل الميورقي عن مطيخ : انه ستكون قن في آخر الزمان خير الناس في ذلك الزمان من كان بجدارات الطائف إلى عرقوب بجيلة ، قال الميورقي انه حديث ضيف ، وقال العجيمي الا انه يشهد له حديث الترمذي عن عمرو بن عوف قال قال رسول ﷺ « ان الدين ليأرز الى الحجار كما تآرز الحية إلى جحرها » قال في القاموس : والحجاز مكة والمدينة والطائف ومخاليقها كأنها حجرت بين نجد وتهامة انتهى

قلت وزاد صاحب تاج العروس اليمامة فقال انها من الحجاز ، وقال في شرح قوله انها حجرت بين نجد وتهامة : أو بين الغور والشام والبادية أو بين الغور ونجد ، ثم قال صاحب القاموس : أو بين نجد والسراة أو لانها احتجرت بالحرار الخمس ، فقال صاحب التاج في شرحها : حرة بنى سليم وحرة واقم وحرة ليلي وحرة شوران وحرة النار . وهذا قول الاصمعي



وقال الازهري : سمي حجازاً لان الحرار حجزت بينه وبين عالية نجد قال وقال ابن السكيت : ما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق ، وما احتزمت به الحرار حرة توران وعامة منازل بني سليم إلى المدينة فما احتاز في ذلك كله حجاز ، وطرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق ، وقال الاصمعي : اذا عرضت لك الحرار بنجد فذلك الحجاز وأنشد :

\* وفروا بالحجاز ليمجزوني \*

أراد بالحجاز الحرار انتهى .

قال المعجمي في تفسير «عرقوب بجيلة» العرقوب ما انحني من الوادي وطريق في الجبل ، والعراقيب خياشيم الجبال والطريق الضيقة في متونها . وتعرف أي مسلكها كذا في القاموس انتهى

( قلت ) وزاد صاحب التاج ان العرقوب هو الجبل المكمل بالسحاب ، هذا

وقد جرت التسمية بالعرقوب كثيراً في بلادنا الشامية ففي جبل لبنان داخل قضاء الشوف ثلاث نواح باسم العرقوب ، وهي العرقوب الجنوبي والعرقوب الشمالي والعرقوب الاعلى ، وهي أودية يخرج من أحدها نبع الباروك ، ومن الآخر نبع الصفا ونبع القاعة ، وهي من أشهر ينابيع الارض في العذوبة لا ينابيع لبنان وحده . وفي جبل الشبخ ناحية يقال لها أيضاً العرقوب تابعة لقضاء حاصبيا .

وأما عرقوب بجيلة في الحجاز فهو منسوب إلى بجيلة - كسفينة - وهي قبيلة اختلف في نسبها فقال ابن الكلبي انها حي من اليمن ، وروي عن مصعب بن الزبير أنها من نزار ، وقال صاحب القاموس انها حي في اليمن من معد ، قال الزبيدي في التاج ان صاحب القاموس أراد أن يجمع بين القولين

وقال الامام مالك رضي الله عنه : بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال : لبيت بركة أحب إلي من عشرة أبيات بالشام . نقل ذلك ابن فهد محمد جار الله بن عبد العزيز صاحب « تحفة اللطائف » وقال ابن وضاح : ركة موضع بين الطائف ومكة في طريق العراق

قال ابن فهد نقلا عن ابن وضاح : يريد — أي عمر — والله اعلم لطول الاعمار بها وشدة الوباء بالشام، ثم أخذ بعضهم يعترض على هذا التأويل قائلا إن مراد عمر بهذا التفضيل قرب هذا المكان أي ركة من مكة والمدينة ( قلت ) لا وجه لهذا القول لانه إن كان مراد سيدنا عمر رضي الله عنه هو قضية القرب من مكة والمدينة فيؤد مزيدة لم يختص بركة بل اشتركت بها بقاع لا تعد ولا تحصى ، ولم من مكان أقرب إلى مكة أو إلى المدينة من ركة هذه التي هي على مسافة يوم ونصف يوم من مكة ، وما أرى عمر قصد إلا طيب الهواء والبعد عن الوباء كما قال ابن وضاح ، فالشام هي مضرب الامثال في جودة الماء والهواء ، ومع هذا فن عمر يرى بقعة مثل ركة من بقاع الطائف أفضل منه للسكنى . انه لم يقسم لي الذهاب إلى ركة وانما سمعت من أهل الطائف الشيء الكثير عن طيب نجعتها ومهجة روضها لاسما في أيام الربيع

وقول ابن وضاح لا يخلو من صحة ، فالشام مع كونها مضرب الامثال في طيب الماء والهواء ومع كونها جنة الله في أرضه موصوفة بالوباء من قديم الزمان حتى ان أحد اخواننا المصريين أخذته فيما يظهر الغيرة مما رأى من محاسن دمشق فنهبها بسرعة الوباء اليها من كثرة المياه المتدفقة في كل انحاءها فقال ذلك البيت الشهير (١) :

قيل لي صف بردى كوثرها      قلت غال برداها برداها

(١) قائله اشهر منه وهو ابن الفارض وهو من أبيات له في تفضيل مصر على

الشام نسيها الامير فظن ان البيت لبعض المعاصرين

وقد أبى الله إلا أن يجعل بازاء كل سهل حزننا ، ومع كل سرور حزننا ، وأن لا يدع الكمال نصيب شيء من هذه الدنيا ، فأثرة المياه في القطر الشامي التي هي مصدر رخائه ، ومرجع نضارته وبهائه ، هي ايضا سبب وبائه ، وشدة بلائه ، فقد تقرر أن الاوبئة تنفثى بالبلاد التي تشرب من الأنهار ، أكثر مما تنفثى بالبلاد التي تشرب من الآبار ، وذلك لان الميكروب انما ينمو في الماء ، وإذا كان الماء مما يشترك الخلق في وروده كانت العدوى به أكثر كما لا يخفى

و أكثر حواضر الشام مبنية على الأنهر ، فدمشق على ( بردى ) وحمص وحمّاه على ( العاصي ) وحلب على ( قويق ) وبعليبك على ( رأس العين ) وزحلة على ( البردوني ) وطرابلس على ( ابي علي ) وصيدا على ( الاولي ) وهلم جرا ، وقبل ان جر الى بيروت ماء نهر الكلب كانت أقل تعرضا الامراض الوافدة ، فلهذا كانت بلاد الطائف منزهة عن الوباء بسببين ( الاول ) وفرة الاكسيجين في هواء تلك الجبال العالية ( والثاني ) قلة المياه الجارية فيها على الضد من جبل الشام ، والمياه هي التي تنقل الجراثيم بواسطتها ، فمن أين تنفثى لاوبئة فيركبة ونواحيها ؛ ومن اين تتكون فيها المستنقعات التي تنشأ عنها الحميات ؟ فهذا ما أراده سيدنا عمر بن الخطاب بقوله :  
ليبت بركة أحب إلي من عشرة ابيات بالشام

وسبق أن روينا عن الاصمعي — ولم يكن الاصمعي بليداً — قوله : دخلنا الطائف فكأني كنت أبشر ، وكأن قلبي ينضح بالسرور ، وما اجد لذلك سبباً الا انفساح حدها ، وطيب نسمتها

ولا أظن أحداً دخل الطائف الا وشعر بهذا الانشراح في صدره ، والانفساح في رائته ، ولو كانت الطائف مربوطة بسكة حديدية بجدة لقصدها المصطافون من مصر والشام والهند وسواحل جزيرة العرب

## عمران الطائف وتقلصه بمد الحريين

وقد كانت الطائف في أيام الدولة العثمانية معمورة حافلة ، قيل لي انه كان فيها ما يقرب من خمسة عشر ألف نسمة ، فقد كانت إمارة مكة والولاية وقيادة الجيش والاجناد كلها والدوائر الرسمية تنقل الى الطائف وتقيم بها مدة ٦ أشهر وكان بسبب ذلك يزداد توارد الخلق عليها من مكة وغيرها ، وتعمر أسواقها ويكثر الاخذ والعطاء فيها ، وقيل لي انه كان فيها ١٥ طيبا بين ملاكي وعسكري وكان كل ما يوجد بمكة يوجد فيها

فبعد الحرب العامة تقلص عمرانها ، وخف قطيعها ، حتى عادت كالعرجون القديم ، فلم يبق فيها إلا نحو ألفين الى ثلاثة آلاف ساكن ، وصارت اكثر البيوت خاوية على عروشها . فتداعت من نفسها . ومن البيوت ما عملت فيه القنابر في اثناء حصار العرب للاتراك فيها ، فهذه كانت المرحلة الاولى من مراحل بوارها وأما المرحلة الثانية فقد كانت في حرب الوهابيين مع الملك حسين فقد زحف اليها سلطان بن بجاد شيخ عتيبة والشريف خالد بن لؤي وحاصروها بجمع كان يعجز عنها لو صادف فيها حامية مستبسلة موطنه نفسها على الكفاح لانها مسورة من كل جهاتها ، وقد كانت فيها مدافع وأعتاد كافية للمقاومة . فأوقع الله الوهن في قلب أمراء الحامية التي كانت من قبل الملك حسين ، فانهزموا لا يلوون على شيء . ودخلت عتيبة وأولئك الاعراب الغلاظ الشداد ففتكوا بأهلها فتكة شنيعة ملأت شناعها الخاقين ، وقتلوا بضع مئات من الاهالي الوادعين ، وانهبوا البلدة وخربوا ما قدروا على تخريبه

وكان بين القتلى جماعة من العلماء والخواص ، ومنهم وباللاسف المرحوم السيد حسن الشيبى مبعوث الحجاز ونجل الشيخ عبد القادر الشيبى كبير سدنة

بيت الله الحرام . وقد كان رحمه الله زميلي في مجلس المبعوثين في الاستانة وكان من ذوي الشهامة والاخلاق الزكية ، و كانت بيننا مودة أكيدة

فانتهز اعداء الملك ابن سعود في هذه الوقعة الفرصة للطعن فيه وحاولوا ايها الناس انه كان راضياً عن هذه الفعلة ، وحاكى له من ذلك فانها وقعت بدون ان يعلم بها وقبل ان يكون جاء الى الحجاز ، ولما نعي اليه خبرها بمكانه من نجد ارتعض جدا وأصدر الامر تلو الامر تحت الانذار بالقتل بعدم التعرض لأحد من الاهالي وبالدخول إلى البادية الامين بدون سلاح ، فدخل الوهابيون مكة بدون سلاح ، وطاقوا واعتمروا ولم يمسوا أحداً بسوء مما يشهد به كل اهل مكة

فأما قجعة الطائف فقد سبق فيها السيف الممذول ، وبقيت في قلب الملك عبدالعزيز منها حزازات على سلطان بن بجاد لما يشاهد عن عقابه على ما فعل في الطائف سوى حداثة عهده بالاستيلاء على الحجاز ، وارتبص ربما تستتب الاحوال ، فاكتمى الملك باديء ذي بدء بتضميد جراحات أهل الطائف و مؤاساتهم ، والتعويض عليهم ، ولم يتعرض لسلطان بن بجاد بسوء دعياً لسابق عهده ، حتى فتح هذا على نفسه الباب ، وخرج هو وفيصل الدويش عن طاعة الملك وجاذباه الحل ، وظنا انهما بقوة عشائرها - عتيبة ومطير - يبالان منه وطراً ، فحاجزها الملك مدة شهرين حتى أعيته فيهما الخيلة ، فلما لم يبق من الدواء الا الكي نهدهم الى الشوارق في شملهم في أقل من ساعتين ، وطرح منهم بالعرء اكثر من ألفي صريع ، وأخذ مقدميهم أسرى وبينهم ابن بجاد والدويش . فكان الذين فتكوا بأهالي الطائف الوادعين هم الذين لقوا هذا النكال الشديد ، فنالوا الجزاء الذي يستحقونه على عملهم بالطائف ، وسقوا الكأس التي سقوا بمثلها ، ولكنهم سقوا ببغي وعدوان ، وشربوا بتأديب سلطان وحكم فرقان ، وقيد ابن بجاد بالاصفاد وكفى الله شره

ولكن الدويش بعد أن عالج طبيب الملك جراحه ، فر من الاسر ونكث

ووجع جموعه وجموعاً ممن مالؤه على نفيه ، واستأنفوا اشورة ، واضطروا الملك أيده  
الله أن يزحف اليهم مرة ثانية ، ويصدع شملهم عوداً على بدء . وما زال يضيق  
عليهم حتى تفرقوا تحت كل نجم ، وجاء الدويش إلى العراق ظاناً انه ينجو وانه  
لا يدركه ايل عمله الذي هو مدركه — إلا أن الملك فيصل بن الحسين كان أعقل  
وأبصر بمصلحة مملكته العراق وبمصلحة العرب من أن يظهر الخارجين عن  
طاعة ابن سعود ، لاسيما أنهم هم الذين كانوا يوالون على العراق تلك الغارات التي  
لا نهاية لها . فانتهى الامر بتسليم الانكليز فيصلاً الدويش إلى الملك ابن سعود  
عملاً بمعاودة سابقة في تسلم المجرمين — وصار إلى جانب رفيقه ابن بجاد بحيث  
لا يقدر أحد منها بعد الآن أن يقلق راحة العرب ولا أن يهرج البلاد وعمرجهاء ،  
وكانت هذه الواقعة سبباً في ائتلاف الملكين العاقلين الحكيمين ، اللذين أقر  
اجتماعها عيون جميع العرب المخلصين لعروبة ، وقتاً في أعضاء الذين يريدونها  
دائمة حامية ولو أفضى ذلك الى سقوط العرب

والذي أدى بنا إلى هذا البحث الذي بعد كثيراً عن أصل الموضوع خبر  
واقعة الطائف هذه التي كانت الضربة اثنائية التي قضت على عمرائها ، والتي نو  
أغفلنا ذكرها وأسبابها لم يكن ذلك منا نصحاً بالتاريخ ، ولكننا مسؤولين  
عن هذا الاغفال

ومن شاء معرفة خطط الطائف وما فيها من حارات وقصور ومساجد وآثار  
وأنصاب وما حولها من قرى وودساكر وما أتته ذلك فعليه بكتاب « مارأيت وما  
سمعت » للخير الزركلي ، فانه قد وعاهما بحذافيرها بأحسن أسلوب وأنا لست  
متعرضاً من ذلك إلا لما شاهدته بعيني ، وارتسم في مخيلتي وحك في صدري ،  
فاني قد سميت كتابي هذا « بالارتسامات اللطاف » وحصرت الكلام فيما رأيته ،  
رمانج وزته الا الى الضروري مما رويته .

## مسجد ابنه عباس بالطائف وقبره وبعضه ترجمته

(رضي الله عنه)

أهم أثر في الطائف هو مسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو على طرف البلدة إلى جهة ( وج ) وليس من بعده إلى وج عمارة وقد أنزلتني امارة الطائف في دار شاهقة كانت تخص أحد أمراء الاكراد ممن نفي إلى الطائف في أيام السلطان عبدالحميد الثاني العثماني ، وهي لا تبعد عن المسجد العباسي أكثر من مائة وخمسين ذراعاً . و امام هذه الدار باحة كبيرة عمومية تصل الى مدخل المسجد العباسي ، وإلى باب السور الذي بجانبه . وتكثر طبقات الدور بالطائف كما بمكة وكما بالمدينة وكما ببجدة ، ففقدت أسكن في الطبقة الرابعة من الدار ، وكثيراً ما كنا نسمر على السطح الاعلى لها ، أنا واخواني فوزي بك القاوقجي والدكتور خيرى القباني وغيرهما ، لكننا كثيراً ما كنا نشتمل بالا كسوية الثقيلة على ذلك السطح خشية الهود . وكنا نضع كيزان الماء على السطح فلا يمضي على ذلك ساعة حتى ينقلب الماء كأنه تنج مذاب والمسجد العباسي كبير رحب المساحة فيل لي به وسع في زمن السلطان عبدالحميد العثماني فهو يسع ١٥ الف مصل فيما قدرت . ولما أقبل الصيف صرت أرى الناس فيه تزدهم لكثرة الخلق الذين يصعدون إلى الطائف من مكة ، وفي بعض الجمع كان يغص بالناس . وقد كان يؤم فيه قاضي الطائف ، وهو رجل حضرمي من اهل الفضل . وبجانب المسجد قبه فيها قبر جبر الامة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، إلا ان الوهابيين أزالوا القبة وأبقوا القبر ، وذلك بحسب عادتهم في هدم القباب وكرهية زيارتها على الوجه الذي اعتاده كثير من العوام وبعض الخواص

من الاستغاثة والتوسل وتقبيل الحجارة وما شا كل ذلك مما هو خلاف الشرع،  
ولا يسمعون فيه لومة لائم (١)

ولما كنت هناك زار الطائف قاضي القضاة بمكة الشيخ عبدالله بن حسن،  
وهو من ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فرأى بجانب الضريح العباسي خلف  
الجدار شجرة سدر صغيرة فأمر بقطعها، خشية أن يتبرك العوام بها. ولا إنكار  
ان الوهابيين يبالبغون في الهدم والقطع والنقض والقلع كما مروا بقبة او مزار أو  
شجرة تعلق عليها خرق وتشمع جلودهم من هذه المناظر. ولكنني مع اعترافي  
بغلوم في هذا الامر لا أراهم حائدين فيه عن سنن الشرع القويم

واني لاروي للقراء قصة جرت معي في تلك الارض وهي اني كنت وجماعة  
من اخواني نتنزه في الوهط قرية عمرو بن العاص المشهورة، وهي على نحو ساعة  
ونصف من الطائف إلى جهة جبل برد، فرأينا في طريقنا على مقربة من الوهط  
آثار قرية دارسة يعرف أنها كانت ذات شأن من اتساع جبانتها، وشاهدنا في  
الجبانة قبة مهدوما أعلاها قائمة جدرانها، قيل لنا انها قبة سيدنا عكاشة من

(١) قد صحت الاحاديث النبوية بالنهي عن الصلاة الى القبور وعن تشييدها  
وتشريفها وبلعن الذين يتخذون قبور الانبياء والصالحين مساجد والذين يضعون  
عليها السرج وصرح الفقهاء بتحريم ذلك وبوجوب هدم ما يبني عليها، وتسوية القبور  
المبنية بالارض كما تراء في الرواجر لابن حجر الشافعي، وفقهاء الحنابلة اشد من  
غيرهم في هذا، والوهايون حنابلة. وذكروا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب  
(رض) أمر بقلع الشجرة التي سمى النبي ﷺ أصحابه تحتمها بيعة الرضوان وإعفاء  
اثرها لانه علم ان بعض حنابلة "عمد بالاسلام يتبركون بها"، فهل يعد الوهايون غلاة  
في العمل بما ذكر وقد فشوا في الاس عبادة القبور الصالحين كما سيأتي في كلام الامير  
وهو قليل من كثير؟



الصحابة رضوان الله عليهم (١)

فقصدنا إلى ذلك المكان فوجدنا مسجداً فيه قبور مشيدة منها ما هو قديم من صدر الاسلام عليه كتابات بالخط الكوفي ، ومنها ما هو من القرن الخامس أو السادس للهجرة . وشاهدنا من هذا الخط كتابات لم تر عيني أجمل منها في البداعة والاتقان ، وتمنيت ان تنقل تلك الخطوط اما بالليتوغرافيا واما بالفوتوغرافيا ولا أزال أحدث نفسي بذلك فيما لو زرت الطائف مرة أخرى

وبينما نحن نتأمل في تلك الآثار إذ أقبل علينا هنديان كانا سائرين على الطريق السلطاني فخادا عنه قاصدين هذا المزار وسألانا هل يجوز ان يصليا في ذلك المكان ؟ فقلنا لهما : ليس لنا ان نعرضهما في صلاتهما ، إلا أننا لانعلم لماذا يفضلان الصلاة في الداخل تحت القبة المهذومة بجانب هذه القبور مع كراهية الصلاة بجانبها على الصلاة في الخارج ، والصلاة هي هي ( فأينا تولوا قدم وجه الله )

(١) (حاشية المؤلف) الذي رأيت في تاج العروس عكاشة الغنوي أورده ابن شاهين في الصحابة من طريق حفص بن يسيرة عن زيد بن أسلم عنه وحديثه في سنن النسائي. وعكاشة بن ثور بن أصغر كان عامل النبي (ص) على السكاسك فيما قيل وقال الحافظ هو القوني بالمين والمثلثة، وعكاشة بن محصن بن حريث بن جريث بن قيس بن مرة الاسدي أحد السابقين كان من أجمل العرب واشجع الصحابة رضي الله تعالى عنهم اه وفي لسان العرب عكاشة (بتشديد الكاف ومخفف) بن محصن الاسدي من الصحابة وجاء في الطبقات الكبرى لابن سعد: عكاشة بن محصن بن حريث بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ويكنى ابا محصن شهد بدرًا وواحداً والحدوق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه رسول الله الى الفجر سرية في اربعين رجلاً فانصرفوا ولم يلقوا كيداً. قال اخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عمر بن عثمان الجحشي عن آبائه عن أم قيس بنت محصن قالت توفي رسول الله ﷺ وعكاشة بن اربع واربعين سنة. وقتل بعد ذلك بسنة بزاخة في خلافة ابي بكر الصديق سنة اثنتي عشرة وكان عكاشة من أجمل الرجال ثم ذكر ابن سعد كيفية مقتل عكاشة في قتال خالد بن الوليد لاهل الردة اه

فقالا : لانهما رأيا في الداخل محرابا ، فقلنا لهما : نعم إلا أننا لانعلم وجها شرعيا  
يجعل للصلاة عند ذلك المحراب فضيلة ايست للصلاة في الصحراء فانصرفا ولم  
يصليا . ولعلمهما رجعا بعد انصرفنا وصليا في داخل المزار لانعلم (١)  
وكيف كان الامر فن كثيرا من العوام أو من الخواص أشباه العوام يحبون  
الصلاة بجانب القبور ، وهذا مما ينفر منه السلفيون أشد النفور وايسوا  
في هذا بغالطين

هذا وقد توفي عبد الله بن عباس بالطائف سنة ثمان وستين ، وقيل سنة سبعين  
وسنة إحدى وسبعون سنة ، وقيل اثنتان وسبعون ، وقيل أكثر . وصلى عليه  
محمد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه . ودفن ابن  
عباس في الطائف بالمكان الذي فيه المسجد اليوم ، ودفن ابن الحنفية في الطائف أيضا  
على أصح الاقوال ، وكانت وفاة بعد ابن عباس باثنتي عشرة سنة ، وكانت أم  
عبد الله بن عباس أم الفضل ابنة الحارث بن حزم بن بجير بن الهرم بن ذريبة بن  
عبد الله بن عامر وهي التي قيل فيها :

ماولدت نجيبة من فحل بجبل نعلمه أو سهل

كسنة من بطن أم الفضل أكرم بهامن كحلة وكهل

فان أولادها كانوا باجمعهم أبطالا مجاهدين ، وقيل انه مارؤيت قبور أخوة  
أشد تباعداً بعضها من بعض من قبور ستمة من بني العباس مع كونهم ولدوا في  
دار واحدة . وذلك ان الفضل استشهد في وقعة اجنادين بفلسطين وقيل بطاعون  
عمواس ، ومعبد وعبد الرحمن استشهدا بافريقية ، وقيل ان معبداً مات شهيداً

(١) يعلم من هذا ان الصلاة لأجل المزار ، لاخالصة لله فهي شرك بالله ، وقد صرح  
بعض فقهاء الحنابلة ببطلان الصلاة في كل مسجد فيه قبر وان لم تكن الصلاة الى  
القبر أو لأجله . لأن النبي ﷺ عن بناء هذه المساجد ولمن قاعليها وهو يقتضي  
بطلان الصلاة فيها . واقتضاء النهي للفساد مسالة أصوابة معروفة غير خاصة بالحنابلة

بأفريقية وعبدالرحمن مات بالشام، وقتم بسمرقند مجاهدًا، ومات عبيد الله باليمن وقيل بالمدينة، وعبدالله مات بالطائف

وكانت فضائل عبد الله بن عباس أكثر من أن يحصى، وقد ألفت فيها التأليف وأكثر الكتب المؤلفات على الطائف ملأى بأخبار عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ووالد الخلفاء العظام، وهو الذي قل فيه أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: انه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق

وقد روى بعضهم ان النبي ﷺ قال فيه « لو كان بعدي نبي مرسل لكان عبد الله بن عباس اللهم فقهه في الدين وانشر منه، وعلمه التأويل، وبارك فيه، انه سيدفن في الطائف فن زاره فكاننا زار قهري بعثية » روى هذا الحديث الشيخ عبد الرحمن الميورقي عن احمد بن حاتم الموصلي والاشبه به أن يكون موضوعا واما أن يكون النبي ﷺ دعا له بان يفقهه الله في الدين وأن يبارك فيه وأن يعلمه الكتاب والحكمة فهذا معقول

وقد جاء في الصحيح انه ﷺ ضمه اليه وقل « اللهم علمه الحكمة » (١) وكان عمر ابن عباس لما قبض ابن عمه الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة، وروى السخاوي انه ﷺ دعا بالحكمة لابن عباس مرتين . وكل ما روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ ١٠٠ أحاديث أو أكثر . ومثل ذلك مما شهد فعله (٢) وباقى

« ١ » وصح ايضا انه قال « اللهم علمه الكتاب » وايضا « اللهم فقهه في الدين » كل ذلك في صحيح البخاري

(٢) في ترجمته من تهذيب التهذيب: (قائدة) روي عن غندران ابن عباس لم يسمع من النبي ﷺ الا تسعة أحاديث وعن يحيى القطان عشرة. وقال الغزالي في المستصفي: اربعة . وفيه نظر، في الصحيحين عن ابن عباس مما صرح فيه بسماعه من النبي ﷺ أكثر من عشرة، وفيهما مما شهد فعله نحو ذلك، وفيهما مما حكى الصريح نحو ذلك فضلا عما ليس في الصحيحين اهـ

أحاديثه إما مرسل محكوم باتصاله أو غير مرسل (١) عن أبويه وأخيه الفضل وخاتمه ميمونة وأبي بكر وعمر وعثمان وخلق من الصحابة

وروى الحسن المدني عن سحيم عن حفص عن أبي بكرة قال: قدم علينا ابن عباس البصرة وما في العرب مثله جسماً وعلماً وديناً وجمالاً وكلاً. وروى الطبراني وغيره حديثاً معناه أن أم الفضل ابنة الخارث زوجة العباس لما وضعت عبد الله بن عباس أتت به النبي ﷺ فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وسماه عبد الله ثم قال «أذهبي بأبي الخلفاء» ويجوز أن يكون هذا الحديث «أذهبي بأبي الخلفاء» صحيحاً وأن يكون الرسول كشف بذلك كما أنه يجوز أن يكون مما وضع في زمن الخلفاء بني العباس تزلفاً إليهم

ومثله ما رواه ابن فهد نقلاً عن تاريخ دمشق وهو حديث مرفوع صرح ابن فهد نفسه أنه ركيك اللفظ وإياه وهو «هبط علي جبريل عليه السلام وعليه قباء أسود وعمامة سوداء فقلت ماهذه الصورة التي لم أرك هبطت علي فيها قط؟ قال هذه صورة الملوك من ولد العباس عمك رضي الله تعالى عنه. قلت وهم علي حق؟ قال جبريل نعم. فقال النبي ﷺ اللهم اغفر لعباس وولده حيث كانوا وأبن كانوا. قال جبريل: ليايتين على أمتك زمان يعز الله عز وجل الإسلام بهذا السواد. فقلت رئاستهم ممن؟ قال من ولد العباس. قلت ومن أتباعهم؟ قال من أهل خراسان، قلت وأي شيء يملكون؟ قال الأصفر والأخضر والحجر والدر والسرير والمنبر والدنيا إلى المحشر، والملك إلى المنشر» اه والوضع ظاهر كالشمس في هذا الحديث، ومن عادة بعض الناس التزلف إلى الملوك والخلفاء بأقويل

«١» كذا - والحديث المرسل من سقط من آخر سنده من بعد التابيه وهو الصحابي الذي سمع من النبي ﷺ أو حضرا أو شاهد ما يرفعه إليه كقول التابيه قال رسول الله ﷺ كذا، ويطلق علي ما رواه الصحابي مما لم يسمعه ولم يحضره

كهنه هي داخلة في حكم قوله ﷺ « من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار » وقد يكون بعضهم ممن يستضعف الحديث ولا يثق باسناده لكنه يرويه عملاً بحسن الظن بزعمه او اعتقاداً للمصلحة فيه . وهذا من اكبر الخطأ ولا سيما ان كان من هذا الباب ، والحق غير محتاج إلى دعامة من الباطل . ولقد انتهى ملك بني العباس ولم يبق إلى المحشر ، كما انتهى ملك بني عثمان في أيامنا هذه وذهب معها كل ما قيل في خلود ملكهم سدى

ومن جملة ذلك رسالة للسيد محمود الجزاوي مفتي الشام رحمه الله اسمها « البرهان على بقاء ملك بني عثمان الى آخر الزمان » لم أعجب الا من صدورها عن رجل مثله في سعة علمه وعقله .

وقد روى الحافظ بن الابار القضاعي البلمنسي في « التكلة لكتاب الصلة » ان حيوة بن ملامس الحضرمي من اشراف إشبيلية كانت له منزلة لطيفة من عبد الرحمن بن معاوية ( الداخلى إلى الاندلس ) وروى عن حنش الصنعائي يرفعه ان ملك بني أمية لا يزال الى خروج الدجال ، ولما رواه لعبد الرحمن بن معاوية أقطعه قطيعة معروفة . انتهى وهذا أيضا من الباب المتقدم

وكان ابن عباس أبيض طويلاً وسماً جسيماً مشرباً بصفرة صبيح الوجه له وفرة بخضب بالحناء ، وكان يعتم بعامة سوداء يرخيها شبراً . ولعل الخلفاء العباسيين اتخذوا السواد شعاراً من أجل عمامة جدتهم هذه

وقد روى ابن فهد في « تحفة اللطائف » انهم كانوا باقين على لبس السواد الى عهده ، وقد كانت وفاته سنة ٩٢٢ وكذلك الخطباء في الحرمين الشريفين وغيرهما من بعض البلدان المعظمة . قال ابن فهد :

« وان معتمدهم في ذلك كونه ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه . وخطب بها الخلفاء كذلك ، لكونه ﷺ كان

في ذلك اليوم منصوراً على الكفار، فآخذوه شعاراً ليكونوا دائماً منصورين على أعدائهم. وسأل الرشيد الأوزاعي رحمه الله تعالى عن لبس السواد فقال : أبي لأحرمه ولكن أكرهه قل : ولم ؟ قل : لانه لا تجلى فيه عروس ، ولا يلبي به محرم ، ولا يكفن فيه ميت. فالتفت الرشيد إلى أبي نواس فقال : فما تقول أنت في السواد ؟ فقال : النور في السواد يأمر المؤمنين . ثم قال : وفضيلة أخرى يأمر المؤمنين لا يكتب كل من كتاب الله عز وجل وحديث النبي ﷺ وأقوال العلماء رحمهم الله تعالى إلا به ، وهو مضاف إلى الخلافة. فلما سمع الرشيد هذا الوصف في السواد اهتز طرباً وأمر له بجائزة سنوية « انتهى

قلت نسبة هذه الرواية للرشيد خطأ محض . وكنا نقول انها سهو ناسخ تبدل لفظة الرشيد بالمنصور لولا مجيء قصة أبي نواس من بعدها . ووجه الخطأ ان الامام الأوزاعي رضي الله عنه توفي يوم الاحد أول النهار لليتين من صفر سنة سبع وخمسين ومائة هذا الذي عليه الجمهور رواه العباس بن الوايد العذري قاضي بيروت المتوفى سنة ٢٧٠ قال عنه ياقوت في معجم البلدان انه كان من خيار عباد الله

وقد نقل هذه الرواية عن وفاة الأوزاعي زين الدين بن تقي بن عبد الرحمن الخطيب في كتابه «محاسن المساعي في مناقب الامام ابي عمرو الأوزاعي» وهو مخطوط اطلمت عليه أخيراً في المكتبة الملوكية في برلين وعلمت منه ان مؤلفه اكمله سنة ١٠٤٨ وهو لا يقول « في مناقب الامام ابي عمرو الأوزاعي » بل « في مناقب الامام ابا عمرو الأوزاعي » لا أعلم اهو من خطأ الناسخ أم من نفس المؤلف عملاً بلفظة \* إن أباه وأبا أباه\*؛ وقل ابن خلدكان عن وفاة الأوزاعي : وتوفى سنة سبع وخمسين ومائة ، لليتين بقيتا من صفر ، وقيل في شهر ربيع الاول بمدينة بيروت. أما الرشيد فقد كانت ولادته سنة ١٤٨ أي إنه يوم وفاة الأوزاعي،

كان قاصراً . واستخلف الرشيد سنة ١٧٠ . فالخليفة الذي سأل الامام الاوزاعي عن السواد هو المنصور لا الرشيد لأن الاوزاعي جرى بينه وبين المنصور حديث طويل . ولما قدم ابو جعفر المنصور الشام زاره الاوزاعي ووعظه ، فعظمه الخليفة وأحبه . ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له ، فلما خرج قال المنصور الربيع الحاجب : الحقه فأسأله . لم كره لبس السواد ولا تعلمه إني قات لك . فسأله الربيع فقال : لأنني لم أرحم ما أحرم فيه ولا ميتاً كفن فيه ولا عروساً جلبت فيه . فإهذا أكرهه

أما أبو نواس فيجوز أن يكون قال الرشيد هذا وأكثر منه لكن بدون أن يكون الاوزاعي حاضراً . وكيف كان الامر ؟ فكان السواد شعار العباسيين وكان يقال لهم المسودة . وكان الخلفاء العباسيون يخلعون حلال السواد على من ينتسب اليهم أو ينال الحظوة عندهم جاء في « تاريخ الاعين في جبل لبنان » للشيخ طوس الشدياق والمعلم بطرس البستاني انه لما وقع اقتال على نهر بيروت بين المردة والامير النعمان بن الامير عامر بن الامير هاني بن أرسلان وهزم الامير النعمان المردة وقتل بعضاً وأسر بعضاً وكتب الى موسى بن بغا في بغداد يخبره وأرسل الرءوس والاسرى الى بغداد عرض ذلك موسى للخليفة المتوكل فكتب اليه المتوكل كتاباً يمدح شجاعته وبجرسه على القتال وأقره على ولايته تقريراً له ولذريته وأرسل له سيفاً ومنطقة وشاتاً أسود وكتب اليه أخوه الموفق وغيره كتباً يمدحونه بها وأعاد رسله مكرمين فتقلد الامير السين وشد المنطقة ولف الشاش ودعا لامير المؤمنين وزينت البلاد « الخ وهذه الرواية محررة لكن باختصار في سجل نسبنا الارسلاني

والخلاصة أن بني العباس أرادوا أن يتميزوا بشعار فجعلوه السواد اقتداءً بجدهم عبد الله بن عباس الذي اقتدى بابن عمه (ص) في اعتمائه بالسواد يوم فتح مكة

ومناقب عبدالله بن عباس كثيرة ، وأقواله مأثورة ، ومما ينسب اليه : مذاكرة  
 لعلم ساعة خير من احياء ليلة . ويروي عن سعد بن أبي وقاص انه قال : رأيت  
 ما أحداً أحضر فهماً ، ولا ألباً لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلقاً من ابن عباس  
 ولقد رأيت عمر يدعو للمعضلات ، فيقول : قد جاءتك معضلة ، ثم لا يجاوز قوله  
 وان حوله لأهل بدر . وقيل أن بعضهم وجدوا على عمر في ادنائه ابن عباس  
 دونهم فقال لهم : انه يعظمه لعلمه مع صغر سنه . وكان عمر يستشيره إذا أهمته  
 الامور ويقول : غواص . وأوصاه أبوه العباس أن يحسن صحبة عمر فقال له :  
 يا بني إن أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك ، فاحفظ عني ثلاثاً : لا يجربن  
 عليك كذبا ، ولا تفشين له سرا ، ولا تفتان عنده أحداً .

وقالوا انه أورد رجل ذكر القراء أمام عمر فقال ابن عباس : ما أحب أن  
 يتسارعوا (١) في القرآن . فسأه قوله عمر قل ابن عباس : فانطلقت الى منزلي  
 فقلت ما أراني إلا سقطت من نفسه ، قبيبا أبا كذلك جاءني رجل فقال : أجب  
 أمير المؤمنين . فذهبت فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال : ما كرهت مما قال الرجل؟  
 فقلت يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فأستغفر الله . قال : لتحدثني . قلت .  
 أنهم متى سارعوا (٢) اختلفوا ومتى اختلفوا اقتتلوا . فقال لله أبوك لقد كنت  
 أكتمها للناس . وعن ابن مسعود انه قال . إن هذا الغلام يعني عبدالله بن عباس  
 لو أدرك ما أدركناه ما تعلقتنا معه بشيء . وسأل أحدهم ابن عمر عن شيء فقال .  
 سل ابن عباس فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد ﷺ

وعن معاوية : ابن عباس أفقه من مات ومن عاش . وعن عبيد الله بن عبدالله  
 ابن عتبة بن مسعود : ما رأيت أحداً أعلم من ابن عباس بما سبقه من حديث رسول



الله ﷺ وبقضاء ابي بكر وعمر وعثمان ، ولا أفقه ولا اعلم بتفسير القرآن والعربية والشعر والحساب والفرائض . وكان يجلس يوماً للتأويل ، ويوماً للفقهِ ويوماً للمغازي ، ويوماً لأيام العرب . وما رأيت قط عالماً جلس إليه إلا خضع له ولا سائلاً يسأله إلا اخذ عنه علماً

وقل عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً اجتمع لكل خير من مجلس ابن عباس : الخلال والحرام والعربية والانساب . وعن عطاء : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، اكثر فقهاً وأعظم خشية ، ان اصحاب الفقه عنده واصحاب القرآن عنده واصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع . وعن طاوس : ادركت خمسين أو سبعين من الصحابة إذا سئلوا عن شيء فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت . وسمع احدهم ابن عباس يخطب ويفسر فقال : لو سمعته لروم وفارس لأسلمت

ولو شئنا استقصاء مناقبه لطال المقال جداً لاسيما ان كتابنا هو رحلة إلى الحجاز ، لا ترجمة لابن عباس رضي الله عنه . وإنما اوردنا ما اوردنا منها لان التراجم الزكية هي خير ما يطرف به الكتاب القراء ، ولا سيما القراء الناشئين الذين قد يقتدون بما بها من الفضائل ويتعلمون مكارم الاخلاق ومعالي الامور ، ونعم التاريخ الذي يزكي النفوس ويشحن الالباب

وكان ابن عباس عاملاً لعلي رضي الله عنهما على البصرة وشهد معه صفين ، فلما استشهد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه استخلف ابن عباس على البصرة عبد الله بن الحارث النوفلي ولحق بالحجاز ، ولما دعا عبد الله بن الزبير الناس إلى مبايعته بالخلافة أبي عبد الله بن عباس أن يبايعه فصعد إلى الطائف ، ولم تزل الطائف لاهل الحجاز متنفساً ، ومات فيها ، وقال محمد بن الحنفية عند موته : مات اليوم رباني هذه الامة وقد دفن محمد بن الحنفية في المكان الذي دفن فيه ابن عم ابيه اي ابن عباس

ودفن آخرون من الاعيان والصلحاء والامراء. ومن هؤلاء الامير جعفر بن سعيد ابن سعد بن زيد بن محسن تولى إمارة مكة سنة ١١٧٢ تم نزل عنها لاختيه مساعد ومات بالطائف سنة ١١٧٨ ثم الامير عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون ولي إمارة مكة بعد وفاة ابيه محمد بن عون اول أمير عليها من ذوي عون وبقي فيها نحو ٢٠ سنة وكانت وفاته بالطائف سنة ١٢٩٤ ثم الامير عون الرفيق ابن محمد بن عبد المعين بن عون أخو الامير عبد الله ولي الامارة سنة ١٢٩٩ وبقي فيها إلى ان توفي بالطائف سنة ١٣٢٣ وله قصر بديع ، اتم الطاق الاول منه وبقي بدون نجارة ولا يزال قائماً من تددة متانته وهو مشرف على السهل الافيح الممتد منه إلى الشكنة العسكرية

ونزل بالطائف رهط من اصحاب رسول الله ﷺ منهم عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف كان حين حاصرهم الرسول - على ماسياتي خبره - غائباً بجرش يتعلم عمل الدبابات والمنجنيق فلما قدم الطائف بعد انصراف الرسول ﷺ عنها قذف الله في قلبه الاسلام ، فقدم على الرسول بالمدينة فأسلم واستأذنه في الرجوع إلى قومه ليدعوهم إلى الاسلام فقال ﷺ له « أنهم إذا قاتلوك » فقال لو وجدوني نائماً ما أيقظوني ، فلما رجع إلى الطائف اتته ثقيف تسلم عليه بتحية الجاهلية فأنكرها عليهم وقال لهم عليكم بتحية اهل الجنة ، فنالوا منه ، فلم عنهم وخرجوا من عنده وجعلوا ياتمرون به ، وطلع الفجر فأذن بالصلاة فخرجت اليه ثقيف من كل ناحية فرماه أوس بن عوف من بني مالك فاصاب اكله فقام غيلان بن سلمة وكنانة بن عبد ياليل والحكم بن عمرو وغيرهم وقالوا نموت عن آخرنا او نثار به عشرة من بني مالك ، فلما رأى عروة ما يصنعون قال لا تقتلوا في ، قد تصدقت بدمي على صاحبه لأصالح بذلك بيسكم ، فهي كرامة اكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي ، وأشهد ان محمداً رسول

الله لقد اخبرني انكم تقتلونني ، ثم دعا رهطه فقال انا مت ادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا في حصار الرسول للطائف فدفنوه معهم وبلغ الرسول ﷺ خبر قتله فقال « مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه الى الله فقتلوه »

ومنهم ابو مليح بن عروة بن مسعود وقارب بن الاسود بن مسعود أسلما ولحقا برسول الله بالمدينة . ولما وفدت ثقيف على الرسول ﷺ وأسلمت عادا إلى الطائف . وقال ابو مليح للرسول ﷺ ان أبي مات وعليه دين مائة مثقال ذهب فان رأيت أن تقضيه من حلي الربة أي اللات فعلت ، فقال الرسول ﷺ « نعم » فقال قارب بن الاسود : وعن الاسود بن مسعود أبي ، فانه ترك ديننا مثل دين عروة فاقضه عنه من مال الطاغية . فقال الرسول ﷺ « ان الاسود مات كافراً » فقال قارب : تصل به قرابة ، انما الدين علي وأنا مطلوب به ، فقضى الرسول عنه دينه من مال الطاغية .

ومنهم الحكم بن عمرو أسلم في وفد ثقيف على الرسول ، ومنهم غيلان بن سلمة وكان شاعراً ، وفد على كسرى فسأله أن يبني له حصناً بالطائف فبني له ولما جاء الاسلام أسلم ، وكان عند عشرين نسوة فقل له الرسول « اختر منهن أربعاً » فاختر أربعاً وطلق الباقيات

ومنهم شمر حبيب بن غيلان وكان في وفد ثقيف على رسول الله ، ومنهم عبد ياليل ابن عمرو وكان رئيس الوفد ، ومنهم كنانة بن عبد ياليل وأسلم يومئذ ، ومنهم الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وكان الرسول ﷺ يأمر من به علة أن يأتيه ، ومنهم نافع بن الحارث بن كلدة وهو أبو عبد الله الذي انتقل إلى البصرة ، ومنهم العلاء ابن جارية بن عبد الله بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، ومنهم عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهان بن عبد الله بن همام ابن ابان بن يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف ، قدم مع وفد ثقيف

على رسول الله بالمدينة وكان أصغرهم سنًا فكانوا يخلفونه على رحلهم يتعاهدوا لهم ، فاذا رجعوا من عند رسول الله وناموا وكانت الهاجرة آتى عثمان رسول الله فأسلم قبلهم سرًا منهم ، وكتبهم ذلك ، وكان يسأل رسول الله ﷺ عن الدين ويستقر به القرآن ، وكان إذا وجد رسول الله نائمًا عمد إلى أبي بكر فسأله واستقرأه فأعجب به رسول الله وأحبه ، فلما أسلم الوفد وكتب لهم الرسول ﷺ الكتاب الذي فضاهم عليه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا : يا رسول الله أمر عليا رجلا منا . فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم لما رأى من حرصه على الاسلام . قال عثمان بن أبي العاص : استعملني رسول الله ﷺ على الطائف فكان آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ أن قال « خفف عن الناس الصلاة » ولما قبض رسول الله ﷺ كان عامله على الطائف عثمان بن أبي العاص فبقي عليها إلى خلافة عمر ، فاحتاج عمر إلى عامل يستعمله على البحرين فسموا له عثمان بن أبي العاص فقال : ذلك أمير أمره رسول الله ﷺ على الطائف فلا أعزله قالوا له : بأمر المؤمنين تأمره يستخلف على عمله من أحب وتستمين به فكانت لم تعزله فقال أما هذا فنعم . فكتب إليه ان خلف على عمالك من أحببت وأقدم علي فخلف أخاه الحكم بن أبي العاص على الطائف وقدم على عمر فولاه البحرين

قال محمد بن سعد في الطبقات فلما عزل عن البحرين نزل البصرة هو وأهل بيته وشرفوا بها والموضع الذي بالبصرة يقال له شط عثمان إليه ينسب . وكان الحكم بن عثمان ممن صحب النبي ﷺ أيضاً

وممن أسلم مع وفد ثقيف أوس بن عوج أحد بني مالك الذي رمى عروة بن مسعود حسبا تقدم القول وكان خائفا من أبي مليح بن عروة وقارب بن الاسود فشكا ذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فنهاهما أبو بكر عنه وقال لهما ألسنتم مسلمين؟ قالوا بلى ، قال فتأخذان بذحول الشرك (١) وهذا رجل قدم يريد الاسلام وله ذمة

وأمان ولو قد أسلم صار دمه عليكما حراماً ثم قارب بينهم حتى تصافحوا وكفوا عنه .  
 ومنهم أوس بن حذيفة الثقفي وكان ممن أسلم في وفد ثنيف قال خرجنا من  
 الطائف سبعين رجلاً من الاحلاف وبني مالك فزل الاحلافيون على المغيرة بن  
 شعبة وأنزنا رسول الله ﷺ في قبة له بين مسكنه وبين المسجد  
 ومنهم أوس بن أوس الثقفي ومما روى عنه حفيد له انه أوماً اليه وهو في الصلاة  
 ان ناولني نعلي فناواته نعليه فصلى فيها وقال رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعليه  
 ومنهم الحارث بن عبد الله بن أوس الثقفي ويروى عنه انه قال سمعت  
 رسول الله ﷺ يقول « من حح أو اعتمر فليكن آخر عهده بالبيت »  
 ومنهم الحارث بن اريس الثقفي وقد صحب وروى  
 ومنهم الشريد بن سويد ، ومما حدث به ان النبي ﷺ قال « جار الدار  
 أحق بالدار من غيره » وقد استنشدته الرسول من شعر أمية بن أبي الصلت  
 وجعل يقول « إن كاد ليسلم » مات الشريد في خلافة يزيد بن معاوية .  
 ومنهم ثمر بن خرشة الثقفي كان في وفد ثنيف إلى المدينة .  
 ومنهم سفيان بن عبد الله وكان فيهم أيضاً وولى سفيان الطائف ،  
 ومنهم الحكم بن سفيان ، ومنهم ابو زهير بن معاذ الثقفي ، ومنهم كردم بن  
 سفيان جاء الى الرسول ﷺ فقال له إني نذرت ان أنحر عشرة أبعرة لي ببوانة (١)

( ١ ) حاشية للمؤلف : بوانة ، بضم اوله كشمامة - هضبة وراء ينبع - ويفتح .  
 وايضاً مائة لبني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بالقرب من مكة ، وايضاً مائة  
 لبني عقيل ، وانشد الجوهري

لقد لقيت شول بجني بوانة نصياً كاعراف الكوادر اسحما  
 وقال وضاح اليمن :

ايا نخاتي وادي بوانة حبذا اذا نام حراس النخيل جنا كما

فقال رسول الله ﷺ « نذرت ذلك وفي نفسك شي من أمر الجاهلية ؟ » قال لا والله ، قال « فانطلق فانحرها »

ومنهم وهب بن خويلد الثقفي أسلم وصحب ومات على عهد الرسول ﷺ ،  
ومنهم وهب بن أمية بن ابي الصلت الثقفي الشاعر وأسلم وهب وصحب ، ومنهم  
ابو محجن بن عمرو بن عمير الثقفي وكان شاعراً . ومنهم الحكم بن حزن الكافي  
من بني كافة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن روى عنه محمد بن  
سعد في الطبقات انه وفد على رسول الله ﷺ سابع سبعة او تاسع تسعة وشهد  
معه الجمعة فقام الرسول ﷺ متوكئا على قوس او على عصا فحمد الله وأثنى عليه  
كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال « أبها الناس انكم ان تهليقوا ولن تفعلوا  
كل ما أمرتكم فسدوا وابشروا »

ومنهم زفر بن حرثان بن الحارث من هوازن ايضا وفد وأسلم ، ومنهم  
مضرس بن خفاجة بن النابغة من هوازن أيضا وفد وأسلم وشهد حنيناً ، وذكره  
العباس بن مرداس في شعره ، ومنهم يزيد بن الاسود من بني سواة روي انه  
صلى مع النبي ﷺ الفجر في مسجد منى في حجة الوداع فلما قضى الصلاة التفت  
فاذا هو برجلين لم يصليا فقال « اتوني بهما » فأتي بهما ترعد فرائصهما فقال  
« ما منعكما أن تصليا معنا؟ » فلا يارسول الله صايناني رحالنا ، قل « فاذا جئتم  
والامام بصلي فصلوا معه فانها لكم نافلة » وكان يزيد شهد حنيناً مع المشركين ثم  
أسلم وصحب . ومنهم عبيد الله بن معية من بني سواة . ومنهم أبو رزبن العقيلي  
واسمه لقيط بن عامر بن المشفق ، قيل انه أتى الرسول ﷺ فقال له يارسول الله  
ان أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الضامن فقال « حج عن أبيك واعتمر »

\*\*\*

وروى ابن سعد في الطبقات انه كان بالطائف بمدهؤلاء من الفقهاء والمحدثين

عمرو بن الشريد بن سويد الثقفي وعاصم بن سفيان الثقفي، وابوهندية الذي روى عنه سعيد بن المسيب، وعمرو بن أوس الثقفي، وعبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان ابن عبدالله من ثقيف وامه أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية وخاله معاوية . وكان جده عثمان بن عبدالله حامل لواء المشركين يوم حنين فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال رسول الله « أبعد الله انه كان يبغض قريشا » وقد ولي عبدالرحمن بن عبدالله الكوفة ومصر . قال محمد بن سعد: وولده اليوم يسكنون دمشق ( محمد بن سعد كان في القرن الثالث )

ومنهم وكيع بن عدس ( بضمين ) ويعلى بن عطاء أقام بواسط في آخر سلطنة بني أمية وعبدالله بن يزيد، وبشر بن عاصم الثقفي، وابراهيم بن مسيرة وعطيف ابن أبي سفيان، وعبيد بن سعد، ومحمد بن أبي سويد وسعيد بن السائب وعبدالله ابن عبدالرحمن بن يعلى بن كعب الثقفي ويونس بن الحارث الطائفي ومحمد بن عبدالله بن أفلح الطائفي ومحمد بن أبي سعيد الثقفي ومحمد بن مسلم بن سوسن الطائفي وبجي بن سليم الطائفي وكان قد نزل مكة

\* \* \*

وأما شهداء الصحابة في الطائف عام ثمانية للهجرة فهم سعيد بن سعيد بن العاص الأموي . وعرفطة بن عبدالله بن أمية ، والسائب بن الحارث بن قيس القرشي أحد المهاجرين الى الحبشة . وعبدالله بن الحارث بن قيس أخو السائب ومثله في الهجرة إلى الحبشة . وطلحة بن عبدالله بن ربيعة وثابت بن الجزع الخزرجي من الانصار والمنذر بن عبدالله الخزرجي الانصاري، وورقم الانصاري وعبدالله بن عامر بن ربيعة ورجل من بني الليث وألحق بعضهم بهم عبدالله بن أبي بكر الصديق لانه كان جرح في غزاة الطائف واندمل جرحه عدة ثم انتكس ومات

ومن أشهر المولودين في الطائف زياد بن عبيد المعروف زياد بن أبيه لاختلاف المؤرخين في نسبه وهو الذي استلحقه معاوية بن أبي سفيان وأمه سُمية جارية الحارث بن كلدة . كان كاتباً لابي موسى الاشعري ، وكانت ولادته سنة الهجرة وقال في الطبقات الكبرى : عام الفتح ، ولي البصرة لمعاوية حين دعاه وضم اليه الكوفة فكان يشتم بالبصرة ويصيف بالكوفة ، ويولي على الكوفة إذا خرج منها عمرو ابن حريث ، ويولي على البصرة إذا خرج منها سمرة بن جندب ، ولم يكن زياد من القراء ولا الفقهاء الا انه كان معروفاً . ثم ذكر صاحب الطبقات ان عائشة أم المؤمنين كتبت اليه كتاباً خاطبته فيه زياد بن أبي سفيان ، ومات بالكوفة وهو عامل عليها لمعاوية . وكان زياد بلا صراء من أعظم الرجال . قال الشعبي : ما رأيت أحداً أخصب نادياً ولا أكرم مجلساً ولا أشبه مرآً بملانية من زياد وقال الاصمعي : أول من ضرب الدنانير و لدرهم ونقش عليها اسم الله ومحا عنها اسم الروم ونقوشهم زياد . وقل العتيبي : ان زياداً أول من ابتدع ترك السلام على القادم بحضرة السلطان ، وقالوا انه أول من عرف العرفاء ورتب النقباء ومضى الاعوان بين يديه ووضع الكرسي وربع الارباع وخمس الاخماس في الكوفة والبصرة .

ونقل الخير الزركلي عن ابن حزم مايلي : امتنع زياد وهو قفعة القاع ( القفعة بفتح أوله القفة من خوص وقد يكون . أعلاها ضيقاً وأسفلها واسعا وفي لبنان يصفرونها ويقولون قفوعة ، واما القاع فالارض المطمئنة ، والمتصود بذلك انه ليس بشيء في نسبه وحسبه ) لاعتشيرة له ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فلا أطاقه معاوية إلا بالمدارة حتى أرضاه وولاه

وقال الاصمعي : الدهاة أربعة ، معاوية للروية ، وعمرو بن العاص لبديهة ، والمغيرة بن شعبة للمعضلة ، وزياد لكل كبيرة وصغيرة . قلت فضل زياد في المكنة



التي حازها أعظم من فضل جميعهم لأن معاوية أموي وعمرو بن العاص سهمي والمغيرة ثقفي فاما زياد فهو ابن سمية ... وانما \* نفس عصام سوّدت عصاما \*  
ومن أشهر المولودين بديار الطائف الحجاج بن يوسف الثقفي الذي صار اسمه رمزاً للظلم وسفك الدماء ، فإذا قيل سفك دماء حجاج ، قيل انه قتل أكثر من مائة ألف صبياً ، وسموه يقول عند الموت: رب اغفر لي فان الناس يزعمون انك لاتغفر لي .

قال الذهبي في كتاب دول الاسلام: انه كان شجاعاً مهيباً جباراً عنيداً ، ومخازيه كثيرة إلا انه كان عالماً فصيحاً مفوهاً مجوداً للقرآن . وقال انه قتل الامام المفسر سعيد بن جبير ظلماً . فاما امه الله بعهده فهلك في رمضان سنة خمس وتسعين وله ثلاث وخمسون سنة . وقرأت في محل آخر انه عاش خمسا وخمسين سنة ، وقال ابن خلكان انه كان عمره ثلاثاً وخمسين ، وقيل اربعا وخمسين وهو الاصح . وروى ابن خلكان انه كان ينشد في مرض موته هذين البيتين لعبيد بن سفيان العكلي .

يارب قدحاف الاعداء واجتهدوا ايمانهم اني من ساكني النار  
أيحافون على عمياء ويحرمون ماظنهم بعظيم العفو غفار  
قلت ان الناس غير مخطئين فيما يذهبون اليه من أمر الحجاج ، فكما ان الله عظيم العفو فهو عظيم العدل أيضاً سبحانه وتعالى ، إن لم يعاقب مثل الحجاج على ماسفك من دماء الابرء فمن يستحق العقوبة اذا ؟

وقل ابن خلكان عن مرضه : إن الله ساطع عليه الزمهرير فكانت الكواكب تبجل تحته مملوءة ناراً وتدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس به . ، وشكا مايجده إلى الحسن البصري فقال له : قد كنت نهيتك أن تتعرض إلى الصالحين فخرجت ، فقال له : يا حسن لا أسألك ان تسأل الله ان يفرج عني ولكن أسألك

ان تسأله يعجل قبض روعي ولا يطيل عذابي . ولما جاء موت الحجاج إلى الحسن البصري سجد لله تعالى شكراً وقال اللهم انك قد أمتّه قامت عنا سنته . وكانت وفاته بمدينة واسط ودفن بها وعفي قبره وأجري عليه الماء

قلت ليس الحجاج مسؤولاً فيما أناه من الموبات وقتل من قتل من عباد أكثر من عبد الملك بن مروان الذي استعمله وأملى له . وكان ولاء العراق وخراسان ، وولاه قبل ذلك الحجاز ، وكانت له امرأة بدمشق ولا يزال فيها بناء اسمه قصر حجاج أذنته منسوباً له ، ولما توفي عبد الملك وتولى الوليد أبقاه في عمله فكأنه أعجب بني أمية

وقال ابن خلكان: وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بثلاثها ويقال ان زياد بن أبيه — او ابن سمية او ابن ابي سفيان — أراد ان يتشبهه بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ضبط الامور والحزم والصرامة واقامة السياسات إلا انه أسرف وتجاوز الحد، واراد الحجاج ان يتشبهه بزياد فاهلك ودمر ، وكان الحجاج يخبر عن نفسه ان أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ، ومن كان كذلك فكيف يوليه الخلفاء الولايات الكبرى ويطلقون فيها يده ؟ نعم ان الضبط والربط والحزامة من الامور التي تصلح للولاة ، بل من الامور التي لا يصلح الولاة إلا بها ، لكن على شرط ان لا يخرج ذلك بالولاة إلى الامراف والاعتداء وتجاوز حدود الله ، فان العدل هو الحد الوحيد الذي لا يجوز التأخر عنه ولا التقدم عليه ، ومن تجاوز حد العدل فقد أفرط ومن تأخر عنه فقد فرط ، وما يسمع الجميع إلا العدل، ومن أشد الامور ضرراً ان يعتمد الوالي او القائد اتيان الامور التي تجعل له هيبة في قلوب الناس بزعمه ، او ان يتلذذ بسمعة البطش وارهاف الحد كما كان يفعل جمال باشا التركي قائد الجيش العثماني في سورية أيام الحرب الكبرى ، فقد كان يعتمد البطش وأظهار الاستخفاف بدماء البشر املاً بان ينال المهابة في الصدر وان تسير عنه

الاخبار ، فاضر عمله بدولته وأمته وزاد في شقاق الترك مع العرب وما نفعت سياسته إلا الافرنج الطامحين إلى البلاد، وما نفعت إلا الرأدين لهم الساعين بين أيديهم من أبناء البلاد

فاما الحزامة والضبط فقد روي فيهما عن الحجاج ما لو وقف عند ذلك الحد، لما انتقده أحد، قالوا : كان الحجاج وابوه يعلمان الصبيان بالطائف ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته إلى ان رأى عبد الملك انحلال عسكره ، وان الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله ، فشكا ذلك، إلى روح بن زنباع . فقال له إن في شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لارحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله، يقال له الحجاج بن يوسف ، قال فانا قد قلدناه ذلك . فكان لا يقدر أحد ان يتخلف عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع، فوقف عليهم يوما وقد أرحل الناس على الطعام يأكلون فقال لهم : مامنكم ان ترحلوا برحيل أمير المؤمنين؟ فقالوا له انزل يا ابن اللخناء فكل معنا ، فقال لهم هيهات ذهب ذلك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في المسكر وأمر بفساطيط روح فأحرقت بالنار ، فدخل روح على عبد الملك باكيا وقل يا أمير المؤمنين إن الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلماني وأحرق فساطيطي ، قال علي به ، فلما دخل عليه قال ما حلك على ما فعلت؟ قال انا ما فعلت، قال ومن فعل؟ قل أنت فعلت انما يدي يدك، وسوطي سوطك، وما على أمير المؤمنين ان يخاف لروح عوض الفسطاط فسطاطين ، وعوض الغلام غلامين ، ولا يكسرني فيما قدمني له . فن ذلك الوقت تقدم الحجاج في منزلته ، ولكن كان ينبغي لهم ان يلزموه من الحزامة والصرامة هذا الحد ولا يسمحوا له أن يتجاوز

قال الامام السيوطي في تاريخ الخلفاء « لو لم يكن من مساويء عبد الملك

إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم جميعاً وبذلهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً ، وقد قتل من الصحابة والتابعين مالا يحصى فضلاعن غيرهم ، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختما يريد بذلك ذلهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه »

( قلت ) وأغرب من تولية عبد الملك الحجاج بن يوسف - توصيته ولده الوليد به عند موته فقد قال له وهو يجود بروحه « وانظر إلى الحجاج فإكرمه فإنه هو الذي وطأ أكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناواك فلا تسمعن فيه قول أحد وأنت إليه أحوج منه اليك » فكأن عبد الملك تحمل تبعه أعمال الحجاج حياً وميتاً

ومن أغرب الغرائب ان بعض الناس يلتمس المنذر لعبد الملك بقوله : إن الحجاج هو الذي أنقذ ملك بني أمية وانه لولاه لانتقلت الخلافة لآل الزبير. فان الناس بعد موت يزيد بن معاوية بايعوا لعبد الله بن الزبير، وكان فحل قريش الصائل في وقته ، لا يدركه أحد في شجاعة ولا عبادة ولا بلاغة ، وأطاعه الحجاز واليمن والعراق وخراسان، ولم يمتنع عن مبايعته إلا اهل الشام ومصر فانهم بايعوا معاوية ابن يزيد إلى أن مات، فبايعوا ابن الزبير إلى ان خرج مروان بن الحكم فغلب على الشام ومصر . والحافظ الذهبي لا يعده من أمراء المؤمنين بل يعده باغياً خارجاً على ابن الزبير ويعده عهداً لابنه عبد الملك بن مروان غير صحيح وقد صحح السيوطي هذا القول وهذا يدل على ان أصل الولاية في الاسلام هو ولاية الامة ، وان لا ملك ولا خلافة إلا من الامة (١) وان الاختيار هو الشرط الاول لا الارث، خلافاً لظن من لم يقرأ شيئاً عن أصول الحكم في الاسلام ، ظنوا أن استمداد الحكم من الامة

(١) والدليل على ذلك أنها لا تتم الا بمبايعة الامة الاختيارية، واما الارث

فلا أصل له ولا دليل عليه البتة

هو منزع أوربي جديد ! قاتلهم الله ما أجهلهم بالتاريخ هذا إن لم يكونوا يتجاهلون  
عمداً للمرض الذي في قلوبهم

ولما استوسق الامر لعبد الملك أرسل الحجاج في اربعين ألفاً لقتال ابن الزبير  
فحصره بمكة أشهراً ورعى الكعبة بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه وتسلبوا إلى  
الحجاج فظفر به وقتله، وكان ابن الزبير أخيراً أمه أسماء بنت ابي بكر الصديق  
رضي الله عنهما عن خذلان الناس اياه واستشارها فيما يصنع فأشارت عليه بان يخرج  
ويقاتل إلى ان يقتل في خبر يعرف منه الانسان درجة الانفة وعزة النفس اللتين  
عند العرب حتى عند النساء اللاتي كن يفضلن قتل أولادهن على المهانة والذل

\*  
\* \* \*

ونعود إلى المشهورين من ثقيف ومن سكان ديار الطائف، فمنهم السائب بن  
الاقرع الثقفي روى عن عمر بن الخطاب و كان قليل الحديث وولاه عمر ولايات  
في فارس بعد ان شهد فتح نهاوند العظيم ومات باصمهان  
ويوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ابن أنثي الحجاج وهو ممن ولي مكة  
تولاها في زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك

### العرجي الشاعر

ومنهم العرجي-الشاعر المشهور- وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن  
عثمان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، قال في كتاب الاغانى سمي العرجي لانه  
كان يسكن عرج الطائف. وقيل سمي كذلك لانه كان له ومال عليه بالعرج. وكان  
من شعراء قريش، ومن شهر بالقرنل منهم ونحو نحو عمر بن ابي ربيعة في ذلك  
وتشبه به فاجاد، وكان مشغوقاً باللهو والصيد حريصاً عليها قليل المحاشاة لاحد  
فيهما. نقل السيد خير الدين الزركلي في كتابه «مارأيت وما سمعت» عن كتاب  
«العقد الثمين في تاريخ البلدا الامين» للمؤرخ الامام الحافظ ابي الطيب محمد

تقي الدين بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي المكي المتوفى في منتصف القرن التاسع  
 ان محمد بن هشام بن اسماعيل كان والياً على مكة لهشام بن عبد الملك فسجن العرجي  
 في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر، فلم يزل في السجن الى أن مات . ولكن رواية  
 الاغاني تخالف ذلك، فهو يقول انه كان يشبب بجيداء أم محمد بن هشام بن اسماعيل  
 الخزومي ليفضح ابنها لالحبة كانت بينهما، فكان ذلك سبب حبس محمد إياه وضر به  
 له حتى مات في السجن . وذكر صاحب الاغاني انه كان صاحب غزل وفتوة وقال  
 انه كان من الفرسان المدودين مع مسامة بن عبد الملك بارض الروم وكان له معه  
 بلاء حسن ونفقة كثيرة . وذكر أن العرجي باع أموالاً عظيماً كانت له واطعم ثمنها  
 في سبيل الله حتى نفذ ذلك كله . وكان قد أخذ غلامين فاذا كان الليل نصب  
 قدره وقام الغلامان يوقدان فاذا نام الواحد قام الآخر، فلا يزالان كذلك حتى  
 يصبحا يقول لعل طارقاً يطرق . وأخبار العرجي كثيرة ونكاته مشهورة، والظاهر  
 انه كان على كرم عريض وفتوة أكيدة الا أن الله ابتلاه بالنسيب بنساء قریش في  
 شعره مما كان يعرض من يتشبه بهن للظنة وسوء القالة . ومن ظريف ما يحكى  
 ان جارية من مولدات مكة صارت إلى المدينة فلما أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة  
 اشتد جزعها ، وجعلت تبكي وتقول : من لسكة وشعابها وأباطحها ونزها ووصف  
 نساها وحسنها ؟ فقيل لها : خفضي عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي  
 الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه . فقالت : انشدوني من شعره فانشدوها  
 فسحت عينها وضحكت وقالت الحمد لله الذي لم يضع حرمه

\* \*

أمية بن أبي الصلت

ومن اشتهر بالنسبة إلى الطائف أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة  
 ابن عوف بن عقدة بن عنزة بن قيس وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن

قال صاحب الاغاني : هكذا يقول من نسبهم إلى قيس . وأم أمية بن أبي الصلت قرشية وهي رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف

وكان أمية من أشعر العرب واليه ينسب هذا البيتان

قوم إذا نزل الغريب بارضهم رده رب صواهل وقيان  
لا ينكتون الارض عند سؤلهم لتلس العـمـلات بالعيدان  
وما من قصيدة أولها

قومي ثقيف إن سألت وأمرتي وجهم أداقم ركن من عاداني  
قل ابو عبدة : اتفقت العرب على أن أشعراهل المدن أهل يثرب ثم عبدالقيس .  
ثم ثقيف، وان أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت . قلوا وطمع أمية في النبوة وكان  
قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوخ تمبداً وحرم الخمر وشك في الاوثان  
وكان مما قرأ أن نبيا يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو . فلما بعث  
النبي ﷺ قيل له هذا الذي كنت تنتظره فحسده وقال انما كنت أرجو أن  
أكونه . وكان يرثي قتلى قريش في وقعة بدر

وما استحسن من شعره قوله معاتباً ابناً له أعضبه

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً تمل بما أجني عليك وتنهل  
إذا لينة آبتك بالشجو لم أبت لشكواك الا ساهراً أنعمل  
كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فمبني تهمل  
تخاف الردى نفسي عليك وانني لاعلم ان الموت حتم مؤجل  
فلما باغت السن والعاية التي اليها مدى ما كنت فيك أومل  
جملت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت النعم المتفضل

ومات ولم يؤمن بمحمد ﷺ لكنه كان يقول ان الحنيفية حق لذلك كان .

الرسول يقول ﷺ « ان كاد أمية ليسلم »

طريح بن اسماعيل الثقفي الشاعر

ومنهم طريح بن اسماعيل بن عقبة الثقفي وساق صاحب الاغاني نسبة هكذا:  
 طريح بن اسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزيز بن عزة  
 ابن عوف بن قسي وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة  
 ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر . قال ابن الكلبي : ومن النسايين من  
 يذكر أن ثقيفا هر قسي بن منبه بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أقصى بن  
 دعمي بن اباد بن نزار . وروى الكلبي ان ابارغال هو ابو ثقيف كلها وانه من  
 بقية نمود وكان ملكا بالطائف . وقيل بل ذكر قبائل عند النبي ﷺ فقال  
 «قبائل تنحى الى العرب ، وايسوا من العرب حمير من تبع وجرهم من عاد وثقيف من نمود»  
 وكان طريح شاعراً فخلاً انتقل الى الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي كان  
 يمت اليه بالقرابة لان أم الوايد ثقفية واستفرغ شعره في الوايد وأدرك دولة  
 بني العباس ومات في زمان المهدي العباسي وقبل في زمان الهادي

وكان الوليد مكرماً لطريح عظيم البر به . وكان طريح يغلو في مديحه ما شاء ،  
 قيل ان الوليد جلس يوماً في مجلس له عام ودخل اليه أهل بيته ومواليه والشعراء  
 وأصحاب الحوائج فقضاها وكان أشرف يوم رؤي له فأنشده طريح ما يأتي

انت ابن مسلتاح البطاح ولم تطرق عليك الحني والوج  
 طوبى لفرعيك من هنا وهنا طوبى لاعراقك التي تشح  
 لو قلت للسيل دع طريقك والمو ج عليه كاهضب يمتلج  
 لساخ وارتد أو لكان له في سائر الارض عنك منمرج

مسلتاح البطاح ما اتسع منها . والحني ما انخفض من الارض . والوج كل  
 حذسم في الوادي ، أي لم تكن بين الحني والوج ليخفي مكانك ، وطوبى لفرعيك



من هنا وهنا أي انه كريم الاب والام من قریش وثقیف، وانه يطيعه من هيبتته  
كل شيء حتى انه لو أمر السيل بالانصراف لاطاعه .

قيل انه لما انتقضت دولة بني أمية واديل منهم لبني العباس دخل طريح على  
المنصور في جملة الشعراء فقال له المنصور : لاحياك الله ولا بياك أما اتقيت الله ،  
وبلك حيث تقول للوليد بن يزيد

لوقلت للسيل دع طريقك والمو ح الخ

فقال طريح : قد علم الله عز وجل أني قلت ذلك ويدي ممدودة اليه تبارك  
وتعالى واياه تعالى عنيت فقال المنصور : ياربيع أما ترى هذا التخلص ؟  
ويجبني جداً من شعر طريح هذه القصيدة في الوليد

لم انس سلمى ولا ليالينا	بالحزن اذ عيشنا بها رغد
اذ نحن في ميعة الشباب واذ	أيامنا تلك غضة جدد
في عيشة كالفرند عازبة الش	قوة خضراء غصنها خضد
نحسد فيها على النعيم وما	يواح إلا بالنعمة الحسد
أيام سلمى غريرة أنف	كانها خطوط بانه رؤد
ويحي غداً إن غدا علي بما	أكره من لوعة الفراق غد
قد كنت أبكي من الفراق وأح	يانا جميع ودارنا صدد
فكيف صبري وقد تجاوب با!	فرقة منها الغراب والصرد

ومنها في المديح

دع عنك سلمى لغير مقلية	وعد مدحا بيوته شرد
للافضل الافضل الخليفة عب	د الله من دون شأوه صعد
في وجهه النور يستبان كما	لاح سراج النهار إذ يقد
يمضي على خير مايقول ولا	يخلف ميماده اذا يعد

من معشر لا يشم من خذلوا  
بيض عظام الحلوم حدم  
أنت امام الهدى الذي أصلح ال  
لما أتى الناس ان ماكم  
واستبشروا بالرضا تباشروهم  
رزقت من ودهم وطاعتهم  
أثلجهم منك أنهم علموا  
ألفت أهواءهم فاصبحت ال  
كنت أرى ان ما وجدت من ال  
حتى رأيت العباد كلهم  
قد طلب الناس ما بلغت فما  
يرفعك الله بالكرم والتقى  
حسب امرىء من غنى تقربه  
فأنت أمن لمن يخاف ولا

غيره الشاعر

ومن يذهب إلى الطائف من الشعراء غيلان بن سلامة بن معتب بن مالك بن  
كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي وهو ثقيف وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن  
عبد مناف بن قصي أخت أمية بن عبد شمس أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح  
الطائف ولم يهاجر ، وأسلم ابنه عامر قبله وهاجر ومات عامر بطاعون عمواس بالشام  
سنة ١٨ وكان مع خالد بن الوليد وكان فارس ثقيف في زمانه فرثاه غيلان بقوله  
عيني تجود بدمها الهتان سمحا وتبكي فارس الفرسان  
ياعام من للخير لما أحجمت عن شدة مرهوبة وطعان

لو أستطيع جعلت مني عامراً بين الضلوع وكل حي فان  
وكان له من الولد غير عامر ثلاثة عمار ونافع وبادية ، وقيل إن خشم جمعت  
جموعاً من اليمن وغزت ثقيفاً بالطائف فخرج اليهم غيلان بن سلمة في ثقيف فقاتلهم  
قتالاً شديداً فهزمهم وقتل وأسرى منهم من على الأسرى فقال :

ألا يا أخت خشم خبرينا بأي بلاء قوم تفخرينا  
جلبنا الخليل من أكناف وج وإيـة نحوكم بالدار عينا  
تركن نساءكم بالدار نوحا يبكون البعولة والبنينا  
جمعتهم جمعكم فطلبتمونا فهل أنيئت حال الطالبينا

واستشهد نافع بن غيلان مع خالد بن الوليد بدومة الجندل فجزع عليه غيلان وقال :

ما بال عيني لا تنمض ساعة إلا اعترتني عبرة تغشاني  
أرعى نجوم الليل عند طلوعها وهنا وهن من الغروب دوان  
يانافعاً من للفوارس أحجمت عن فارس يملو ذرى الاقران

وكثر بكاء غيلان على نافع فعوتب في ذلك فقال : والله لا تسمح عيني بماؤها  
فأضن به على نافع ثم تطاول العهد ففتر مابه فقيل له في ذلك فقال : بلي نافع وبلي  
الجزع ، وفني وفنيت الدموع واللحاق به قريب .

ووفد غيلان على كسرى في خبر استوفاه صاحب الاغاني فعهد اليه كسرى  
بان يبني له قصرأ بالطائف ففعل

وممن ينسب إلى الطائف واشتهر جداً المختار الثقفي بن ابي عبيد ولد عام  
الهجرة ورحل من الطائف مع أبيه في أيام عمر حين ندب الناس إلى العراق وكان  
منقطعاً إلى بني هاشم وصحب علياً وسكن البصرة بعد علي ، ولما تولى بنو أمية  
نفوه إلى الطائف بلده فأقام بها إلى ان بويع عبدالله بن الزبير بمكة فأثاه واستعمله  
ابن الزبير على الكوفة فخرى بينه وبين مصعب بن الزبير خلاف أدى إلى القتال  
فقتله مصعب في سنة ٦٧ وقيل ادعى النبوة فقتله ابن الزبير

# تخطيط الطائف

## وسبب نزول ثقيف بها

وانذكر الآن ما قيل عن تخطيط الطائف وسبب نزول ثقيف بها فنقول  
قال الهمداني صاحب « صفة جزيرة العرب » الذي لم يؤلف في بابيه مثله مايلي :  
« الطائف مدينة قديمة جاهلية وهي بلد الدباغ يدبغ بها الالهب الطائفية  
المعروفة وتسمى المدينة أيضا الطائف والمعنى مدينة الطائف ، وساكنو الطائف  
ثقيف ، ويسكن شرقي الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص ، وواد قريب من  
الطائف يقال له (برد) فيه حائطان لزبيدة عظيمان يقال لموضعهما (وج) وبشرقي  
الطائف واد يقال له (لية) يسكنه بنو نصر من هوازن . ومن يماني الطائف واد  
يقال له (جفن) لثقيف وهو بين الطائف وبين معدن البرام ، ويسكن معدن البرام  
قريش وثقيف . ومن قبلة الطائف أيضا واد يقال له (مشرقي) لبني أمية من قريش  
ووادي (جلدان) منقلب إلى نجد في شرقي الطائف يسكنه بنو هلال . وفي قبلة  
الطائف حائط أم المقتدر الذي يدعى (سلامة) وبين الطائف وبين عرفة وادي نعمان  
وفيه طريق الطائف المختصرة إلى مكة وأما المحجة فعلى قرن المحارم « انتهى  
قلت أما ان الطائف قديمة جاهلية فما لاشك فيه . وقال في صبح الاعشى :  
انها كانت قديما للعالمقة ثم نزلها ثمود قبل وادي القرى ويقال انه نزلها عدوان  
بعد العالمقة وغلبهم عليها ثقيف فهي الآن دارهم ،  
وأما الدباغ فليس له أثر اليوم فيما رأيت . وأما برد (بالتحريك) فالذي سمعته  
من أهل الطائف انه اسم الجبل الذي في غربي الطائف يبعد عنها نحو ثلاث إلى أربع  
ساعات وهو أعلى جبل هناك ومن أسفله يأتي ماء الشاة ومنه يسيل وادي وج . ولا

ينافيه قول الهمداني انه واد فان الجبل لا يكون بلا واد والوادي لا يتصور وجوده .  
بلا جبل فتمد يكون اسم « برد » للجبل والوادي معاً . وهذا الجبل شديد البرد ومنه  
اسمه « برد » لدال على برده إلا انه لا ينزل عليه الثلج في الشتاء مثل جبال الشام  
وانما ينزل البرد ( محرقة ) وهو حب الغمام ويتجمد فيها الماء . والجبال في جزيرة  
العرب وإن أنفت على جبال الشام في الارتفاع فانها لوقوعها في المنطقة الحارة ( إن  
الهمداني يستعمل الحبة بالكسر بمعنى المنطقة ولعله أخذها من قولهم الحبة مثثة .  
طريقة من رمل أو سحاب ، والحبة من الثوب شبه الطرة ، وقيل شبه طية من  
الثوب مستطيلة ) لا ينزل عليها الثلج مثل جبالها فلماذا لا تجدد في الجزيرة الانهار  
الكبار التي نجدها في الاراضي الضاربة في الشمال (١)

وقد ورد في كتب اللغة اسم « برد » و « بردى » و « برديا » لاماكن  
كثيرة من أنهار وغدران وجبال وغيرها وقيل ان « برد » وضبطها البكري  
بكسر الراء — جبل في أرض عطفان ، ولا أظن انه هو هذا الجبل الذي يقرب  
الطائف لان هذا مفتوح الراء . ثم لان عطفان وهم بطن من قيس — عيلان كانوا  
ينزلون بوادي القرى شمالي الحجاز وبجبلي اجا وسلمى فايست منازلهم بالطائف  
وجبالها وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان « برد » محرقة بفتح الراء وقال انه  
موضع في قول بدر بن حزان الفزاري :

ما اضطرك الحرز من ليلى إلى برد يختاره معقلا عن جيش أعيار

ولم يعين هذا الموضع . اما جيش أعيار الذي ذكره بدر الفزاري فهو موضع  
أيضاً لم يذكر ياقوت أي موضع هو ؟ وجاء في تاج العروس هذا البيت منسوباً  
الى بدر المازني لابدر الفزاري . ولم يفسر « جيش اعيار » الا بقوله موضع

( ١ ) يقول بعض علماء الافرنج انه كان فيها انهار عظيمة و عمران عظيم قبل .

عصر التاريخ ويدل على ذلك وجود الوديان العميقة

وأغرب منه ان البيت نفسه وارد في لسنن العرب منسوباً إلى النابغة «وجش أعيار» غير مفسر فيه إلا بقوله موضع؛ وأورد ياقوت بيتاً آخر عن «برد» مفتوح الرأء للفضل بن العباس اللهمي :

أني إذا حل أهلي من ديارهم بطن العقيق وأمست دارها برد  
وبعدہ :

تجمعنا نية لا الخلل واصله سمدى ولا دارنا من دارهم صدد  
ولا نقدر أن نعرف منه هل برد المقصود في هذا الشعر هو هذا الجبل الذي  
نحن بصدده أم غيره ؟ وقد ورد اسم « بردى » بالالف المقصورة لجبل في الحجاز  
فهل ياترى هو هذا الذي يقولون له « برد » وقد أوردوا شاهداً عليه قول النعمان  
ابن بشير كافي تاج العروس

يا عمرو لو كنت أرقى الهضب من بردى او الملا من ذرى نعمان اوجردا  
بما رقيتك لأستهوت ما نعتها فهل تكونين الا صخرة صلدا  
فالا شبه أن يكون هو المراد وذلك نظراً لذكره « نعمان » وهو الوادي الذي  
بين مكة والطائف ومنه الى « الهدا » العقبة الكبرى التي يقال لها « الكرى  
الكبير » واما « جرد » محرقة فهو جبل في بني سليم

واما قول الهمداني « ان في برد حائطين كبيرين لزبيدة عظيمين يقال لموضعهما  
وج » فأظنه يعني بهما « الوهط » و « الوهيط » الاول بفتح فسكون والثاني  
بالتصغير وذلك انه لا يوجد في سفوح برد مياه جارئة تسقي بساتين الا في الوهط  
والوهيط، الاول جار الآن في وقف الاشراف ذوي زيد والثاني يخص ذرية  
الشريف عون الرقيقي من ذوي عون . ولقد ورد ذكر الوهط في معجم البلدان  
قال ياقوت : والوهط المكان المطمئن المستوي ينبت العضاء والسمر والطلح وبه  
سمي الوهط .. وهو مال كان عمرو بن العاص بالطائف وهو كرم كان على الف

الف (أي مليون) خشبة شري كل خشبة بدرهم. قال ابن الاعرابي: عرش عمرو ابن العاص بالوهط الف الف عود كرم على الف الف خشبة ابتاع كل خشبة بدرهم ففج سليمان بن عبد الملك فر بالوهط فقال: أحب أن أنظر اليه. فلما رآه قال هذا أكرم مال وأحسنه، ما رأيت لاحد مثله، لولا ان هذه الحرة في وسطه. فقيل له: ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب و كان زيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء. وقال ابن موسى الوهط قرية بالطائف هي على ثلاثة أميال من وج كانت لعمر و بن العاص

قلت: لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر ثم غزا منها طرابلس مر بالجبل الاخضر الذي ينذر نظيره في الخصب والامراع وخضرة البقاع فقال: لولا أموالي بالحجاز ما اخترت على هذه الارض. فيكنت إذا قرأت هذا الكلام ولم أكن عرفت جبال الطائف أتعجب منه قائلاً ماذا عسى أن يكون لسيدنا عمرو من الاموال في قطر ناشف كالحجاز؟ ولما ذهبت في جهاد طرابلس العرب الى الجبل الاخضر وأقت به أشهراً وعرفت عين منصور وعين ماره والقيقب وشحات (محل سيرنا القديمة) والمرج وغيرها، وسرت بين فينان الدوح ومشتبك الشجر الذي لا يتخلله نور الشمس في كثير من المواضع مسافة عشرة أيام ورأيت تلك المناظر المشرفة من شاهق على المحر لا يحاكي فسحة منظرها الا عالية وعبية وبيت مري وبرمانا وما في خطها من جبل لبنان، قات لنفسي لما عرفت ما الجبل الاخضر وما هو من طيب النجمة علمت معنى افتتاح عمرو بن العاص بالجبل الاخضر لكنني لم أعلم وجه مقايسته له بالحجاز وعدم رغبته عن أمواله في الحجاز الى ذلك الجبل المنقطع النظير في الخضرة والنضرة، الا اني لما شاهدت جبال الطائف وأقت بها أيضا عدة أشهر علمت ان عمرو بن العاص وجها لقول وحقا في التيه بأمواله في الحجاز، فان في جبال الطائف جنانا مدت عايتها الخضرة رواقها، ورياضا

شدت بها النضرة نطاقها، فاما الوهط فقد انحط كثيراً عن درجته السابقة ورتبته السامقة ولا تجد فيه لآلاف الفعود كرم ولا الفعود كرم ولا مسداً حواحداً للزبيب (١) ومن أغرب الأمور التي حدثت كثيراً في أرض الوهط على ما هي عليه الآن فلم أجدها تسع هذه النعمة التي وصفوها، ولم أجدها كافيّاً شيئاً منها، بل رأينا عين الوهط وكان ذلك في شهر أغسطس لا تجري إلا إلى مسافة قصيرة جداً وقل لنا أهل القرية أنها في بعض السنين التي يكون المطر فيها نزرّاً تنقطع تماماً ويضطرون إلى الاستقاء من المئناة أي من مسافة ساعة. فكيف كان الوهط بتلك النعمة التي حدثوا عنها وهو الآن لا يكاد ماؤه يسقى بعض حيطاناً وقد ينقطع بعض السنين، ان في ذلك لسراً. والذي أظنه انه قد كان الشجر في جبال الطائف لذلك العهد أكثر جداً فكان المطر أغزر وكانت العيون أجري وكانت الجنان أعظم، وان الذي أصاب هذه الجبال من قلة المطر التي لا تسمع أهل تلك الديار إلا شاكين منها إنما هو من أثر قطع الأشجار وزوال الحراج الملتفة. وهناك سبب آخر للخصب والعمران قد زال أيضاً بتناول الأعصر وهو السدود التي كانوا يعملونها على الأودية ومجاري المياه الشتوية فكانت تخزن المياه إلى مدة طويلة وتسقى الأرضات العطاش وتمسك بأرماق الخضرة في سني القحط،

(١) الذي في لسان العرب وفي القاموس هو المسطح لا المسطح قال في اللسان والمسطح تفتح ميمه وتكسر مكان مستو يبسط عليه التمر ويجفف ويسمى الجرين يمانية، وقد استدرك صاحب تاج العروس على القاموس بقوله والمسطح لغة في المسطح. ومنه قول ياقوت الحموي او قول الذي نقل عنهم ونحن أيضاً حبل لبنان نقول مسطح تين ومسطح زبيب )



وأينا ذهبت في جزيرة العرب تجد سدوداً دارسة وقنياً خربة (١)  
ولما كن العرب منحصرين في الجزيرة لايتجاوز ملكهم شطوطها البحرية  
وبادية الشام من الشمال كانت الجزيرة عامرة والمدن كثيرة والقرى متصلة والمزارع  
ناضرة والقصور والجوامق وأما كن النزهة لا يأخذها العداء فان أراضيها المنتبتة  
كانت تضيق بأهلها فكانوا يملون فيها بكبد عظيم ليستغلوا منها كل ما يقدرون  
أن يستغلوه ويتذرعون للمخصب بأصناف الحيل . فلما ظهر الاسلام وهب العرب  
للفتوحات ونشر عقيدة التوحيد من جبال الهند كوش الى جبال الالب وكان  
خافاؤهم يندبونهم للغزوات ويستجيشونهم بدون انقطاع ، وكانوا هم مادة الاسلام

« ١ » حاشية المؤلف: قرأت في ارجوزة احمد بن عيسى الرداعي في الحج قوله

لضيعة الطلحي مستقيمة	صادرة عنها تؤم الزيمة
ثم على سبوحة القديعة	حيث يريد الصخرة القديعة
مطربة في الميرذي الزيمة	الى اربك تتلى صميعة
حميدة في الركب لا ملية	باقية اعراقها كريمة
اني لأرجوان ترى سليمة	محمودة في الركب لامديعة

قال الهمداني في تهسير هذه الابيات ضيعة الطلحي من قرش نخل قديعات.  
الزيمة موضع فيه بستان ابن عبيد الله الهاشمي وكان في ايام المقتدر على غاية العمارة  
وكان يقل خمسة الاف دينار مثقال وفيه حصن المفانلة ميني بالصخر ويحميه بنو  
سعد من ساكنه عروان وعدد جذوعه الوف . وفيه تيل مستخرج من وادي نخلة  
عز يز يقضى الى فوارة في وسط الحائط تحت حنية ثم الى ماجل كبير، وفيه الموز  
والحنا وانواع من البقول . وسبوحة موضع واربك عقبه تضاف الى المكان فيقال  
عقبه أربك بضم الالف وأربك بفتحها اه

قلت مررت بالزيمة مراراً ولم اجد شيئاً من تلك العمارة التي كانت في ايام  
المنذر ولا حصناً هذا وصفه . وأما هناك دين فوارة من الصخر يسمعون خريرها  
من بعيد وليس فوقها حنية ويسقي بها العرب بعض زرايع واشجار في الوادي

وحلة الدين الجديد الى الامم ، كانت القواصي تأكلهم والحروب تفني منهم مئآت الالوف ، وكانت قبائلهم أصبحت منتشرة من الصين الى الهند الى فارس الى الروم الى مصر الى أفريقية الى الاندلس الى فرنسا الى جزائر البحر فلم يبق منهم في الجزيرة المدد الذي يقوم بعمرانها

وكانوا في هذا أشبه باسبانية التي بعد فتحها للمكسيك ولامريكا الجنوبية قد تقهقرت الى الورا بما هاجر من أهلها الى تلك الديار التي فُتق فيها الاسبانيول في المدد من بقى منهم في وطنهم الاصيل

فهذا هو السبب الحقيقي في تقاص عمران الجزيرة بعد الاسلام حتي عاد الوهط . ثلثا دسكرة حقيرة بعد أن كان مسطاح الزبيب فيه يظن حرّة لسواده واتسائه ومما لا ريب فيه ان كروم الطائف كانت لعهد البعثة أكثر مما هي الآن مراراً وكانت الخيرات فوق التصور ، فقد روى البلاذري في «فتوح البلدان» ان سفيان بن عبدالله اثقفي كتب الى عمر وكان عاملاً له على الطائف يذكر ان قبله حياءنا فيها كروم وفيها من الفرسك (١) والمان ما هو أكثر غلة من الكروم أضعافاً واثمراً في المعتبر فكتب اليه عمر : ليس لها عشر

ويظهر من كلام البلاذري انه كانت تصدر من الطائف غلات عظيمة من الزبيب ومن سائر المحصولات ومن العسل ، ولقد بقي من هذا شيء لكنه لا يقاس في قاييل ولا كثير إلى ما كان في الجاهلية وصدر الاسلام ، وانما غاضت هذه الغلات بغيض العمران الذي يتوقف على الرجال . وكان أكثر الرجال خرجوا الى الفتوحات واعتمروا أطراف الارض .

«١» المؤلف : الفرسك هو ما نسميه نحن في الشام بالدراقن بالتشديد وقد يخفف . قال

وتضربني الحبيبة بالدراقن وتحسبني الحبيبة لا اراها

ويقولون له في مصر والمغرب الخوج . وأما في اليمن فيقولون له فرسك كما في

الحجاز وهي لغة فارسية فان اسم هذه الفاكهة فرسك في بلاد المعجم . ويظهر ان الالمان اخذوها من فارس فهم يقولون لها ايضاً فرسك Pfirsich

والأصلح الآن لاستثناف العمرات طريقتان : إحداهما زرع الحراج والاكثر من غرس الاشجار حتى تكثر الامطار ، فان الله خلق لكل شيء سبباً وهذه من أسباب الامطار . والثانية الرجوع الى السدود والخزانات التي تحفظ المياه وتروي الأرضين عند عطشها ، وعند الوهط مكان ضيق على وج لو ان ادارة الزراعة في الحجاز بنت فيه سدّاً لما كانت كلفته كثيرة ولاستأنف به الوهط عمرانه القديم

وأما وادي « لية » الذي يسكنه بنو نصر من هوزان فقد زرته وبت فيه ليلة . وهو واد ضيق مستطيل يمتد مسافة اربع ساعات ، مبدؤه من بلادالسفانية من ثقيف . وهو ينحدر نحو الشرق الجنوبي وعليه من الجانبين البساتين والجنان والزرور وكما تسقى بالسواني لأن مياه الوادي تشح كثيراً في الصيف وقد ينقطع بعضها عن بعض فلا يبقى منها الا غدران تردها المواشي اشهرها الذي يقال له غدبر البنات . وبيوت سكان الوادي مرتفعة عن النهر احتياطاً من السيل لأنه كثيراً ماتطغي المياه على الجانبين . والبيوت مبنية بالحجر تظن بعضها براجاً منيعة . وللوادي تربة هي الحد الاقصى في الخصب فتجد من نماء الشجر ما يحار له العقل . وجميع ما في هذه الجنان اشجار مثمرة منها الكرم والسفرجل والمان والفرسيك والحماط والكمثوى وغيرها وكما عدا الحماط أي انتين هي في الطبقة العليا بين الفواكه . أما الرمان فهو كحب الياقوت ليس له نظير منظرًا وطعماً وقد اشتهر وادي لية به . ومما يجب على ادارة الزراعة في الحجاز أن تبني في أعلى المعمور من هذا الوادي سدّاً يتكون منه خزان يكفل جميع حاجة الوادي في ايام القميط عندما تشح آبار السواني . وقيل لي إن خزاناً كهذا لا تزيد كلفته على خمسة أو ستة الآف جنيه على حين مايزيده من ريم البساتين يعدل هذه القيمة من أول سنة . فان أثمان الفواكه في مكة لا يعادلها شيء ويمكن الحكومة أن تبني لاهل

وادي لية هذا الخزان ثم تسترد منهم كلفته تقسيماً  
 هذا وقد ذكر ياقوت هذا الوادي في المعجم فقال : لية بتشديد الياء وكسر  
 اللام لها معنيان : اللية قرابة الرجل وخاصته واللية العود الذي يستجمر به وهو الالوة  
 ولية من نواحي الطائف صربه رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد  
 الطائف وأمر وهو في اية بهدم حصن ملك بن عوف قائد غطفان وقل حفاف  
 ابن ندبة :

سرت كل واددون رهوة دافع وجلدان أو كرم بلية محقق  
 في ابيات ذكرت في جلدان وقال مالك بن خالد الهذلي  
 امال ابن عوف انما الغزو بيننا ثلاث ليال غير مفزاة اشهر  
 متى تنزعوا من بطن لية تصبحوا بقرن ولم يضر لكم بطن محجر  
 اه واستشهد بابيات أخر على ذكر لية

وأما جلدان بكسر الجيم وسكون اللام — واختلف في الدال فمنهم من رواها  
 معجمة ومنهم من رآها مهملة — فوضع بقرب الطائف . قال ياقوت يسكنه بنو  
 نصر بن معاوية من هوازن ، ومن الامثال المضروبة : أسهل من جلدان . فنقل  
 ياقوت عن نصر بن حماد انه حى قريب من الطائف مستو كالراحة ، وجاء في  
 المعجم عن جلدان هذان البيتان لحسن بن ابراهيم الشيباني من سكان الطائف :  
 وجلدان المريض قطعن سوقا يُطرن بأجرعيه قطعاً سكوناً  
 تخال الشمس إن طلعت عايبها لناظرها علالي أو حصونا  
 ومن الامثال المضروبة . صرحتة بجلدان وبجدان وبجداء اذا تبين لك  
 الامر وصرح ، والتاء في قولهم صرحت اشارة الى القصة أو الخطة  
 وقال أمية بن الاسكر :

أصبحت فرداً لراعي الضان يلعبني ماذا يريك مني راعي الضان

أعجب افيري اني تابع سلفي      أعمام مجد واخوان وأخذان  
وانعق بضأنك في أرض تطيف بها      بين الاصافر وانتجها بجلذان  
وقال خفاف بن ندبة يذكر جلذان :

ألا طرقت أسماء من غير مطرق      وأنى-وقد حلت بنجران- نلتقي؟  
سرت كل واد دون رهوة دافع      وجلذان أو كرم بلية محدد  
تجاوزت الاعراض حتى توسدت      وسادي لدى باب بجلذان معلق

فالكروم المحدقة في (لية) هي من قديم الزمان

وأما سكان وادي (لية) الآن فأولهم الاشراف الذين يقال لهم الفعور ولهم  
أفضل البساتين والباقي من العرب شمايط، وأكثرهم من عتيبة ، ويقال إن  
عتيبة هي من هوازن ، وقد بحثت عن عتيبة في الكتب القديمة فلم أجد إلا قولهم  
عتيبة قبيلة من العرب ، وقد ذكروا ان حياً من اليمن اسمه عتيب

وأما هوازن فمن قبائل قيس ، وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن  
خصفة بن قيس عيلان ، ومن هوازن بنو سعد بن بكر بن هوازن كانوا أفصح  
العرب وكان النبي ﷺ رضيعاً فيهم ، قال في صبح الاعشي نقلاً عن العبر :  
وقد افترق بنو سعد هؤلاء في الاسلام ولم يبق لهم حي فيطرق ، إلا ان منهم  
فرقة بافريقية من بلاد المغرب بنواحي باجة يمكرون مع جند السلطان

قلت : وقد أصاب هذا التشنت كثيراً من قبائل العرب بسبب الفتوحات  
الاسلامية في صدر الملة والرحيل الى الآفاق ، ففي كاشغر قبائل تركية أصلها  
من العرب من عهد قتيبة فاتح بلاد الترك ، وفي الطاغستان على شواطئ بحر  
الخرز بطون كثيرة أصلها عرب من زمن الفتح . وفي الهند وأناس كثيرون  
متحدرون من أصول عربية . وفي افغانستان وفارس أسر كثيرة أصولها عربية ،  
وفي الاندلس وفي جنوبي فرنسا وفي صقلية وعلى شواطئ ايطالية أم أصلها من

العرب ، هذا عدا القبائل التي تفرقت في الاقطار والتي هي الى الآن عربية كالشام والجزيرة والعراق ومصر والسودان وبرقة وطرابلس والصحراء الكبرى الى اواسط افريقية وبحيرة تشاد ، وكذلك تونس والجزائر والمغرب والسوس الاقصى الى تنبكتو ، وأضف الى هذا بلاد الحبشة والصومال وزنجبار وجزائر القمر ومادغشقر وموزابيق ، ولا نجد في افريقية قطراً إلا فيه أقوام من العرب ولا تنس سنغافورة والجاوى وسومطرة الخ (١)

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومن بني عامر بن صعصعة بنو كلاب الذين هاجروا إلى الشام وكانت لهم دولة وصولاً في حلب . ومن بني عامر بن صعصعة بنو هلال ، وهم الذين ذكر الهمداني أنهم يسكنون وادي جلدان ، وقد هاجر بنو هلال الى مصر والشام والمغرب ولم يبق لهم في جبال الطائف الا آثار وأخبار فكل شيء قديم يقول عنه الالهالي انه من زمن بني هلال . قال الهمداني وكان لهم بلاد صعيد مصر كلها وذكروا ابن سعيد في عرب برقة وقال: منازلهم فيما بين مصر وافريقية ، ولم يزلوا إلى أن بايعوا لابي ركة في أيام الحاكم العبيدي فرماهم بغيرهم من العرب وأفنى أكثرهم ونزح من بقي منهم إلى المغرب الاقصى فهم مع بني جشم هناك ، ومنهم طائفة بحلب وطوائف في اسوان واخميم وأصفون واسنا من الصعيد ولا يزال من بني هلال في الحجاز حرب فيما ذكره ابن سعيد ، وهم ثلاثة بطون بنو مسروح وبنو سالم وبنو عبيد الله

ومن هوازن بنو عقيل بضم العين وفتح القاف وهم بنو عقيل بن كعب بن

( ١ ) العبرة الكبرى في هذا ان العرب كانوا في ايام حياتهم ودولهم يدخلون مصر او القطر من بلاد الاعاجم فيحولون اهله الى دينهم وانتمهم بقوة تأثيرهم في الهداية ثم انعكست القضية فتحولوا هم الى لغة بعض الاقطار والى دين بعض آخر ولغته فهل يعتبرون فيعلموا أ كيف يرجعون؟

ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكانت منازلهم بالبحرين وكان معهم من العرب بنو تغلب وبنو سليم ( بضم وفتح ) فاقتتلوا في احدى المرار ، وكان بنو تغلب وبنو عقيل يداً على بني سليم فأخرجوهم من البحرين فجاءوا إلى مصر ومنها نزلوا ببرقة ، فأكثر عرب الجبل الاخضر من بني سليم بن منصور . ثم اقتتل بنو تغلب وبنو عقيل فتغلب بنو تغلب على هؤلاء ، فخرجوا إلى العراق ومنها تغلبوا على الموصل والجزيرة وكانت لهم هناك دولة وسلطان ، ثم لما جاء الاتراك السلاجقة وانتزعوا منهم بلاد الجزيرة رجع منهم أناس إلى البحرين وتغلبوا على بني تغلب فيها ومن بني عقيل بنو عبادة بالجزيرة الفراتية وبنو خفاجة بالعراق وكانت لهم إمرة فيه

ومن بطون هوازن بنو جشم وكانوا بالسروات وهي تلال تفصل بين تهامة ونجد ، وسرواتهم متصلة بسروات هذيل ، وقد هاجر أكثرهم إلى بلاد المغرب وثقيف من بطون هوازن وقد تقدم ذكر نسبهم ، ويقال لوادي وج بلاد ثقيف ، وللمدينة الطائف سوق ثقيف — إلى يوم الناس هذا

### ﴿ عرض الطائف الجغرافي وسبب تأسيسه ﴾

والطائف في الاقليم الثاني وعرضها احدى وعشرون درجة كما في معجم البلدان ، والظاهر في تسميتها بالطائف انه من الحائط المحقق بها ، ومنه قول أبي طالب بن عبدالمطلب \* نحن بنينا طائفا حصينا \* قال ياقوت : وهي مع هذا الاسم الفخم بليدة صغيرة على طرف واد ، وهي محلتان احدهما عن هذا الجانب يقال لها طائف ثقيف ، والاخرى على هذا الجانب يقال لها الوهط ، والوادي بين ذلك تجري فيه مياه المدابغ التي يدبغ فيها الاديم يصرع الطيور رائحتها إذا مرت بها ، وبيوتها لاطئة حرجة ، وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك العجل

ففيها من العنب العذب مالا يوجد مثله في بلد من البلدان ، وأما زبيبها فيضرب بحسنه المثل ، وهي طيبة الهواء شامية ربما جمد فيها الماء في الشتاء ، وفواكه أهل مكة منها ، والجبل الذي هي عليه يقال له غزوان ، ونقل عن عرّام ان الطائف ذات مزارع ونخل وأعنان وموز وسائر الفواكه ، وبها مياه جارية وأودية تنصب منها الى تبالة وجل أهل الطائف ثقيف وحير ، وقوم من قريش وهي على ظهر جبل غزوان ، وبغزوان قبائل هذيل اهـ

قات يظهر ان هذا الواصف لم يشاهد الطائف ، لانه لو شاهدها لعرف انه ليس بها نخيل ولا موز إلا اذا كان يعني بالطائف جميع البلاد التي حولها فقد يوجد في الهابط من جوارها شيء من النخيل

قلوا: وكانت الطائف تسمى وجا باسم وج بن عبد الحي من العماليق وهو أخو أجا الذي سمي به جبل طيء ، قلوا وكان رجل من الصدق يقال له الدمون بن عبد الملك قتل ابن عم له بمحضرموت وفر هاربا . فأتى مسعود بن معتب الثقفي وكان معه مال كثير فرغب إلى ثقيف أن يزوجه فزوجوه ، وكان من رأيه أن يبني لهم طوفا مثل الحائط حتى لا يصل اليهم أحد من العرب ، فبناه لهم فسميت من ذلك الوقت الطائف ، وقيل بل كانت الطائف بين ولد ثقيف وولد عامر بن صعصعة ، فلما كثر الحيان قالت ثقيف لعامر : انكم اخترتم العمدة على المدن والوبر على الشجر ، فلستم تعرفون مانعرف ، ولا تلتطفون ماناطف . ونحن ندعوكم إلى حظ كبير لكم مافي أيديكم من الماشية والابل ، والذي في أيدينا من هذه الحدائق ، فلكم نصف ثمره فتكونوا بادين حاضرين يأتيتكم ريف القرى ولم تتكلفوا مؤونة وتقيمون في أموالكم وماشيتكم في بدوكم ولا تتعرضون للوباء ( كانوا يعلمون ان الوباء انما يكون في الحواضر ) ولا تشتغلون عن الرعى . ففعلوا ذلك فكانوا يأتونهم كل عام فيأخذون نصف ثلثهم ، وقد قيل ان الذي وافقوهم عليه كان الربيع



فلما اشتدت شوكة ثقيف وكثرت عمارة وج رمتهم العرب بالحسد ، وطمع  
 فيهم من حولهم وغزوهم ، فاستعانوا ببني عامر فلم يعيشوهم فأجمعوا على بناء حائط  
 يكون لهم حصناً ، فكانت النساء تلبن اللبن والرجال يبنون الحائط حتى فرغوا  
 منه وسموه الطائف لاطافته بهم وجهلوا الحائطهم بايين ( أحدهما ) ابني يسار  
 ( والآخر ) ابني عوف وسموا باب بني يسار صعبا وباب بني عوف ساحراً ، ثم  
 جاءهم بنو عامر ليأخذوا متعودوه فنعموهم منه وجرت بينهم حرب انتصرت فيها  
 ثقيف وتفردت بملك الطائف فضررتهم العرب مثلاً ، فقال ابو طالب بن عبدالمطلب  
 منعنا أرضنا من كل حي كما امتنمت بطائفها ثقيف  
 أتاهم معشر كي يسابوهم فحالت دون ذلك السيوف  
 وقال بعض الانصار :

فكونوا دون بيضكم كقوم حوا أعناهم من كل عاد

وذكر المدائني : ان سليمان بن عبد الملك لما حج مر بالطائف فرأى بيادر  
 الزيب فقال ماهذه الحرار ؟ فقالوا ايست حراراً ولكنها بيادر الزيب ، فقال  
 لله در قسي : بأي أرض وضع سهامه ، وبأي أرض مهد عش فراخه اه

قلت لعل سليمان بن عبد الملك سمع بذكر عنب الطائف الشهير فحج اليه من  
 بعد ان حج البيت ورأى مارأى منه ، وهنا يختر البيالي قصة عن شدة نهمه رواها  
 عنه أحد أصحابه وهو انهم ذهبوا معه يوماً إلى بستان للنزهة فأتوه بزنبيلين أحدهما  
 ملآن تيبا والآخر ملآن بيضا ، فلم يزل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى  
 أتى عليهما ، ثم قام يطوف على الاشجار المثمرة فقطف بيده من كل نوع وأكل  
 أكلا ذريماً . قال راوي القصة ثم صرنا نقول له وهذا العنقود يا أمير المؤمنين  
 فيخرطه في (١) الخ فلا عجب ان عرج أمير المؤمنين سليمان على كروم الطائف...

(١) خرط العنقود : وضعه في فيه فقطع حبه واخرج عمشوشه عارفاً

( خبر فتح النبي ﷺ للطائف )

قال ياقوت : ثم حصدهم طوائف العرب وقصدوهم فصمدوا لهم وجدوا في حربهم . فلما لم يظفروا منهم بطائل ولا طمعوا منهم بغرة ، تركوهم على حالهم أغبط العرب عيشاً إلى ان جاء الاسلام فغزاهم رسول الله ﷺ ففتحتها سنة تسع من الهجرة صلحاً وكتب لهم كتابا . نزل عليها رسول الله ﷺ في شوال سنة ثمان عند منصرفه من حنين وتحصنوا منه واحتاطوا لانفسهم غاية الاحتياط فلم يكن اليهم سبيل . ونزل إلى رسول الله ﷺ رقيق من رقيق أهل الطائف منهم ابو بكره نفيح بن مسروح مولى رسول الله ﷺ في جماعة كثيرة منهم الازرق الذي تنسب اليه الازارقة والد نافع بن الازرق الخارجي الشاري فعتقوا بنزولهم اليه ونصب رسول الله ﷺ منجنيقا ودبابه فأحرقها أهل الطائف ، فقال رسول الله ﷺ « لم يؤذني في فتح الطائف » ثم انصرف عنها إلى الجعرانه ليقسم سي أهل حنين وغنائمهم فخافت ثقيف أن يعود اليهم فبعثوا اليه وفدهم وتصلحوا على أن يسلموا ويقروا على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم ، فصالحهم رسول الله ﷺ على أن يسلموا وعلى أن لا يزنوا ولا يربوا وكانوا أهل زنا وربا « اه  
قل ياقوت وكان معاوية يقول : أغبط الناس عيشاً عبدي أو قال مولاي سعد ، وكان يلي أمواله بالحجاز ، ويتربع جده ، ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة .  
ولذلك وصف محمد بن عبد الله النميري زينب بنت يوسف أخت الحجاج بالنعمة والرفاهية فقال :

تشتو بمكة نعمة ومضيفها بالطائف

( انتهى )

وقال البلاذري في فتوح البلدان عن غزوة الرسول ﷺ للطائف ما يأتي :  
« لما هزمت هوازن يوم حنين وقتل دريد بن الصمة أتى فلهم أوطاس ،

فبعث اليهم رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري فقتل . فقام بأمر الناس أبو موسى  
عبدالله بن قيس الأشعري ، وأقبل المسلمون إلى أوطاس ، فلما رأى ذلك مالك بن  
عوف بن سعد أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وكان  
رئيس هوازن يومئذ هرب إلى الطائف فوجد أهلها مستعدين للحصار قد رموا  
حصنهم وجمعوا فيه الميرة فأقام بها وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين حتى نزل  
الطائف فرمتهم ثقيف بالحجارة والنبل ، ونصب رسول الله ﷺ منجنيقا على  
حصنهم ، وكانت مع المسلمين دبابه من جلود البقر ، فألقت عليها ثقيف سكاك  
الحديد المحماة فأحرقتها فأصيب من تحتها من المسلمين ، وكان حصار رسول الله  
ﷺ الطائف خمس عشرة ليلة وكان غزوه إياها في شوال سنة ثمان قلوبا ونزل إلى  
رسول الله ﷺ رقيق من رقيق أهل الطائف ، منهم أبو بكر بن مسروح مولى  
رسول الله ﷺ واسمه نفيح ومنهم الأزرق الذي نسبت الأزارقة إليه كان عبداً  
رومياً حداداً وهو أبو نافع بن الأزرق الخارجي فأذتقوا بنزولهم ، ويقال إن نافع  
ابن الأزرق الخارجي من بني حنيفة وإن الأزرق الذي نزل من الطائف غيره .  
ثم إن رسول الله ﷺ انصرف إلى الجمرات ليقسم سبي أهل حنين  
وغنائمهم ، فخافت ثقيف أن يعود اليهم فبعثوا إليه وفدهم فصالحهم على أن يسلموا  
ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم ، واشترط عليهم أن لا يربوا ولا  
يشربوا الخمر وكانوا أصحاب ربا وكتب لهم كتاباً ، وكانت الطائف تسمى وج  
فلما حصنت وبني سورها سميت الطائف»

ثم قال البلاذري: حدثني المدائني عن أبي اسماعيل الطائفي عن أبيه عن أشياخ  
من أهل الطائف ، قال : كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن  
ويترب فأقاموا بها للتجارة فوضعت عليهم الجزية ومن بعضهم اتباع معاوية أمواليه  
بالتائف ، قالوا : وكانت للعباس بن عبد المطلب رحمه الله أرض بالتائف وكان

الزبيب يحمل منها فينبذ في السقاية للحاج وكانت اعامه قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها ، فلما فتحت مكة وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها حتى اذا فتحت الطائف أقرت في أيدي المكيبين وصارت أرض الطائف مخلفا من مخاليف مكة ، قالوا وفي يوم الطائف أصيبت عين أبي سفيان بن حرب « اه قلت ان من عرف ان أكره المؤرخين ينقلون في الفتوح عن البلاذري نظراً لقرب روايته من أيام الفتح ومثانة أسانيد وقارن بين رواية ياقوت الحموي في معجم البلدان ورواية البلاذري في فتوح البلدان ، علم ان ياقوت إنما أخذ عن البلاذري لان العبارة تكاد تكون واحدة ، وقد نقلها البلاذري عن الكابي ، وإنما تجنب ياقوت أن يذكر ان الازرق الذي نسبت الازارقة اليه « كان عبداً رومياً حداداً » لأن ياقوت نفسه كان عبداً رومياً مخدفاً من روايته عن البلاذري ما يذكر الناس بأصله هو . . .

وقد روى محمد بن سعد بن منيع صاحب « الطبقات الكبرى » غزوة

الطائف كما يلي :

« ثم غزوة رسول الله ﷺ الطائف في شوال سنة ثمان من مهاجره . قالوا اخرج رسول الله ﷺ من حنين يريد الطائف وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وقد كانت ثقيف رموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة ، فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيؤوا للقتال وسار رسول الله ﷺ فنزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك ، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلاً فيهم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وسعيد بن العاص ، ورعي عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ فاندمل الجرح ثم انتقض به بعد ذلك فمات منه . فارتفع رسول الله ﷺ الى موضع مسجد الطائف اليوم ، وكان معه من نسائه أم سلمة

وزينب فضرب لهما قبتين ، وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ونصب عليهم المنجنيق ونثر الحسك ( ١ ) سقبين من عبدان حول الحصن ( ٢ ) فرمتهم ثفيف بالبل فقتل منهم رجال ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناقهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعاً ذريعاتهم سألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال رسول الله ﷺ « فني أدعها لله وللرحم » ونادى مبادي رسول الله ﷺ « أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر » فخرج منهم بضعة عشر رجلاً منهم أبو بكر نزل في بكرة فقبل أبو بكر فأعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يومه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف . واستشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلمي فقل « ما ترى ؟ » فقال ثعلب في جحر ، إن أقت عليه خذته ، وإن تركته لم يضرك ، فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل فضح الناس من ذلك وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا الطائف ، فقال رسول الله ﷺ « فغدوا على القتال » فغدوا فأصابت المسلمين جراحات ، فقال رسول الله ﷺ « إنا قلوبون إن شاء الله » فسروا بذلك وأذعوا وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك ، وقال لهم رسول الله ﷺ « قولوا لا إله إلا الله وحده صدق ، وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » فارتحلوا واستقلوا قال « قولوا آمبون تابعون عابدون ، ربنا حامدون » وقيل : يا رسول الله ، أدع الله على ثقيف . فقال « اللهم اهد ثقيفا وائت بهم » « أخبرنا عمرو بن عاصم الكلبي أخبرنا أبو الأشهب أخبرنا الحسن قال :

( ١ ) آلة من الحديد واحياً من الخشب تلقى حول المعسكر لتنشب في رجل من يدرسها وهي أشبه بما يقال له اليوم الاسلاك الشائكة  
( ٢ ) السقب بفتح فسكون الطويل من كل شيء وكل شيء تم وامتلاء فهو سقب ، والحصن الغليظ الرياز ، سقب انتهى والحاशيتان المؤلف

دعوته ﷺ أهل الطائف إلى الاسلام ودعاؤه البليغ حين ردوه

حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف قل فرمي رجل من فوق سورها فقتل فأتى عمر فقال : يا نبي الله ادع على ثقيف . قال « إن الله لم يأذن في ثقيف » قال فكيف نقتل في يوم لم يأذن الله فيهم ؟ قال « فارتحلوا » فارتحلوا اه

وقالوا في كتب السير في سبب غزاة الرسول للطائف : انه لما حصرته صلى الله عليه وسلم قريش في الشعب ومات عمه ابوطالب الذي كان يحوطه وماتت زوجته خديجة التي كانت تثبته وتقر عينه في الناس ، خرج الى الطائف من شدة الكرب يرجو عند أهلها النصر لان الله جعل الطائف متنفساً لأهل مكة . فلما انتهى رسول الله الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم ثلاثة اخوة : عبدياليل ، ومسعود ، وحبیب ابناء عمرو بن عمير بن عوف اثقفي ، وكانوا سادات قومهم ، وكانت تحت أحدهم امرأة من قريش من بني جمح . فجلس اليهم رسول الله يدعوهم الى الاسلام والى نصرته فيما جاء به . فقال له أحدهم : امرط ثياب الكعبة أن كان الله ارسلك ؛ وقال الآخر : أما وجد الله من يرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله لا أكلمك ابداً ، لئن كنت رسول الله كما تقول لانت اعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك . فقام رسول الله ﷺ وقد يأس من خير ثقيف وقال لهم « إذ فعلتم ما فعلتم فاكنتموا ذلك عني » وكره ﷺ أن يبلغ ذلك قومه فيشيرهم . ولكن هؤلاء لم يفعلوا فاغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس ونحوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه . ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . ثم جلس في ظل حيلة من عنب ( الحيلة بالتحريك شجرة العنب ) وابنا ربيعة ينظران اليه

فلما اطمان رسول الله ﷺ قال : « اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيايتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، انت رب المستضعفين ، وانت ربي

الى من تكلفني؟ ابلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته امري، ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي، ولكن عافيتك هي اوسع بي. اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات، وصلاح عليه امر الدنيا والاخرة، من ان ينزل بي غضبك أو علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»

فلما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رحمتها فدعوا غلاما لهما نصرانيا، وقيل يهوديا، يقال له عداس فقلا له: يا عداس خذ قطعاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق واذهب به الى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له كل. فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال «بسم الله» ثم أكل. فنظر عداس في وجهه ثم قال. والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد. فقال له رسول الله «ومن أي البلاد انت؟» فقال. انارجل نصراني من أهل نينوي، فقال رسول الله «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟» فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال له رسول الله «ذاك اخي، كان نبياً وانا نبي» فاكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه واسلم، فقال احد ابني ربيعة لاخيه اما غلامك فقد افسده عليك، فلما جاءها عداس قالا ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ فقل ياسيدي ما في الارض شيء خير من هذا الرجل، لقد اخبرني بامر لا يعلمه إلا نبي قالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه. ولكن عداسا لم يتزعزع بقولهما، ولا يزال في المثناة محل يزار يقال انه المكان الذي اسلم فيه عداس

وقد روى اهل السير أن رسول الله لما خرج الى الطائف يدعو ثقيفا الى الاسلام كان معه زيد بن حارثة وأقام شهراً يدعوهم الى الله ولم يجيبوه، ثم اغروا به سفهاءهم وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى لقد شج في رأسه ﷺ وحتى إن رجليه

لتدميان ، وزيد يقيه بنفسه . ثم انه غزا الطائف و ضرب في اثناء حصاره الطائف قبتين لزوجتيه : أم سلمة وزينب رضی الله عنهما . وكان يصلي بن القبتين . فلما أسلمت ثقيف بني عمرو بن أمية بن وهب بن مالك على مصلى رسول الله ﷺ مسجداً . قالوا ونصب الرسول على حصن الطائف منجنيقا قيل اتار به سلمان الفارسي رضی الله عنه ، وقيل قدم به الطفيل بن عمرو ، وقيل يزيد بن زمعة ومعه دبابتان وقيل قدم بالمنجنيق وبالذبابتين خالد بن سعد بن حريش ، وكانوا يضعون الدبابات ويغطونها بجلود الابل والبقر ويدخلون في جوفها فتقيهم من السهام والحجارة . ثم قال ابن فهد في تاريخه للطائف ، نقلاً عن الحافظ مغلطاي : ان هذا المنجنيق هو اول منجنيق رمي به في الاسلام . وقد نثر رسول الله الحسك حول حصن الطائف . ورمى رجل ثقيف الدبابتين بسكك الحديد المحماة بالنار فأحرقت الدبابتين وأصيب جماعة من المسلمين . وقالوا ان رسول الله قال « لم يؤذن في ثقيف » ثم انصرف من الطائف إلى الجمرانة ، وأرادوه على أن يدعو على ثقيف فكان دعاؤه « اللهم اعد ثقيفاً واثت بهم » ولما اسلمت ثقيف ثبتت وحسن اسلامها ولما لحق رسول الله بالرفيق الاعلى وارتدت العرب ثبتت ثقيف على الاسلام ومن ارتد منهم قتلوه وقالوا ما دخلنا آخر الداسي إلا لما تبين لنا من الحق

### ﴿ وجوب اتخاذ آلات الحرب الحديثة وفنون صناعاتها ﴾

قلت : ان رسول الله ﷺ قد استخدم اذاً الصناعة في الحرب بما أجمعت عليه الرواة من ضربه حصن الطائف بالمنجنيق ونثره حوله الحسك وقتاله بالدبابات وكل هذا من الصناعة التي لم تكن موجودة في هذه الايام . والحسك أتت به بالاسلاك الشانكة . دبابات هي دبابات « التانك » التي يصفحونها اليوم بالفولاذ حتى لا ينخرقها الرصاص ، وكانوا في ذلك العصر يجلونها بالجلود ، وعليه يكون استعمال الآلات الحربية بأنواعها سنة نبوية أكيدة لا يجوز اهمالها ولا التهاون



بها هذا فضلا عن الامر الالهي الصريح الذي تتضمنه آية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ونحن مع الاسف نرى المسلمين اليوم أقل الامم اعتناء بالميكانيكيات والطبيعيات والكيمياء وجميع العلوم التي يكفل لهم اتقانها الحيل الحربية وجر الاثقال واختراع الآلات التي توفر دماءهم وتصون دماءهم ، ونرى جمهور علمائهم نافرين من هذه العلوم والفنون كانها من عمل الشياطين، يقضون الاعمار الطويلة في درس علوم مخصوصة لا يتعدونها ، من نحو وصرف وحديث وتفسير وما أشبه ذلك مما لا شك في ضرورته ، لانه به قوام اللغة والمعقيدة، ولكنه ليس يعني أصلا عن العلوم الطبيعية التي هلك اليوم من أهلها وعن الميكانيكيات التي لو أفرغوا لها من الوقت ربع ما أفرغوه للحديث والتفسير والفقهاء والنحو والصرف لكانوا من الصناعة ومن ثم من التجارة والثروة على حظ يضاهي حظوظ الامم الاوربية ، ولكننا قد أمهلنا علوم هذه الدنيا وحصرنا جميع عنايتنا بعلوم الآخرة (١) غير ذاكرين ان الاسلام انما هو شرع دنيا وآخرة ، وان من أهل أحد الشقين فهو آثم ، كما لو أهمل الشق الآخر .

ونعود الى الدبابات فنقول :

ان الافرنج قد استعملوها من القديم ، وأهم ما روي عنهم فيها ما صنعوه في حصار عكا في الحرب الصليبية . فقد صنعوا ثلاثة أبراج طول البرج ستون ذراعا جاءوا بنخشبها من جزائر البحر وعملوها طبقات وشحنوها بالمقاتلة ولبسوها جلود البقر والطين بالخل وقربوها من الاسوار، وكادوا يأخذون بها البلد لان المسلمين رموها بالنيران فلم تعمل فيها فغاروا في أمرهم ودخل عليهم من الخوف ما لا يوصف قال ابو الفداء : فتحيل المسلمون وأحرقوا البرج الاول فاحترق بمن فيه من الرجال

«١» قد ضعفت كل هذه العلوم ايضاً في جميع الامصار الاسلامية وقلما يوجد

احدي يشتغل بها لأجل الآخرة

## صار المسلمون عالة على الافرنج في آلات الحرب

والسلاح ، ثم أحرقوا الثاني والثالث وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكآبة .  
وقد روى بهاء الدين ابن شداد في سيرة صلاح الدين يوسف الايوبي — وكان ابن  
شداد شاهداً تلك الوقائع ملازماً للسلطان : ان الذي تحيل لاحراق هذه الابراج  
المسيرة على العجل بعد أن أعياهم أمرها كان نحاساً حموياً قال للمسلمين : أنا كفيكم  
أمرها بشرط أن تهيتوا لي كذا وكذا — و ذكر مواد أتوا له بها — فطبخ من  
هذه المواد ثلاث قدور ورمى كل دبابة بقدر منها فلم تكبد تصيبها حتى اشتعلت  
من فيها جميعاً فكان من فرج المسلمين بصناعة هذا النحاس الحموي ما لا تنفي به عبارة  
وقد ذكر المستشرق الفرنسي الشهير رينو Reinaud صاحب كتاب « غارة  
العرب على فرنسة » انه لما زحف العرب من الاندلس الى فرنسة وافتتحوا اربونة  
Narbonne وقرقشونة Carcassonne ووصلوا الى افينيون وليون وغيرها تحت  
قيادة السمح بن مالك الخولاني وعنبة بن سحيم الكلبي والحر اثقفي كانت معهم  
آلات لم تكن عند الافرنج في ذلك العصر ذكر « رينو » ذلك في كلامه على  
حصار السمح الخولاني لطلوزة Toulouse

فاليوم قد انعكست الامور وصرنا في وسائل الدفاع عيالاً على أعدائنا  
أنفسهم ، فان طاب لهم أن يتفقوا علينا ويمنعوا عنا السلاح بأجمعه أمسينا وليس  
ماندافع به طياراتهم ودباباتهم ومدافعهم وقد انقمهم سوى أصابعنا وأظافرنا ،  
ولقد رأيناهم بالفعل قرروا منع الاسلحة عن جزيرة العرب في مؤتمر نزع السلاح  
الذي انعقد منذ بضع سنوات في جنيف ووقع هذا القرار بأصوات أكثرية الدول  
بناء على رغبة انكلترة وفرنسة وإيطاليا وتوابهن ، وغاية ما فعلته الاقلية انها  
استنكفت عن اعطاء الرأي لا سلباً ولا ايجاباً ، وهي لو كانت راضية عن سياسة  
الاكثرية لما تأخرت عن موافقتها على منع السلاح عن العرب . فكان اعتناء  
العرب وجميع العالم الاسلامي بقضية التسليح فرضاً عليهم كفرض الصلاة ، إذ

لا بقاء لهم بدونه ، و كان هذا متوقفا على الصناعة التي هي من ثمرات العلم الطبيعي ،  
ولاجل هذا كان انصراف المسلمين الى اتقان العلوم الطبيعية وادخالها بمذاخيرها  
في برامج تعليمهم من الامور الحيوية التي لا يجوز ان يغفلوا عنها طرفة عين .  
وأراني قد بعدت عن الموضوع الذي كنت فيه وليست هذه بأول مرة  
جرتنا الاستطراد الى ما هو بعيد عن المقام الذي نكون فيه ، ولكننا في كل مرة  
لم نخرج الى شيء غير مرتبط بأصل الموضوع .

## عود الى الطائف

### وآثار حضارة العرب فيها

ولنعد الى سياحتنا في الطائف وجبالها بعد أن روينا مالا بد منه من تاريخها فقول:  
من أنصع الدلائل على مدنية العرب ، لا في دور الجاهلية فقط بل في صدر  
الاسلام أيضاً - كثرة الكتابات المنقوشة على الصخور  
فمن المعلوم ان الامم الهمجية لا تعرف قيد الحوادث ولا تخليد الذكريات  
ولا تفكر في اطلاع الاعقاب على ماجري في سالف الاحقاب، وانه لا يعنى بأمر  
كئذ إلا من علا كعبهم في الحضارة، وبعد شأؤهم في العمارة ، وهذه أمم الافرنجية  
اليوم بعد أن بلغوا ما بلغوه من هذا المدى البعيد في المدنية تجدهم لا يبرحون  
يشيدون المباني وينحتون التماثيل ويقيمون الانصاب، وينقشون عليها كلها التواريخ  
المتعلقة بها خدمة لعلم التاريخ في مستقبل الدهر، وحرصاً على اطراد سلسلته ووصل  
فصوله، وتفادياً من انقطاع أسانيد وضيع مصادره . وبالجملة لا يجتمع حفر الكتابات  
والنقش على الصخور مع الجهل والانحطاط وخلوا الدار من الفاضل، وما عثرنا في  
أثناء الحفر عمداً أو عرضاً على حجارة من أنقاض السلف عليها كتابات قدمة

الإوجدها محررة بلغات أم عظيمة الآثار، جليلة. اقدار، كالرومانيين واليونانيين ومن قبلهم كالمصريين والفينيقيين والحثيين والبابليين والعرب الذين كان الناس لا يدركون درجة مدنيتهم العالية في العصر المتوغلة في التقدم الى أن اطلوا على ما تركوه من المباني الباذخة والقصور الشاهقة والمصانع والسدود وغير ذلك من الآثار الدالة على رسوخ الحضارة وقرأوا ما عليها من الكتابات بالحيرية

وقد كان أول من نبه على ذلك الهمداني الحسن بن أحمد صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» وكتاب «الاكليل» لا سيما في الجزء الثامن من الاكليل الذي فيه ذكر محافد اليمن ومساندها وقصورها ونقل كتابات بالقلم المعروف بالمسند، وجاء بعض المستشرقين مثل «مولر» وغيره فحققوا ما قاله الهمداني ولم يجدوا فيه مبالغة، ونشر «مولر» كتابا طبعه في «فيينا» سنة ١٨٨١ عن هذه الآثار الباهرة واعتمد في تأليفه على «الاكليل»<sup>(١)</sup>

(١) (حاشية المؤلف) هذا الكتاب عشرة اجزاء في اول الجزء الثامن منه ما يلي :  
الجزء الثامن من الاكليل للحسن بن أحمد الهمداني وهو كتاب محافد اليمن ومساندها ودقاتها ومرآة حير والقبوريات وشعر عاقمة، والمحقد القصر، وإنما سمي محفداً لحفود الناس حوله اى شدهم وقصدهم، منه دعاء الوتر «إليك نسى ونحفد» والحقد الخدم . واعلم ان كتاب الاكليل عشرة أجزاء . فاول مختص في المبتدا واصول الانساب والثاني نسب ولد الهيمسح بن حير . والثالث في فضائل قحطان . والرابع في السيرة القديمة الى عهد تبع ابي كرب . والخامس في السيرة الوسطى من اول ايام اسعد تبع الى ايام ذو نواس . والسادس في السيرة الاخيرة الى الاسلام والسابع في التنبيه على الاخبار الباطلة والحكايات المستحيلة . والثامن في ذكر قصور حير ومدنها ودواوينها وما حفظ من شعر عاقمة والمرآة والمسند . والتاسع في امثال حير وحكمها باللسان الحميري وحروف المسند . والعاشر في معارف حاشا وبكيل . والله اعلم واحكم =

وملخص الكلام انه لا يتصور العقل بلاداً تكثر فيها النقوش والرسوم على الحجارة المنضودة في الابنية أو الصخور المبعثرة في الجبال والفلوات إلا اذا كانت تلك البلاد في أعصرها الخوالي حافلة بالمران موصوفة بكثرة السكان .  
ومما لا ريب فيه أن الطائف وجبالها كانت من جملة أقسام الجزيرة العربية المعمورة وانه قد تقلص عمرانها كما تقلص عمران سائر الجزيرة بسبب الفتوحات الاسلامية التي ضربت من الجزيرة إلى الصين والهند شرقاً ، وإلى الاناضول

= كنت سمعت بوجود جزء من هذا الكتاب في مكتبة جامع بايزيد في استنبول فارسات الى الاخ الفاضل خالد بك القرقي الطرابلسي الغربي المنسوب الى بني هرديماوك سرقسطة بالاندلس وكان يومئذ بتلك العاصمة ليبحث لي عنه فوجدتم نقلوه الى مكتبة دار الفنون ونقل لي بعض صفحات منه، فاذا به الجزء الثامن، وقال لي انه قد بلغه وجود نسخة من هذا الجزء في برلين، فلما ذهبت الى برلين اواخر السنة الماضية ١٩٣٠ بحثت عنه في المكتبة الملكية فوجدت منه جزئين الجزء الثامن والجزء العاشر، ووجدت مع الجزء العاشر في جلد واحد بعض رسائل منها حتى عن الممادني التي في اليمن وكتاباً من تأليف الملك الاشرف ابي حفص عمر ابن رسول الغساني اسمه (طرفة الاصحاب في معرفة الانساب) فاخذت صور جميع ذلك بالفوتوغرافيا، وبينما انا مصمم على طبع هذين الجزئين من الاكليل اذ بانغي ان اللغوي المحقق الاب انستاس الكروبي مباشر طبع الجزء الثامن ببغداد معتدداً في ذلك على خمس نسخ وقفت في يده وانه سيطبعه مع حواش وتفسير، فلما علمت ذلك وقفت عن طبع هذا الجزء حتى ارى ما يكون ثم اني ارسات الى حضرة صاحب السمو صديقي الامير سيف الاسلام محمد والي تهامة ونجل الامام المتوكل على الله يحيى بن محمد بن حميد الدين صاحب اليمن اسأله عما يوجد من اجزاء هذا الكتاب في اليمن، فاجابني بانه لا يوجد من الاكليل الا جزءان وثلاثة مقطعة مفرقة، وانه مع ذلك سيبحث ثانية وهذا ما عرفنا الى الان عن هذا الكتاب

والطاغستان شمالاً ، وإلى الاطلنطيك غرباً ، وكانت كلها على أيدي العرب الذين التهمتهم القواصي وأفنى رجالهم قراع الكتائب ، فحلا كثير من ديارهم الاصلية ، وصفرت الجزيرة من تلك الجموع التي كانت تموج بها ، وتداعت القصور ، وانهارت السدود ، وتمطلت القنى ، وتصوحت النضرة ، وعطشت الارض .  
وأما الكتابات المنقوشة على الصخور فلم يضر بها الجوع ولا العداش ، فبقيت على حالها ناطقة بما كان ثمة من عمران سابق ومجد سامق .

واقدر أتيح لي ان أرى طرفاً من هذه الكتابات وان اقرأ بعضها وان يشكل علي قراءة البعض الآخر ، فعولت فيه على بعض الاساتيد المخصصين بمعرفة الخطوط القديمة ، وذلك اني نسخت ما قرأته في جبل السكارى في وسط الطائف وبعثت به إلى براين وذلك إلى الاستاذ مورتيز من فحول المستشرقين . فحل الكتابة وأعادها لي ، ولم تكن من الخط السند بل من الخط الكوفي القديم الذي لم نألفه فان الخط الكوفي ليس شكلاً واحداً . وهذه الكتابات خالية مع الاسف من التواريخ .

وأكثر ما عثرت به من هذه الكتابات في كل محل خلو من ذكر السنة التي كتبت فيها إلا ما كان منها متأخراً من آثار القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة وما بعد ذلك فهو مؤرخ بالاشهر والسنين كما هي العادة ، ويظهر ان الكتابات التي في جبل السكارى هي من القرن الاول للهجرة وربما كان بعضها من زمن الجاهلية ونص واحدة منها « اعف يا الله ، عبدك أود بن موسى » ونص أخرى « اباد بن عيفر بن أوس ، بره واثق » ونص أخرى « بالله محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ( كلمة لم تمكن قراءتها ) واثق بالله » ونص أخرى « اللهم حكم عبدك عيفر بن ابي قبيع من النادي وكتب » ونص أخرى « اللهم صل على محمد النبي وكتب محمد بن ابي قبيع » وجبل السكارى هذا على طرف الطائف إلى جهة الشاة-رايبة لا تعلق أكثر من ستين متراً عن سطح الارض ، لكنها لشدة قربها من البلدة يشرف

الذي يتوكل فيها على جميع الطائف وبساتينها فيقصد الناس النزهة هناك ، ولما كان الجبل كاه صخرية كانت فيه جنادل كثيرة بعضها فوق بعض . ومنها ماهو ملاق الآخر على شكل يتكون منه شيء أشبه بالكهف فيتقي الذين يقبلون تحت هذه الصخور حر الشمس

وقد كان لنا هناك قبيلات لم نزل نتذكر لطفها بدعوة الشيخ عبد القادر الشيبى كبير سدة البيت الحرام الذي هو المثل البعيد في الكرم وحسن الوفادة والذي ذكرته مراراً في هذه الرحلة إلى ان قال لي الكثيرون : تالله تفتأ تذكر الشيبى ، فقلت أرتجالاً :

يقولون لي : نبغي جواب سؤالنا  
لماذا نرى الشيبى عندك أولاً  
فقلت : أرى الشيبى ينذر مثله  
وفي خدمة الاسلام قدشاب مفرقي

ويسألني عن ذلك صحبي وجلاسي  
وتؤثره في كل شيء على الناس  
ببر واکرام واطف وإيناس  
لذلك أرى الشيبى تاجا على رأسي

وبعد ان برحت الحجاز بقيت المسكابة بيني وبين الشيخ المشار اليه متصلة يتخللها النظم والنثر ، ومقابلة الشيء بمثله من القافية والبحر . ولاعجب في فصاحة بني شيبه وهم لباب قريش وخلاصة العرب ، وانقصر فيهم سابق حتى لقد قرأت في « بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس » ل احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي ان أبا العباس احمد بن رشيق الكاتب لما كان في سن المراهقة يطلب علم النحو بتدمير من بلاد الاندلس دخل عليهم من طريق البحر رجل أسمر ذكر انه من بني شيبه حجة البيت وانه يقول الشعر على طبعه ولا يقرأ ولا يكتب . وكان يقول انه دخل عليه الاحن بدخول الحضر وروى ابن رشيق من شعره :

ياخيلبي من دون كل خايل  
إن لي مهجة تكنفها شو  
لاتلني على البكا والويل  
قوعينا قد وكلت بالهمول

كلما عودت هتوف انعشاي والضحى هيجت كمين غليل  
 ذات فرخين في ذرى اثلات عدلات غضف الذوائب ميل  
 لم يغيبا عن عينها وهي تبكي حذر الدين والفراق المديل  
 أنا أولى بعربتي وانزاحي واشتياقي منها بطول العويل  
 حل أهلي بالابطاحين وأصبح تمع الشمس عند وقت الافول  
 فأنت ترى فصاحة الامي منهم، فما ظنك بالمتأدب الذي قرأ العلم وثافن العلماء  
 رأى من رجال الاسلام قصاد البيت الحرام ما لم يتيسر لأحد ان يره .  
 ثم ان لهذا البيت من مزية خدمة البيت مالا يشركهم فيه غيرهم منذ بضعة عشر  
 قرنا حتى ان النبي ﷺ لما فتح مكة قل لقريش « ماتظنون ؟ » قالوا: نظن خيراً  
 ونقول خيراً، اخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت ، قل « فاني أقول كما قال أخي  
 يوسف عليه السلام ( لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ) »  
 ثم قال ﷺ « الا كل دين ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي  
 إلا سدة البيت وسقاية الحاج »  
 وحدثوا من طريق آخر انه ﷺ قل في خطبة « الحمد لله الذي صدق  
 وعده ، ونصر جنده ، وهزم الاحزاب وحده ، ألا ان كل مأثرة في الجاهلية وكل  
 دم ودعوى موضوعة تحت قدمي ، إلا سدة البيت وسقاية الحاج » وقالوا ان النبي  
 ﷺ كان أخذ مفتاح البيت يوم فتح مكة من عثمان بن طلحة بن ابي طلحة ثم  
 نزلت الآية ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ) فاستدعى عثمان وأعاد  
 اليه المفتاح قائلاً له « خذوها يا بني ابي طلحة بامانة الله سبحانه لا ينزعها منكم إلا  
 ظالم » وفي رواية أخرى « خذوها يا بني ابي طلحة خالدة تالدة لا يظلمكوها إلا  
 كافر » وقيل « إلا ظالم » ولهذا بقي مفتاح البيت في هذا البيت إلى اليوم ،  
 و ليس في مكة أعرق منهم لانه لم يبق من صدر الاسلام ملازما مكة بسبب



## جبل السكارى وبسمونه في الحجاز أم السكارى ٣٠١

سدانة البيت غيرهم . ولقد رأيت فتاوى كثير من العلماء في وجوب البر بهم مكافأة على هذه الخدمة المقدسة التي اختصوا بها بمحکم الذكر من قديم الدهر هذا واقدم ذكر السيد خير الدين الزركلي جبل السكارى الذي كنا بصدده وقال انهم بسمونه « ام السكارى » وروي عن قاضي الطائف الذي كان يومئذ (سنة ١٣٣٩) أن على هذا الجبل أسطراً تاريخها سنة ١٨٨٨ قال فصعدته ورأيت كتابات كثيرة ولم أر التاريخ الذي ذكره (قلت) وأنا لم أر كتابه عليها تاريخ ، ولكن يجوز أن تكون على صخر لم يقع نظرنا عليه فان هذا الجبل مغطى بالصخور وفيه مقطع حجارة لبناء أهل الطائف وايس كل ما يراه الواحد يراه الآخر

وأما تسمية هذا الجبل « بأم السكارى » أو جبل « السكارى » فنظنها من جهة اجتماع الناس فيه للنزهة والشرب من أيام الجاهلية . ويقال ان أبا سفيان ابن حرب انما اجتمع مع سمية أم يزيد في هذا الجبل اتاه بها أبو مريم الحمار وهناك جبل مناوح لمسجد ابن عباس على مسافة ٣٠ دقيقة منه ، فيه صخور كثيرة عليها كتابات وصور حيوانات . ومن هذه الكتابات ما يظهر انه قديم ومنه ما هو من القرن الثالث أو الرابع أو الخامس . وقد نقل الخير الزركلي منها كتابة هي (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وفي آخرها « محمد بن مهدن »

وجبل آخر اسمه « الردف » بفتح الدال وتشديدها . يذهب السائر اليه من الباب الذي بقرب مسجد ابن عباس رضي الله عنه ويأخذ الوصول اليه نحو ساعة من الزمن على طريق بستان « حوايا » وبستان « شهار » وفي « الردف » هذا حجارة كبيرة مترادفة على بعضها كتابات قرأنا بعضها وهو من الخط الكوفي القديم من القرن الاول وما يليه . نقل من ذلك الخير الزركلي في كتابه (ما رأيت وما سمعت ) الجبل الآتية :

( عبد الله بن علي بن أبي محجن يسأل الله بوجهه الكريم الجنة )  
( عبد الله بن علي بن أبي محجن يسأل الله القتل في سبيله على بر كتبه )  
( عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الرحمن يشهد أن الله على كل شيء قدير وأن  
الله قد أحاط بكل شيء علماً )

وبينما كنا قافلين من وادي «لية» إلى الطائف رأينا أيضاً كتابات على صخور  
منها كتابة ممحوة بعض كتاباتها، نأمنها انه كان أصاب البلاد قحط وأمطار وبعده ذلك  
ورأينا كتابات على الصخور في طريق الطائف إلى وادي محرم . وقد تقدم  
اننا رأينا خطوطاً كوفية وأخرى من القرن السادس في سيدنا عكاشة من ارض الوهط  
وقيل لي ان بين المدينة المنورة وحائل كتابات كثيرة ولا أعلم هل هي من  
الخط الكوفي أو من الخط النبطي أو من خطوط أخرى ؟ وغاية ما يدرك الانسان  
من كثرة هذه الخطوط في جزيرة العرب انها كانت حافلة بالسكان ، بالغة الشأن  
الاقصى من العمران . وان الفتوحات الاسلامية أثرت في درجة عمرانها فغلبت  
عليها البداوة في التالي . ويظن بعضهم ان هناك أسباباً طبيعية أيضاً تقلص بها  
العمران : من غيظ مياه ونضوب أنهار جارية وما أشبه ذلك مما حدا بالعرب الى  
الجللاء والتفرق في الاقطار

ونعود إلى الطائف فنقول : ان عمرانها كان قبل الحرب العامة أكثر منه  
اليوم بكثير ، وانه بسبب الحرب بين الشريف حسين والأتراك ثم بينه وبين  
النجديين خرب جانب كبير منها ونزح أكثر سكانها

## ﴿ اشراف الحجاز على العمران ، بشمول العدل والامان ﴾

وقد بدأ عمرانها بل عمران الحجاز كله بالتراجع في هاتين السنتين بعد استقرار الامن وشمول الدعة مما أقر به القاضي والداني واعترف الناس بالفضل فيه لله ثم لابن سعود

ولقد شافهمنا هناك الاهالي في الفرق الذي بين حالتهم الحاضرة وحالتهم الماضية فأجمعوا على ان نعمة الامن التي هم متمتعون بها الآن لم يعرفوا شيئاً منها من قبل لا هم ولا آباؤهم ولا أجدادهم ولا سمعوا بها عن سلفهم

حدثني بعض الاشراف الهاشميين من أولاد امراء مكة انفسهم انهم كانوا في القرى التي لهم حول الطائف يوصدون أبوابهم ليلاً ولا يفتحونها لأي طارق خيفة الغيلة وحذراً من سطو اللصوص حتى جاء هذا العهد السعودي فصاروا يأمنون أن يبيتوا وأبوابهم مفتحة وصاروا يفتحون لأي طارق جاءهم

وحدثني الجميع انهم كانوا لا يقدرّون على التجوال الا مساحين ، فأصبح الآن كل انسان يجول في الحواضر والبوادي أعزل لا يحمل شيئاً ولا السكين وقد يكون حاملاً الذهب ولا يخشى عادية ولا حادثة . وكثيراً ما يترك الناس أوقار دوابهم في قارة الطريق وتبقى أياماً وليالي إلى ان يمود أصحابها فيأخذوها ولا يجرأ احد ان ينظر اليها

وقيل ان عدلاً من الشعير تركه صاحبه لأعياء مس دابته ومضى ينشد دابة أخرى يحمل عليها عدله فجاء ووجد في العدل ثقب سكين تنساقط منه حبوب الشعير فأخبر الشرطة فلم يزلوا يبحثون حتى عرفوا ذلك الرجل الذي وجأ العمك بسكينه وجلدوه بالسياط ، لانه حاول أن يعرف ما احتوى عليه ذلك العمك (١)

(١) حكى الريحاني وغيره مثل هذه الحادثة في بلاد نجد والحالة العامة تلد حوادث متشابهة

وكل يوم يؤتى الى دوائر الشرطة في كل بلدة بأمتعة وأسباب وحوائح وأموال منها الكثير ومنها القليل ومنها الثمين ومنها الخسيس مما يجده السابلة في الطرق اتفاقاً، فلا تجد أحداً يطعم في شيء بعد أن كان الدعارة يذبجون ابن السبيل من أجل حاجة لا تكاد تساوي قطميراً

فسبحان الذي أدال من تلك الحال لهذه الحال ، وأوقع الرعب في قلوب الأعداء، في السهول والأوعار . وايس في باب الامن في ممالك ابن سعود متطلع لمزيد ، وقصار ما يتمنى الانسان دوام هذه النعمة

ومن هذا الباب ان الثارات والدماء كانت بين قبائل العرب متصلة والغارات مستمرة، وانه إذا وقع دم بين قبيلة وأخرى انقطع كل اتصال بينهما وصار ابن احدهما لا يقدر ان يمرض الاخرى إلا تحت خطر القتل . وقد سمعت من القبائل التي شافيتها في الحجاز انها الى زمن استيلاء ابن سعود كان بعضها لا يقدر أن يدخل منطقة بعض ولو كان في أقرب محل اليه ، وان كل ذلك قد نسخ الآن باحكام ابن سعود وصار الناس يمر بعضهم بارض بعض عزلاً من السلاح ولا يخشى أحد منهم مكروها ، وانطوت تلك الثارات والدحول كأنها لم تكن، ولا نظن ان الاعراب ينسون الثارات وليس ذلك من طبيعتهم ولكنهم اذا وقعت هيبة السلطان في قلوبهم وعرفوا ان ايس عند السلطان الا العدل واقامة الحد الشرعي بدون هوادة مع أحد انقادوا لاحكام انقياد الغنم

لهذا نجد العمران قد بدأ يتراجع إلى الحجارة شمولاً لامن واستراحة الفكر فالقوافل والسيارات الكهربائية ذاهبة جاثية تخترق الصحاري بالامنة التي تمر بها في شوارع البلد الحرام ، والناس بعد ان امنوا على أموالهم وزروعهم وضرورهم قد نشطوا للعمل ووثقوا بالمستقبل ، واذا مضت عنرون سنة - وهذه الحالة لم تبدل وهذه الامنة ممتدة الرواق على البلاد كما هي اليوم - فان البلاد تسير شوطاً

## قابلية الحجاز لسعة العمران وكفاية ملايين السكان . ٣

بعيداً في ميدان الفلاح ، ويتضاعف عدد قطيعاتها ، وترتفع أثمان أراضيها ، ويقصد إليها كثيرون من أهل العالم الاسلامي الذين يثقل عليهم حكم المستعمرين الاوربيين ، كما كانوا بدأوا يهاجرون إليها قبل الحرب العامة . مع ان أمانة السوايل لم تكن حينئذ كما هي الآن

ومن الاغلاط المشهورة التي شهرتها لا تمنع كونها غلظ الظن بان بلاد الحجاز هي من القحولة بحيث لا تتحمل عدداً من السكان يزيد على أهلها الحاضرين وان زاد فلا يكون إلا قليلاً ، وان الحجاز اتف ، وان الحجاز يابس ، وان الحجاز كثير الحجارة والحرار قليل الرياض والغياض ، غير اريض الاراض الى غير ذلك من وجوه الاعتراض . وهذا كله من الكلام المرسل بدون تحقيق ، الذي يقوله من لا يعرف الحجاز او لا يعرف شيئاً عن الحجاز او بعض الكسالى من أهل الحرمين الشريفين الذين يبدون ويهيئون أمام حجج البيت الحرام وزوار الروضة النبوية عن فقر الحجاز تعمداً منهم ، ليستزيدوا بر الحجج بهم ، ويستدروا عوارف العالم الاسلامي عليهم

وحقيقة الحال انه لو كان سكان الحجاز ثمانية او عشرة ملايين نسمة كان ثمة مكان لهذا القول . ولكن بدون أن نعرف بالتدقيق عدد أهالي الحجاز نقدر ان نقول انهم جميعاً بدأوا وحضراً لا يزيدون على مليون نسمة وربما لا يناهزون هذا العدد . وان من عرف جزءاً من الحجاز - لا كله - علم ان الحجاز إذا قام أهله على فلاحه وزرعه حق القيام أعاش منهم ملايين بالراحة التامة ، واصار اليهم من لخيرات مالا يذكر موسم الحج في جانبه شيئاً

ولقد رأيت على مقربة من مكة وادي فاطمة الممتد إلى وادي الليمون مسافة خمس عشرة ساعة فرأيت جنة من جنات الله في أرضه لا تفضلها بقعة لافي الشام ولا في مصر ولا في العراق .

ولما كنت في المدينة المنورة قبل الحرب العامة وجوات في عواليها والبقاع التي تليها وشاهدت زكاه تلك الارضات وسمعت خريرها تيك المياه قدرت ان البلدة الطيبة وحدها اذا كانت سكة الحجاز الحديدية متصلة بها وبقيت المهاجرة اليها من الآفاق قد تحمل نصف مليون نسمة ولا يتكادها أمر معيشتهم . وقد كان بلغ عدد سكان المدينة قبل الحرب العامة نحو خمسين الف نسمة وصار المتر المربع من الارض الفضاء في وسط البلدة يباع بعشرة جنيهات وفي الضواحي بجنيه واحد وكانت الناس مقبله على الشراء من كل جانب فلما انقطعت السكة الحديدية الحجازية الواصلة بين المدينة والشام بسبب استئثار دولتي فرانسه وانكتره اللتين وضعتا أيديهما على قطع هذا الخط التي في سورية وفلسطين والبلقاء، وجهلتا بل هضمتا حقوق المسلمين الخاصة فيه، تقلص عمران المدينة المنورة ونزل عدد سكانها من الخمسين ألفاً إلى ١٥ ألفاً، كما ان جميع القرى التي كانت على جوانب الخط مثل معان وتبوك ومدائن صالح والملا وغيرها قد تراجعت إلى الوراء بعد أن كانت السكة قد بدأت تعبد اليها غبر عمارتها . ولعل التخوف من عمران الحجاز كان من جملة الاسباب التي حدثت دولتي انكتره وفرنسة على المعارضة في تسليم السكة الحجازية الحديدية للمسلمين .. فان هاتين الدولتين اللتين تسلطتا على نحو ١٥٠ مليون مسلم تکرهان أن يكون لهم ماجاً تهوي اليه أفئدتهم ويكون معموراً وتتوافر فيه أسباب الراحة وينتهي الامر بازدهام السكان فيه ( ولا سيما الحجاز ولا سيما الحجاز ولا سيما الحجاز )

ولكن استئثار عمران الحجاز أمر لا مناص منه معها وضع الاجانب أعداء الاسلام في طريقه من العراقيل والعمواتير، لان المسلمين يأرزون إلى الحجاز من كل صوب كما تأرز الحية إلى وكرها . وقد كانوا يشتكون قلة الامنة في السبل فقد أزيحت هذه العلة بتامها بنزل الله ثم بفضل عبدالعزيز بن سعود . وقد كانت

تضول عليهم المراحل، وتتعبيهم أكوار الرواحل فالآن قامت السيارات الكهربائية  
مقام الاباعر، وطوت تلك المسافات الطوال طي السجل للكتاب. ولا بد من  
أن يأتي دور السكة الحديدية يوماً فتكمل من المدينة الى مكة ويمتد خط من جدة  
إلى مكة ثم من مكة إلى الطائف، وإذا كان العرب عرباً ساروا به من الطائف  
إلى ابها إلى صنعاء اليمن إلى عدن. فان الامة العربية سائرة إلى الوحدة مهما  
عارض في ذلك اللثام من أعدائها، والمتفلسفون من أبنائها وان هذه الوحدة آتية  
لا ريب فيها ولو بعد مائة سنة أو أكثر

وطالما قلت: ان من أهم الشروط الاساسية لهذه الوحدة هو مد الخطوط  
الحديدية بين الشام وجزيرة العرب، والعراق وجزيرة العرب، على أن تكون  
هذه الخطوط للعرب وبايدي العرب

و بينما كنت اقرأ ترجمة حياة « كافور » مؤسس الوحدة الايطالية بقلم المسيو  
« بالبولوغ » سفير فرنسة في بطرسبورغ سابقاً إذ وجدته يقول: إن كافور كان  
يرى الشرط الاساسي لوحدة ايطالية ربط جميع أجزائها بالخطوط الحديدية، وقد  
ابتدأ بذلك من قبل ان أتم الوحدة الايطالية

\* \* \*

### قابلية خيبر لل عمران

ونعود إلى عمارة الحجاز فنقول: إن من البقاع الملائي مستقبلاً - كما يقول  
الافرنج - بقعة خيبر، ولم أصل إلى خيبر ولكنني سمعت بها كثيراً. وقيل لي إن  
بها سبعة أودية سائلة ونخيلاً من فوق التصور. وكنت أيام أنا مبعوث الشام  
في مجلس النواب باستانبول سمعت بمد تسعة من الخط الحديدية إلى خيبر ينفصل  
من قبل الوصول إلى المدينة المنورة بنحو ساعتين، ولا تكون مسافة هذا الخط  
المنشعب من الخط العمودي أكثر من ساعتين فقط، وكان يمان ذهاب الانسان  
— الارتسامات

من المدينة إلى خيبر في أربع ساعات لاغير . وكنا قررنا مد هذه الشعبة إلى خيبر كما قررنا مد شعبة أخرى من أذرعات ( درعا ) إلى عجلون في حوران ، وشعبة أخرى من (ضبعة) إلى الكرك في شرق الاردن، كلها من الخط الحجازي، وجاءت الحرب العامة فوقفت كل هذه المشروعات، ثم جاء احتلال الاجانب للبلاد فاخني على كل شيء ، بينما هم يدعون أنهم انما أتوا لاجل اسعاد البلاد وترقية عمرانها ؛ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: إن خيبر سبعة حصون : حصن ناعم، وحصن القموص ، وحصن الشق ، وحصن النظاة ، وحصن السلام ، وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة . ولها كلها مزارع ونخل كثير .

وروي ان غزاة النبي ﷺ لها كانت لست سنين وثلاثة أشهر واحد وعشرين يوما للهجرة، وفتحها وحقن دماء أهلها اليهود وقالوا له يا رسول الله إن لنا بالعارة والقيام على النخل علما فاقرنا . فاقروهم وعاملهم على الشطر من التمر والحب . فلما كانت خلافة عمر ظهر فيهم الزنا وكان سمع ان النبي ﷺ قال « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ، فاجلى عمر رضي الله عنه يهود خيبر إلى الشام وقسم خيبر بين المسلمين ، قال وكان رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر ليخبرهم فقل : إن شتمت خرصت وخيرتكم ، وإن شتمت خرصتم وخيرتموني، فاعجبهم ذلك وقالوا هذا هو العدل، هذا هو القسط ، وبه قامت السموات والارض .

وخيبر موصوفة من القديم بالحى ، وذلك من كثرة مستنقعاتها . وفيها اليوم اكرة من السودانيين الزنوج لا يقدرّون على الاقامة بها لولا ألفتهم للحمى . وأما اذا قبض لخير وللحجاز اصلاح وأعيدت السكة الحديدية إلى مجراها وانشعب من عمودها شعبة إلى خيبر وعمرها الناس فللحمى طرق فنية كثيرة تكفل استئصال جراثيمها تدريجاً من احدار المياه وحصرها في القنى السائلة وغرس



الغياض الكثيرة من شجر الاوكايبيتوس وتجنيف المناقيع واتقاء الحى بالكينا وغير ذلك مما جرى مثله في أما كن أخرى كانت وبيثة في الماضي فصارت مصاح الاجسام

### انملا ووادي انقرى

ومن الاماكن القابلة جداً للعمارة « العلا » ( بضم أوله ) وهي على مسافة سبع أو ثمانى ساعات من المدينة المنورة إلى الشمال بسير القطار الباخر . قال ياقوت : هو اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام ، نزله رسول الله ﷺ في طريقه إلى تبوك . ولم يذكر ياقوت شيئاً عن جنان العلا ولذة فواكهها ، وجودة ثمارها وتمورها . فهي من أجل المراكز المرجوة لعمران القسم الشمالي من الحجاز . ووادي القرى كاه من الاماكن المرجوة لعمران الحجاز نقل ياقوت في المعجم قول ابى المنذر عن وادي القرى قال « سمي وادي القرى لان الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة ، وكانت من أعمال البلاد ، وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة إلا انها في وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد

قال ابو عبد الله السكوني : وادي القرى والحجر والجناب منازل قضاة ثم جهينة وعذرة ولي ، وهي بين الشام والمدينة يمر بها حاج الشام ، وهي كانت قديماً منازل ثمود وعاد ، وبها أهلكهم الله وآثارها إلى الآن باقية ونزلها بعدهم اليهود ، واستخرجوا كضائماً ، وأساحوا عيونها ، وغرسوا نخلها ، فلما نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفاً ، وكان لهم فيها على اليهود طعمة وأكل في كل عام ومنعوا لها من العرب ودفعوا عنها قبائل قضاة

وروي ان معاوية بن ابى سفيان مر بوادي القرى فتلا قوله تعالى ( أتتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل ) الآية ، ثم قال : هذه الآية نزلت في أهل هذه البلدة وهي بلاد ثمود فأين العيون ؟ فقال له رجل : صدق الله في قوله

أحب ان استخرج العيون ؟ قال نعم ، فاستخرجنا عيننا . فقال معاوية : الله  
أصدق من معاوية

وكان النعمان بن الحارث الغساني ملك الشام أراد غزو وادي القرى فحذره  
نابغة بني ذبيان ذلك بقوله :

تجنب بني حن فان لقاءهم      كرهه وإن لم تلق إلا بصابر  
هم قتلوا الطائي بالحجر عنوة      أبا جابر واستنكحوا ام جابر  
وهم ضربوا أنف الفزاري بعدما      أتاهم بمعقود من الامر قاهر  
أطعم في وادي القرى وجنابه      وقد منعوا منه جميع المعاشر ؟  
في أبيات

وحن — بضم الحاء المهملة والنون المشددة — هو ابن ربيعة بن حرام بن  
ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن  
الحاف بن قضاة . و أبو جابر — هو الجلاس بن وهب بن قيس بن عميد  
ابن طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن  
سعد بن فطرة بن طيء ، وكان ممن اجتمعت عليه جديدة طيء .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر في سنة سبع امتد إلى وادي القرى  
فقزاه ونزل به . وقال الشاعر :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة      بوادي القرى اني اذاً لسعيد ؟  
وهل أرين يوماً به وهي أيم      وما رث من حبل الوصال جديد  
انتهى كلام ابي المنذر وكلام ياقوت .

ووادي القرى اليوم خراب كما كان في أيامها ولا يرجى له استئناف عمران  
إلا باستئناف حركة الخط الحديدي الحجازي  
ولقد كان وادي القرى معموراً في صدر الاسلام وما يليه ، وبه مات موسى

ابن نصير اللخمي فاتح الاندلس وغازي الارض الكبيرة الاوربية وقامحها كلها  
لو تركه أعداؤه وحساده في دمشق يكمل عمله في الغرب  
وقرأت في كتاب « الصلة » لابن بشكوال في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم  
ترجمة احمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الاموي الذي يعرف بابن ميمون من أهل  
طليطلة: وفيها انه رحل إلى المشرق سنة ٣٨٠ و حج وزار المدينة وانه سمع بوادي  
القرى من ابي جعفر احمد بن علي بن مصعب، وبمدين من ابي بكر السوسي الصوفي  
وبأيلة من ابي بكر بن المنتصر، وبالقلزم من ابي عبيد الله بن غسان القماضي  
فمن ذكره علماء في هذه الاماكن يأخذ عنهم مثل ابن ميمون الطليطلي  
بجلالة قدره يعرف انها كانت معمورة مأهولة . والحال انها اليوم خراب، فلا وادي  
القرى ولا مدين ولا ايلة ولا القلزم عليها رائحة العارة، أو فيها شيء يشبه القرى  
فضلا عن الحواضر او المزارع، فضلا عن الجنان النواضر. أين اليوم وادي القرى  
ومدين وايلة والقلزم، وأين العلم والادب والسمع منها؟  
اودية العقيق في المدينة واليمامة وغيرها

ومن أجل ما في الحجاز بل في جزيرة العرب الامكنة التي يقال لها العقيق،  
ويترنم بها الشعراء بالشعر المتين الرقيق، والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل  
في الارض فانهره ووسعه عقيق. فمن هذه الاعقة عقيق عارض اليمامة وهو واد  
واسع مما يلي العرمة يتدفق فيه شعاب العارض وفيه عيون عذبة  
قال السكوني: عقيق اليمامة لبني عقيل فيه قرى ونخل كثير، ويقال له  
عقيق تمر، وهو منبر من منابر اليمامة عن يمين من يخرج من اليمامة يريد اليمن، عليه  
أمير، وفيه يقول الشاعر:

ترجع ايلي بالمضيح فالحمى وتحفر من بطن العقيق السواقيا  
ذكر ذلك ياقوت في معجم البلدان، ثم ذكر عن عقيق المدينة ما ملخصه:

انه عتيقان الاكبر مما يلي الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل  
ومما يلي الحى ما بين قصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن  
عثمان إلى قصر المراجل ثم اذهب بالعتيق صعداً إلى منتهى البقيع ، والعتيق  
الاصفر ماسفل عن قصر المراجل إلى منتهى العرصة ، وفي عتيق المدينة يقول  
الشاعر وهو المديح المرقص الذي ليس وراءه مديح في الكرم :

اني مررت على العتيق وأهله يشكون من مطر الربيع زوراً  
ماضركم إن كان جعفر جاركم أن لا يكون عتيقكم ممطوراً؟

قال : وفي هذا العتيق قصور ودور ومنازل وقرى . قال القاضي عياض :  
العتيق واد عليه اموال أهل المدينة ، وهو على ثلاثة أميال او ميلين وقيل ٦ وقيل ٧  
وهي أعقة ( احدها ) عتيق المدينة عتق عن حرتها ، وهذا العتيق الاصفر وفيه بئر  
رومة . والعتيق الاكبر بعد هذا وفيه بئر عروة . وعتيق آخر أكبر من هذين  
وفيه بئر على مقربة منه وهو من بلاد مزينة ، ومنها العتيق الذي جاء فيه  
( انك بواد مبارك ) هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة . ومنها عتيق اليمامة  
ابني عقيل ، وفيه يقول ابن حمير (بضم فتشديد) العقيلي :

يريد العتيق ابن المهر ورهطه ودون العتيق الموت ورداً وأجرأ

وكيف تريدون العتيق و:ونه بنو المحصنات اللابسات السنورا

ومنها العتيق ماء لبني جمدة وجرم ، تخاصموا فيه إلى انبي صلى الله عليه وسلم فقضى به  
ابني جرم ، ومنها عتيق البصرة واد مما يلي سفوان ، ومنها عتيق آخر يدفع  
سيله في غوري تهامة ، وهو الذي ذكره الشافعي رضي الله عنه فقال : لو أهلوا  
من العتيق كان أحب إلي ( يريد أهل العراق الذين من عادتهم أن يهلوا من  
ذات عرق). ومنها عتيق تمر قرب تبالة وبيشة وقيل عتيق تمر هو عتيق اليمامة.  
والعتيق واد لبني كلاب نسبة إلى اليمن لان أرض هوازن في نجد مما يلي اليمن

وأرض غطفان في نجد مما يلي الشام ، وإياه غنى الفرزدق بقوله :

ألم تر أني يوم جو سويقة بكيت ، فنادتني هنيذة : ماليا ،  
فقلت لها ان البكاء لراحة به يشتهي من ظن أن لا تلاقيا  
قني ودعينا يا هنيذ ، فاني أرى الراكب قد ساموا العقيق اليمانيا  
انتهى ملخصاً من معجم البلدان

وسيد الاعقه كلها عقيق المدينة المنورة ، وهو الذي يدور ذكره على السنة الشعراء . وإذ قيل العقيق وحاجر ، اشتد الشوق وسالت الدموع من الحاجر ، وقد تنزهت فيه ونشقت طيب هوائه ، ورشفت من عذب مائه ، وهو على مسافة ساعة من المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وفيه بئر عثمان بن عفان - رومة - وبئر عروة بن الزبير رضي الله عنهما . وقد كانت لنا أيام زرت المدينة قبل الحرب العامة بسنة قيلات كثيرة على بئر عروة المشهورة بخفة ماؤها والتي كان يرسل بمائها إلى هارون الرشيد . قال الزبير بن بكار : رأيت أبي يأمر به فيغلى ثم يجمله في القوارير ويهديه إلى الرشيد وهو بالرقعة

هذا - وقد كنت أشعر عند بئر عثمان من انشراح الصدر ، وانفساح الفكر ، ما لا أشعر به في مكان آخر ، حتى اني أردت مقابلة أعيان المدينة المنورة الكرام على حفاوتهم بي ، والمكالم التي أظروها ، والمآدب التي اتخذوها ، فدعوت منهم خمسين أو ستين شخصاً إلى مأدبة اخترت لها بئر عثمان التي قال فيها النبي ﷺ « نعم القلب قليب الزني » وهي البئر التي كانت تسمى من قبل : بئر رومة (بضم فسكون) كانت لرجل غفاري يقال ان اسمه رومة ، فلما أعجبت رسول الله ﷺ اشتراها عثمان بخمسة وثلاثين الف درهم ، وتصدق بها على المسلمين . وقال

مصعب بن الزبير يذكر بئر رومة ويتشوقها وهو بالعراق :

أقول لثابت - والعين تهمي - دموعاً ما أنها انحدارا

أعرني نظرة بقري دجيل      تحايلها ظلما او نهارا  
فقال اري برومة أو بسُلع      منازلنا معطلة قفارا

ولم تكن جميع المنازل وقتئذ بالعقيق معطلة قفارا ، بل كانت تلك الديار عامرة ، وكانت حولها الجنان ناضرة ، ولا تزال آثار العمارة هناك ظاهرة ، ومنها آثار قصر عروة بن الزبير وقصر سعيد بن العاص وغيرها ، واذا زخر عمران يثرب يوما من الايام فلا بد من أن تتصل المنازل من البلدة الى العقيق <sup>١</sup>

### سُلع المدينة المنورة

واما سُلع - بفتح أوله وسكون ثانيه - فهو جبل على طرف المدينة المنورة إلى الشمال الغربي بيضي الشكل شامخ مشرف على جميع البلدة تعلو ذروته عنها نحو ثلاثمائة متر فلو حفل عمران المدينة وعادت اليها السكة الحديدية متصلة بالشام كما لا بد أن يكون ذلك ان شاء الله وجعلت إلى ذروة هذا الجبل مرقاة funiculaire كما ترى في سويسرة للجبال العالية القريبة من العمران التي يتوقلون اليها بالسكك الراقية لكان في رأس سُلع متنزه يعز نظيره في الدنيا ولا يمل الناس الاختلاف اليه . ومعنى لفظة - سُلع بالفتح وقد يكسر - الشق في الجبل قال ياقوت : قال ابو زباد : « الأَسْلَاح طرُق في الجبال يسمى الواحد منها سلعا ، وهو أن يصعد الانسان في الشعب وهو بين الجبلين يبلغ أعلى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر يفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه ( سند فيه رقى فيه ، والسند ما قابلك من الجبل وما علا عن السفح ، وفي وطني من جبل لبنان مكان يصعد فيه الانسان من عين عنوب الى عيناب يقال له سند عيناب ) ثم ينحدر حينئذ في الوادي

« ١ » في احاديث اشراط الساعة وما يحدث قبها ما يدل على ان منها عمران المدينة وان النبي ﷺ قال « تبلغ المساكن إهاب اريهاب » رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة وان بعض رواته قال ان إهاب على بعد عدة اميال من المدينة

## رابع مهل حجاج الشمال وسهولة مينائها وبرها ٢٦٥

الآخر حتى يخرج من الجبل مسجداً في فضاء الارض فذاك الراس الذي أشرف من الواديين السلع ولا يعلوه الا راجل « اه

(قلت) في سلع المدينة ذروة تناوحتها ذروة أخرى وبينهما منحدر خفيف من الارض وكان الاتراك قد جعلوا هناك نقطة عسكرية ومدافع ولعلها ناقية الى اليوم ولقد علوت هذا الجبل راجلا في جماعة من الاحباب بدعوة قائد المدينة قبل الحرب العامة (بصري باشا) الذي دعانا إلى شرب الشاي هناك ، ولكن سيأتي يوم تعمرفيه مدينة الرسول عمرانا حميلا ويصعد الناس إلى سلع بالمرقاة ان شاء الله. قل صفي الدين الحلبي :  
ان جئت سلما فسل عن جيرة العلم واقرا السلام على عرب بندي سلم  
والشعر في ساع كثير .

### ينع ورابع وبيشة

ومن الاماكن الحجازية الملائى بالمستقبل - كما يقول الافرنج « ينع » قل ابن دريد « أخذ اسمها من الفعل المصارع اكثره ينايبها » وهي عن يمين جبل رضوى لمن كان متحدراً من المدينة المنورة إلى البحر على ليلة من رضوى وعلى سبع مراحل من المدينة

قال ياقوت « قال الشريف ابن سلمة بن عياش الينبعي : عدت بها مائة وسبعين عينا » وقال عرام بن الاصمغ السلمي « وهي لبني حسن بن علي وكان يسكنها الانصار وجهينة وليث وفيها عيون عذاب غزيرة وواديها بليل ، وبها منبر وهي قرية غناء »

ومنها رابع وهي بلدة على واد من دون الجحفة يقطعه الحاج من دون «عزور» (بفتح فسكون) قال الخازمي : يظن رابع واد من الجحفة له ذكر في المغازي وفي أيام العرب ، ومعنى الرابع العيش الناعم ، وكذلك الرابع الذي يقيم على أمر ممكن له ، وحجاج الشام يحرمون من رابع<sup>١</sup> وإذا كانوا في السفين في البحر الاحمر

« ١ » وكذا سائر من يحيى من الشمال وشرقيه وغربيه فيهر منبرها برا وبحرا ولو عمرت ميناء رابع لكانت اولى بنزول هؤلاء الحجاج منها لان بحرها خير من بحر جدة وبرها خير من برها الكثرة المياه والشجر فيه وان كان ابعد عن مكة

وعلموا انهم صاروا بحذاء رابع أحرموا ولبوا ، ووادي رابع من أخصب أودية الجزيرة يجعل الاهالي هناك له سداً مؤقتاً من طين يجددونه كل سنة ويزرعون عليه ، ولو اتدبت شركة اسلامية وأخذت من حكومة الحجاز امتيازاً ببناء سد من حجر يتكون وراهه خزان مياه ذو مفاجر تسد وتفتح بحسب الحاجة . لكانت عملية من أرباح العمليات الاقتصادية لان الزراعة وأصحاب الاراضي يتمنون أن يؤدوا شيئاً معلوماً لأصحاب الخزانات بشرط أن يأمنوا على قضية ري أراضيهم . ومن مزايا رابع ان ميناءها آمن ميناء في الحجاز . إذ من المعلوم ان مرافيء بحر الحجاز كلها مخوفة لا تقدر السفن أن ترفأ اليها الا بدلالة بحرية من أهل الحجاز يتخللون البحر امامها . وأما رابع فقد عافاها الله من هذه العلة

ومن المواضع الزراعية ذات البال في الحجاز بيشة التي إلى الجنوب من الحجاز نحو اليمن . قال ياقوت « اسم قرية غناء في واد كثير الامل من بلاد اليمن . وعن أبي زياد : خير ديار بني سلول بيشة . وهو واد يصب سيله من الحجاز حجاز الطائف ثم ينصب في نجد حتى ينتهي في بلاد عقيل . وفي بيشة بطون من الناس كثيرة في خشم وهلال وسؤاة بن عامر بن صعصعة وعقيل والضباب وقريش وهم بنو هاشم لهم المعمل » ثم قال ياقوت « وبيشة من عمل مكة مما يلي اليمن على خمس مراحل وبها من النخل والفسيل شيء كثير ، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الاسد » قال السهري :

وأنبثت ليلى بالفرين سلمت علي ودوني طخفة ورجامها

فان التي أهدت علي نأي دارها سلاما لمردود عليها سلامها

عديد الحصى والائل من بطن بيشة وطفائها مادام فيها حمامها

قلت طخفة جبل ورجام جبل أيضاً ، وأما المعمل الذي أشار اليه ياقوت فهو

ملك نبي هاشم في بيشة . والاصل في تسميته « المعمل » هو هذه القصة :

كان في بيشة سلول وخشم يتنازعون : يحفر السلوليون فيضمون الفسيل فيجبيء

الخشميون فينتزعونه ولا يزال بينهم اقتال على ذلك ، وسمي المكان الذي كانوا



يتنازعون فيه مطلوباً . فتخوف العجير السلوي من وقوع شر أعظم فأخذ من طين هذا المحل ومائه ولحق بهشام بن عبد الملك الأموي ووصف له صفته وأتاه بالماء والطين وأخبره بما في بيشة من الأودية وما فيها من الفسيل وقال له إن من الممكن هناك غرس عشرة آلاف فسيلة في يوم واحد ، فأرسل الخليفة هشام من الشام إلى أمير مكة أن يشتري مائة زنجي ويجعل مع كل زنجي امرأته ثم يحملهم حتى يضمهم بمطوب وينقل اليهم الفسيل حتى يفرسوه ، ففعل أمير مكة ما أمره به الخليفة ، فلما رأى الناس ذلك قالوا إن مطلوباً معمل يعمل فيه ، فذهب اسمه « المعمل » إلى اليوم وقال العجير السلوي :

لانوم للمعين إلا وهي ساهرة      حتى أصيب بغيظ أهل مطوب  
أو تفضبون فقد بدلت أيكتمكم      ذرق الدجاج وتجفاف اليعاقب  
قد كنت أخبرتم أن سوف يملكها      بنو أمية وعداً غير مكذوب

قلت اليعاقب جمع يعقوب ، وهو الذكور من الحجل والقطا . وتجفجف اليعقوب انتفش وتحرك وألقى جناحيه على البيضة . يريد أن يقول لسلول وخشم ما زلت تتنازعون حتى اضطررتموني أن ألبأ إلى الخليفة الأموي وأدعوه أن يملك المحل ، ويحرمه الفريقين ، فبدلتم بالجنان والمغارس ذرق الدجاج وتجفجف القطا ولم أشاهد ينبع النخل ولا رابع ولا بيشة وإنما شافهت كثيراً ممن شاهدوها وكان أكثر من ذكر لي خصب بيشة وخيراتنا الكاتب النمساوي ليوبولد وايس الذي أسلم وتسمى محمد اسد الله . فقد حدثني عنها إن فيها من قابلية الزراعة ما تكفي فيه ميرة مكة وجوارها طول السنة لو كان العمل قائماً فيها كما يجب . وأما النخيل فكثرت تدهش العقل ، وقد سمعت اسد الله يذكر مثل هذا الجلالة الملك ابن سعود في مجلسه الملوحي بمكة

وهذه بعض أمثلة اجتزىء بها عن الاستقصاء ، فأقول :

## الطريقة المثلى لعمران الحجاز الاقتصادي

ان الحجاز فيه بقاع زراعية هي في الدرجة القصوى من الخصب والزكاء ، ولكن ينبغي لها المال والعلم فلا بد من بناء السدود كما كانت من القديم ، ومن حفر الآبار الارتوازية لاستنباط المياه ، ومن الاعتماد في السواني على الآلات الرافعة البخارية (المواتر) وهناك طريقة رأيتها في الصيف الماضي في جزيرة ميورقة وهي الدواليب الهوائية تدور بهبوب الريح فترفع الماء ويتصبب إلى الصهاريج ، ولا يتكلف عليها صاحبها زيتاً ولا فخماً

فإذا وجد الماء وجد من الخصب والخير والمير في الحجاز مالا يوجد في قطر آخر . وأما المال اللازم للمشروعات الزراعية المذكورة فله طريقتان ( احدهما ) ان تنظم الميزانية المالية لحكومة الحجاز تنظيماً حسناً ويفرز منها جانب واف لمصلحة الزراعة ، فتأخذ هذه كل سنة بمشروع وتقوم بإنشائه من مال الخزانة ثم تستوفي ذلك من الاهالي المنتفعين على أقساط معلومة مؤجلة إلى عدة سنوات بحسب جسامه المشروع

( والثانية ) أن تتقدم لهذه الاعمال شركات اسلامية بحتة من حجازيين ونجديين ومصريين وشاميين وهنود واندونيسيين وغيرهم وتعطيها حكومة الحجاز بها امتيازات الى آجال معينة ، وهذه الشركات هي التي تبني السدود وتستوفي على الري شيئاً معلوماً من الزراع ، او تحفر الآبار الارتوازية وتأخذ بدل العمل مع الربح الذي يكون وقع عليه الشرط أو تقدم المواتر لاصحاب السواني وتأخذ منها منجماً على عدة سنوات وما أشبه ذلك ( ١ )

١٥ وفي أخبار أم القرى ان الحكومة السعودية اتدبت أحد كبار مهندسي الامريكان لاختبار الارض وأماكن وجود المياه فيها . وانه وجد مياه غزيرة قرب وادي فاطمة من جهة جدة ، وستحفر هناك الآبار الارتوازية لاستخراجها وسقي الارض بها

\*  
\* \*

ويوجد عدا الزراعة منبع عظيم الرزق في الحجاز بل في كل جزيرة العرب هو المعادن . فان غنى الجزيرة بالمعادن موصوف معروف عند جميع الامم من قديم الدهر حتى ان المؤرخين أجمعوا على ان حصاره هذه الجزيرة الباهرة في الحقب القديمة انما قامت بامر من ( أحدهما ) نقل متاجر الهند والشرق الاقصى إلى العرب بموقع العرب بين الاثنتين ( والثاني ) ثروة المعادن التي تكنها أرض الجزيرة

فبينبغي الآن وقد مضى وقت الفتوحات وصرنا لا نطمح إلا إلى حفظ الموجود بيدنا، أن نأرز إلى الجزيرة التي هي مهد العرب المنتشرين في أقطار المعمور جميعاً ونجعلها الكهف المانع ، والاصل الجامع ، ونستخرج كل ما فيها من عيون الحياة الكامنة، حتى تصون نفسها، وتنجد أخواتها التي ابسطت عليهن أيدي الاستيلاء الاجني، وأصبحن لا يمانكن لانفسهن أمراً، فنزح عنهن هذا الرق الذي يرسفن في قيوده، وتم بذلك الجامعة العربية التي هي نكتة الحيا ، ونشيدة آمالنا في هذه الدنيا . ويجب ان لا ننسى ان هذا الامر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله . فقد كانت معادن الجزيرة في القديم من أغزر منابع ثروتها وعزها وارتقائها وهي لا تزال هي هي لا يتقصها إلا الارادة والعمل

ولقد يقال ان استثمار المعادن ليس بامر سهل وانه ان انشبت الشركات الاوربية مخالبها في هذه المعادن جنينا منها السيطرة الاجنبية ، والذل ، والندامة ، فالأفضل ان نكون فقراء أحراراً ولا نكون أغنياء أرقاء ... ولن نكون أرقاء وأغنياء أبدأ، لان الثروة لا تجتمع مع فقد الاستقلال . وهاؤم أهل المغرب والجزائر وتونس عندهم من معادن الفوسفات وغيرها ما يقوم بالمليارات و ايس بايديهم منه شيء حتى كأن ذلك ليس في أرضهم

كل هذا التعليل صحيح لا اعتراض عليه . وأحسن لنا ان نبقي فقراء مستقلين من ان يبتاعنا الاستعمار الاجني بواسطة معادن نرجو في استثمارها اليسر، فبئول بنا الامر إلى الخسر . ولكن هذا التعليل لا يحل المشكل ، ولا يجوز لامة عاقلة رشيدة أبية تبغي الحياة مثلنا ان تعمل في قضيه ذات بال كهذه على حل سلمي

## ٢٣٠ . وجوب تأليف شركات اسلامية لاستخراج معادن الحجاز

صرف، نظن أننا قد أجبنا به ضماثرنا الناشزة، وسكنا به خواطرنا الثائرة، على حين انه الحل الذي يليق بالامم التي استوى عندها الماء والخشبة والتي لا تريد ان تعمل شيئاً ، بل تنظر قضاء الاستيلاء الاجنبي ان ينفذ فيها

أقول في تعليل ذلك ( أولاً ) ان الذين يقترحون استثمار هذه المعادن الثمينة لا يشيرون باعطاء أقل شيء منها لشركة أجنبية او لشركة مؤلفة من مسلمين هم تمنع لدولة أجنبية غير مسلمة ، بل يشيرون باعطاء الامتيازات لاستثمارها إلى شركات اسلامية مرجعها حكومات اسلامية ، ومما لا نزاع فيه ان الشركات التجارية في بلاد الاسلام قليلة وان رؤوس الاموال قليلة أيضاً

فالمسلمون لم يتعودوا أسلوب الشركات في التجارة فضلاً عن ان ثروتهم العامة لا تساعد على تأليف هذه الشركات . الا ان المبالغة في كل شيء مذمومة فلا يجوز ان نظن ان تأليف الشركات عند المسلمين مستحيل ولا ان المال معدوم تماماً بين أيديهم ، فكل هذين الافتراضين مخالف للمحسوس

وفي بلاد الاسلام شركات اقتصادية كثيرة ، ومن المسلمين عدد غفير من ذوي الثروة ، وعدد غفير من ذوي المهارة في الامور الاقتصادية واذا جربت حكومتا الحجاز واليمن استثمار المعادن التي في هذين القطرين على أيدي متمولين من المسلمين فلا يبدأ هؤلاء بالرح ولا يتحقق المسلمون ان هذه المشروعات ذات عوائد أكيدة حتى يقبلوا على المساهمة من كل صوب وتجد من رؤوس الاموال عند المسلمين مالا يخطر لك على بال . وذلك لان الرخ جلاب وحيث تحقق وجود الفائدة وجد المال بلا اشكال

اذن يمكننا ان نستثمر معادن جزيرة العرب برؤوس أموال أصحابها مسلمون بل أصحابها مسلمون لاتبلي بلدانهم دول غير مسلمة (١) وليس بضرية لازب ان

«١» إن تجار العرب في بمبي «الهند» وأكثرهم من نجد والكويت قد ألفوا شركة بواخر تمخر بين الهند وشط العرب زاحوا بها الشركات الانكليزية فزحواها . ثم كانت الحرب العامة سبب استيلاء الانكليز عليها بصفة قانونية

نستثمر هذه المناجم كلها دفعة واحدة ، بل يمكننا أن نستخرج خيراتها تدريجاً-  
ولكن الذي لايجوز أصلاً هو ان نضاً والماء فوق ظهورنا ، او أن نشكو مزيد  
الفقر والماء تحت رحالنا

( ثانياً ) ان الظن الذي يظنه بعضنا ان السروح باستخراج هذه المناجم يفتح  
أعين الاوربيين على الجزيرة لاسيما اذا رأوا الخيرات تدر منها وانهم قد يشنون  
الغارات على البلاد لاجل حيازة هذه المعادن هو ظن لعمرى بغير محله

فان الافرنج يعرفون مواقع هذه المعادن- ويعلمون ما فيها إن لم يكن تفصيلاً  
فاجملاً . وعندهم علم آخر من طبقات الارض يجعلهم عارفين بما يحتوي من المعدن  
والفلز كل نوع من هذه الطبقات ، فان كانوا لم يشنوا الغارات إلى اليوم على  
الجزيرة فليس لجهلهم بما في بعضها من الدنوز والخيرات ، بل لان الامور  
صرهونة باوقاتها ، والاستيلاء على جزيرة العرب او على بعض أقسام من جزيرة  
العرب ليس بالامر السهل ، بل دونه عقبات من وعورة الجبال ، وحرارة الرمال ،  
وتجاعة الرجال ، فضلاً عما بين الدول من التنافس الذي يحمل بعضهم على الوقوف  
بالمرصاد لبعض مما يخشى منه وقوع الحرب بينهم . وعلى كل حال فان جزيرة إلى  
الآن سالمة من استيلاء الاجنبي إلا بعض أطراف لابل لها

فليس من الحكمة ولا من الحزم أن نضيع على أنفسنا ثروة نحن في أتد  
الاحتياج اليها تحت ملاحظات ليست صحيحة وأسباب غير واردة  
ومما يدلنا على كون هذه المعادن معروفة عند الافرنج رسالة بالالمانية أطلعني  
عليها مؤخرآ مؤلفها المستشرق الالماني الشهير الاستاذ موريتز واسمها « المعادن  
في العربية القديمة » die bergwerke in alten arabien

جاء فيها ماملخصه :

يظن الناس إجمالاً ان جزيرة العرب هي من افقر بلاد الدنيا ، وحقيقة-

الحال انها ليست كذلك ، بل إذا نظرنا إلى ما كانت عليه في القرون الوسطى نجدها كانت ذات ثروة تضرب بها الامثال و كانت تلك الثروة آتية من منبعين ( أحدهما ) كون الجزيرة طريق التجارة بين الشرق والبحر المتوسط ( والثاني ) وفرة المعادن التي كانت فيها ، وأخصها الذهب ، فقد كانت هذه المعادن في أواسط عهد الالف سنة قبل المسيح معروفة عند العبرانيين والفينيقيين والاشوريين . وقد كان سليمان بن داود أرسل بعثة على حسابه إلى البحر الاحمر ، وعادت بغنائم تدهش العقل

وذكر سترابون ( جغرافي يوناني مات في زمان طيماريوس قيصر ) وديودور ( مؤرخ يوناني يقال له ديودور الصقلي صاحب تاريخ عظيم ، وكان معاصرا لآغسطس قيصر ) انهما في بلاد العرب كان فيها التبر وقد كانت جزيرة العرب قبل الاسلام وقبل دخولها في الفتوحات النائية ذات ثروة عظيمة بالزراعة والمعادن ، وكانت مكة أشبه بمركز حكومة جمهورية ذي مراكز تجارية عظيمة ذات علاقات مع الآفاق ، وكانت الاخذ والعطاء جاريتين بقوة بينهما وبين سائر البلدان ، وكانت فيها صناعة الحلي بالغة درجة الاتقان ، ولا يزال صاغة مكة ، وصنعااء اليمن ، وعنيزة نجد ، الى يومنا هذا مشهورين باتقان الصنعة

### أماكن معدن الذهب في جزيرة العرب

فأما الاقاليم التي فيها معادن الذهب من جزيرة العرب فمنها الاقاليم الغربية والذهب يوجد فيها باسناد الجبال الواقعة بين الداخل والساحل أي أسناد الجبال المتدلية إلى التهامم . وكذلك توجد معادن ذهب في أواسط الجزيرة في الاماكن المجهولة الضاربة إلى الجنوب والشرق . وهذه الجوانب التي تتكون من حجر الغرانيت مع كثير من الرخام السماقي ، وهذه الحرات التي في الجنوب

## اماكن معدن الذهب من جزيرة العرب

والتي تمتد إلى مكة وإلى غربها لا شك انها تولدت تحت تأثير التحولات الجيولوجية التي أدت إلى هذه القفار المحرقة وهذه اليبوسة في الجزيرة ، وان شكل الغرانيت الصواني هذا يظهر في وسط البلاد وتمتد آثاره إلى جهة الشرق أي في جبال نجد . واطرافه الجنوبية تظهر في شمالي اليمن إلى أن تحاذي صنعاء من الشمال . واما الجنوب الغربي من الجزيرة والجنوب كله فتشكلاهما الجيولوجية مختلفة عن الأولى ، والذهب انما يوجد في الجهات التي فيها الصوان او الغرانيت وهي ما يأتي :

(أولاً) في الشمال الغربي من الجزيرة بأرض مدين القديمة

(ثانياً) في أرض الحجاز الضاربة إلى الجنوب

(ثالثاً) في الشرق من الجزيرة نحو نجد

(رابعاً) في الجنوب الشرقي إلى جهة اليمامة

(خامساً) في الجنوب الحض بأرض عسير إلى الشمال من اليمامة

فمدين هي البلاد الواقعة بين البحر الأحمر وقم الجمال المحاذية للبحر الممتدة

من نحو العقبة في الشمال إلى وادي الحض في الجنوب وهي اليوم تابعة للحجاز .

وهناك مراكز على ساحل البحر منها ( ظبا ، والمويلح ، والوجه )

وفي بلاد مدين معادن مفتوحة من قديم الدهر ، وآثار الشغل في المعدن

واضحة جداً . ومعدن مدين هو المعدن الوحيد الذي توصل الاوربيون إلى

معرفة جيداً من معادن جزيرة العرب ، فان الكابتن برتون Burton الرحالة

الانكليزي قد كان ذهب على رأس بعثة أولى وثانية سنة ١٨٧٧ من قبل اسماعيل

باشا خديوي مصر - الذي كانت مدين إذ ذاك تحت إدارته . ولكن لم يستصحبوا

معهم في تلك البعثات علماء متخصصين في فن المعدن ، ومع هذا فقد أمكنهم أن

محققوا وجود التعدين القديم في نقاط عدة ، وجاءوا بحجارة مأخوذة كيفما اتفق

— الارتسامات

من على سطح الارض . ووجدوا ٤٨ غراما من الذهب في الطن الواحد ، ووجدوا فضة ونحاساً وحديداً ، ولكن النتائج لم تكن بحسب المأمول منها لعدم اعتمادهم في التعدين على أرباب الفن ذوي الاختصاص . ثم ان اسماعيل باشا بلغه ظهور معادن ذهب في السودان ، فانصرف عن معادن مدين اليها . ولم تلبث أن استرجعت الدولة العثمانية مدين إلى إدارتها ، فبطلت كل حركة بحث في مدين<sup>(١)</sup> وفي جنوبي مدين معدن يقال له « الحراضة »<sup>(٢)</sup> ثم إلى الجنوب منه معدن غير الذي ذكره الجغرافي العربي المقدسي وقال انه بين ينبع النخل ومروة . وهذا المعدن المجهول لم يزل بكر ، وأصحابه قبائل صغيرة لا يمكن الاوروبي أن يجول في أرضهم وأما المعادن المهمة في الجزيرة فهي التي في الحجاز واليمن ، وبكثرة فيها الذهب والفضة ، وفيها قليل من النحاس ، وفيها الحديد . ففي جنوبي الحجاز معادن

(١) بعد أن احتل الانكليز مصر بادرت الدولة إلى استرجاع سواحل العقبة والوجه وما يليها من يد الحكومة المصرية حتى لا تجعل الانكليز يداً في الحجاز . ولو لم تعمل الدولة ذلك لكان شطر من الحجاز الآن تحت سيطرة انكلترة ، وبرغم هذا فقد أذاق الانكليز بعد ذلك السلطان عبد الحميد عرق القربة من أجل العقبة وما رجعوا حتى الحقوا « طابة » بمصر لتكون العقبة تحت طائلة قوتهم ثم لما زالت الدولة العثمانية بعد الحرب العامة لم يزالوا حتى ألحقوا العقبة بشرقى الاردن بموافقة الملك على بن الحسين الذي كان سمي ملك الحجاز حينئذ لآخيه الامير عبدالله أمير هذه الجهة ، ويقال بموافقة غيره من أمراء الحجاز . وقد احتج على ذلك المأمور الاسلامي الذي انعقد في مكة منذ خمس سنوات ولم يعترف الملك ابن سعود باعتداء انكلترة هذا على العقبة وممان اللتين كانتا تابعتين للحجاز مع كل مرادتها له على هذا الامر ومع استظهارها باعتراف الملك على

(٢) في معجم البلدان ذو حرض - على وزن عنق - وادي لبني عبدالله بن غديان على مقربة من معدن النقرة ولم يقل شيئاً عن هذا المعدن . واقد جاء ذلك التعريف في تاج العروس وأما الحراضة - بضم أوله - فقد قالوا انه ماء بالمدينة سنة ١٠٠٠ من هوامش



كثيرة شهيرة ، وكانوا في زمن النبي ﷺ يستخرجون منها بمجرد رفع الحجارة  
ومما لاشك فيه ان الاستخراج منها وقع بعد المسيح بستائة سنة وكان حينئذ  
ومن معادن الحجاز معدن «بحران»<sup>(١)</sup> بالضم أو بالفتح - على الطريق السلطاني  
من مكة الى المدينة .

ومنها معدن القبلية<sup>(٢)</sup> في جبل قدس ( بالضم ) حيث بويع الرسول ﷺ  
وكان معدنا عظيم الغلة ، وكانت ثروة الخليفة أبي بكر<sup>(٣)</sup> من هذا المعدن ومن

(١) جاء في معجم البلدان: بحران بالضم موضع بناحية الفرع . قال ابن اسحاق  
هو معدن بالحجاز في ناحية الفرع وذلك المعدن للحجاج بن علاط الهزلي ، قال ابن  
اسحاق في سيرة عبدالله بن جحش - بفتح الباء - فسلك على طريق الحجاز حتى إذا  
كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران: أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان  
يميراً لهما كانا ينتقبانه ، كذا قيده ابن الفرات بفتح الباء ههنا وقد قيده في مواضع  
بضمها وذكره المراني والزنجشيري وضبطاه بالفتح (٢) القبلية ( بالتحريك ) من  
نواحي الفرع ( بالضم ) سراة ما بين المدينة وينبع . ما سال منها الى ينبع سمي بالغور  
وما سال منها الى اودية المدينة سمي بالقبلية ، وأقطع رسول الله ﷺ هذه القطيعة  
بلال بن الحارث المزني وكتب له « هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث  
اعطاء معادن انقبالية غورها وجلسبها « غشية » و « ذات النصب » وحيث صلح  
الزرع من « قدس » وكتب معاوية « (٣) جاء في طبقات ابن سعد: كان ابو بكر  
مروفاً بالتجارة ، ولقد بعث النبي ﷺ وعنده اربعمائة الف درهم فكان يمتق منها ويقوي  
المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم فكان يفعل فيها ما كان يفعل في مكة . انتهى

واما من جهة ما كان يعود عليه من المعادن فجاء فيها ما يلي :

. كان قدم عليه مال من معدن القبلية ومن معادن جهينة كثير وانفتح معدن  
بي سليم في خلافة ابي بكر فقدم عليه منه بصدقته فكان يوضع ذلك في بيت المال .  
. كان ابو بكر يقسمه على الناس نقرأ نقرأ - بضم النون وفتح القاف - فيصيب كل مائة  
ان ان كذا وكذا وكان يسوي بين الناس في القسم الحر والعبد والذكر والانثى  
والصغير والكبير له كله من حوائثي الاصل

معدن آخر في بلاد جهينة وملحوظ أن كل هذه الجبال التي هناك غنية بالمعادن وقد كانت في زمن الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز يؤخذ عليها رسم من مال الصدقة ثم اخذ منها على وجه الخمس وأعظم معدن في جزيرة العرب معدن جبل فاران<sup>(١)</sup> الذي كان لبني سليم<sup>(٢)</sup> وكان فيه ذهب وحديد ،

ولا نعلم انه تأسست نظارة خاصة بمعادن الحجاز في الدولة الاسلامية إلا سنة ١٢٨ للهجرة . وبعد هذا التاريخ بماثني سنة خربت هذه المعادن أو انقطع الاستخراج منها بحسب رواية الاصطخري ، ولم يذكر ياقوت عن استغلالها شيئاً وليس عندنا عن أسباب ترك العمل في هذه المعادن الا افتراضات ، فيجوز أن تكون نفدت مادتها ، ويجوز أن يكون إهمالها جاء من قبل الفتح الاسلامي الذي نشر العرب في الاقطار، فقد كانت مكة قبل الاسلام مركزاً عظيماً للاخذ والعطاء ، ولم يكن ذلك بسبب حركة أهلها وحدهم بل بسبب كونها محط رحال القبائل المجاورة، فقد كانت القافلة الواحدة نحو ألف جمل تتقدمها البوادي وتخفرها وتأخذ ٥٠ بالمائة من الارباح ، وهكذا كان البدو متعلقين بأهل مكة تابعين لهم فلما فتح الاسلام البلدان وتفرق العرب لم تبق مكة كما كانت من قبل مركزاً كبيراً للاخذ والعطاء لكنها بقيت فيها ثروة غير زهيدة

( ١ ) فاران من اسماء مكة المكرمة وقيل هو اسم لجبال مكة وفي التوراة « جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير واستعان من فاران » تفسيره : ان الله كلم موسى عليه السلام من سيناء وانزل الانجيل على عيسى عليه السلام في ساعير اي جبال فلسطين وانزل القرآن على محمد عليه السلام في فاران اي جبل مكة

( ٢ ) جاء في المعجم معدن بنى سليم هو معدن فاران وهو من اعمال المدينة ، على طريق نجد اه من الاصل

وفي القرن الاول من الهجرة كان في الحرمين يسار عظيم، يستدل على ذلك من انه لما قتل الخليفة عثمان وجد وراه من الذهب العين ١٥٠ ألف دينار، يساوي الدينار عشرة ماركات، فإذا ضرب بأربعة ايطابق حساب النقد اليوم بلغ ذلك ما يساوي ٦ ملايين مارك<sup>(١)</sup> وقد كانت تركة أخرى مقدره بخمسة

(١) كان عثمان بن عفان رضي الله عنه تاجراً في الجاهلية والاسلام وهو الذي جهز جيش العسرة - لغزوة تبوك - من ماله، وترك يوم قتل مائة وخمسين ألف دينار وثلاثين ألف درهم وخمسين ألف درهم وترك ألف بعير بالربذة وترك صدقات كان تصدق بها في براديس وخيبر ووادي القرى قيمتها مائتي ألف دينار. فانت ترى أن تركة عثمان كانت أعظم مما قال الاستاذ مورتيز الالماني

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه موسراً أيضاً باع أرضاً من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك في فقراء بني زهرة أقاربه وفي ذوي الحاجة من الناس، ولما مات ترك ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع في المدينة، وكان يزرع بالحرف على عشر بن ناضحاً، وقيل انه ترك ذهباً قطع بالفؤوس حتى سجات ايدي الرجال منه، وكان له نسوة اربع فخرجت كل واحدة ثمانين ألف درهم وكان سعد بن ابى وقاص رضي الله عنه غنياً ترك يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم

ولكن الثروة العظمى كانت للزبير بن العوام رضي الله عنه، جاء في طبقات ابن سعد: انه بلغ ماله قيمة خمسة وثلاثين ألف ألف ومائتي ألف درهم أي ٣٥ مليوناً و٢٠٠ ألف، وترك اربع نسوة فأصاب كلا منهن مليون ومائة ألف. وحدث ابنه عبد الله بن الزبير انه دعاه يوم الجمل وقال له اني سأقتل اليوم مظلوماً يا بني، مع مالنا واقض ديني واوص بالثلث فان فضل من مالنا من بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك، قال عبد الله بن الزبير فجعل يوصي بدينه ويقول يا بني إن عجزت عن شيء فاستعن عايبه مولاي، قال فوالله مادريت ماأراد حتى قلت ياأبت من مولاك؟ قال الله، قال فوالله ماوقعت في كربة من دينه إلا قلت يا مولى الزبير، اقض عنه دينه، فيقضيه، وقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهماً، الأرضين فيها الغابة، واحدى عشرة دار بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر =

ألف دينار أي ٢٠ مليون مارك ، ولكن عند ما ارتفع لواء الاسلام في الآفاق

= واما دينه فكان مليونين ومائتي الف درهم، وكان سبب هذه الديون ان الرجل كان يأتيه بالمال ليستودعه اياه، فيقول الزبير لا، ولكن هو سلف أبي اختي عليه الضيعة وكان الزبير اشترى الغابة بمائة وسبعين ألف درهم فباعها عبد الله بن الزبير بمليون وستمائة الف، ثم قام فقال من كان له على الزبير شيء فليوافقنا بالعامة فوافقاه اصحاب الديون واستوفوا حقوقهم، وقال بنو الزبير لعبد الله اقسم لنا ميراثنا، قال لا والله لا اقسم بينكم حتي انا دى في الموسم اربع سنين : ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلننقضينه. فجعل كل سنة يتادى بالموسم، فلما مضت اربع سنين قسم بينهم قالوا كان للزبير بمصر خطط وباسكندرية خطط وبالكوفة خطط وبالبصرة دور وكانت له غلات كثيرة تقدم عليه الى المدينة

واما طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فقد ترك يوم قتل في واقعة الجمل تركه عظيمة، جاء في الطبقات قتل طلحة بن عبيد الله - رحمه الله - وفي يدخازنه الف الف درهم ومائتا الف درهم وقومت اصوله وعقاره ثلاثين الف الف درهم، وحدث عمرو بن العاص قال ان طلحة بن عبيد الله ترك مائة بهار في كل بهار ثلاث قناطير ذهب ، وسمعت ان البهار جلد ثور «١» وقال ابراهيم بن محمد بن طلحة ، كان قبعة ما ترك طلحة بن عبيد الله من العقار والاموال وما ترك من الناض ( المال الصامت العين في اصطلاح اهل الحجاز ) ثلاثين الف الف درهم ترك من العين الف الف ومائتي الف درهم ومائتي الف دينار والباقي عروض، وسأل معاوية موسى بن طلحة كم ترك ابو محمد يرحمه الله من العين ؟ قال ترك الف الف درهم ومائتي الف دينار وكان يغل كل سنة من العراق مائة الف سوى غلاته من السراة وغيرها، وكان يدخل قوت اهله بالمدينة سنهم من مزرعة بقناة كان يزرع على عشرين ناضحاً ، وأول من زرع القمح بقناة هو ، وكان لا يدع احداً من بني تم أقاربه عاتلاً الا كفاه مؤوته ومؤنة عياله وزوج أياهم وأخدم عائلهم وقضى دين غارهم، وكان يرسل الى عائشة كل سنة ١٠ آلاف درهم ، وقضى عن صبيحة التيمي ٣٠ الف درهم، وطاححة هو احد اجواد العرب المشهورين، وأحد الطلحات الاربعة المضروب المثل بكرمهم اهن الاصل

«١» وفي المصباح المنير : والبهار بالضم شيء يوزن به

تأخذ العرب يغادرون الجزيرة لينضووا تحتها ، ولم يبق في الحجاز إلا قبائل  
جادية، كبنى هلال وبنى سليم وحرب - الذين بين مكة والمدينة - فصاروا بخلو  
البلاد من الساكن إلى فقر شديد حملهم على الارتزاق من نهب الحجاج وقطع  
المسوايل، وعاد معول الحجاز كله - بدوا وحضرا - في المعيشة على موسم الحج

\*  
\* \*

وفي نجد معادن أيضا منها المعدن الذي يقال له «الحليت» في «أم الببل»  
أي أم الابل بقرب حمى ضرية<sup>(١)</sup> وهو مشهور بالثبر . وقد تناقص محصوله من  
كثرة ما استخرج منه وترك أخيرا ، ولو أمكنت زيارة تلك الارض لكان  
منها فائدة إذ عندها كتابات منقوشة من قبل الاسلام ربما يعرف منها شيء عن  
استخراج هذا المعدن

ثم في نجد معدن ( المحبحة ) ومعدن ( الهجيرة ) ومعدن ( القصاص ) وهي  
معادن ذهب . والمعمل في ( تربة )<sup>(٢)</sup> وهو معدن ذهب أيضا

(١) قال الاصمعي : حليت - بوزن خريت - معدن وقرية . وقال ياقوت ،  
قال نصر حليت جبال من اخيلة حمى ضرية عظيمة كثيرة الفنان كان فيه معدن  
ذهب ، وهو من ديار بنى كلاب وقال ابو زياد حليت ماء بالحى للضباب وبحليت  
معدن اه وجاء في معجم البلدان ذكر معدن بقرب حمى ضرية غير هذا قال  
ابو عبيدة والخربة ( بالتحريك ) ارض مما يلي ضرية به معدن يقال له معدن خربة  
(٢) جاء في معجم البلدان ذكر « تربة » بضم ففتح - انها واد بالقرب من  
مكة على مسافة يومين منها يصب في بستان ابن عامر يسكنه بنو هلال وحواليه من  
الجبال السراة ويسوم وفر قد ومعدن البرم اه

قال محمد بن احمد الهمداني تربة وزبية وبيشة هذه الاودية الثلاثة ضخام  
مسيرة كل واحد منها عشرون يوما اسافها في نجد واطاها في السراة ثم قال وفي الثلث عرف  
بطني بطن تربة قاله عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ابو براء ، لاعب الاسنة في قصة فيها  
ظول غاب عن قومه فلما عاد الى تربة وهي ارضه التي ولد بها الصق به بطنه بارضا  
فوجد راحة فقال ذلك اه من حواشي الاصل

وأما معادن الفضة فهي اثنان فقط ( أحدهما ) معدن ( ابرق خترب )<sup>(١)</sup> الذي كان غزيراً جداً، ثم من القرن الحادى عشر ( أى الرابع للهجرة ) انقطع خبره . ومعادن النقرة «بالفتح»<sup>(٢)</sup> الذى كان مذكوراً كثيراً الى القرن الثانى عشر وأما الحديد فقد ذكر وجوده الرحالة الالزاسي هوبر Huber الذى ساح في بلاد العرب ولكنه لم يقل عنها شيئاً ، وانما أشار إلى معدن - ديد في تبوك والليمامة غزيرة المعادن . ذكر الجغرافي الهمداني ( ٣٣٤ للهجرة ) معدن الحسن (٣) ومعدن الحفير (٤) والضييب (٥) وثنية ابن عصام والموسجة وتياس ثم يذكر الهمداني بعد ذلك معدني فضة ونحاس في شام (٦) وكان يشتغل فيها ألف رجل يومياً، وإن صح ذلك فيكون تعدين هذه المعادن من أيام الجاهلية وأما معادن الليم وعسير فكانت معروفة من زمان الفينيقيين والعبرانيين وهي «شويلة» و «شيبا» و «أوفير» و «فراويم» والمظنون ان «شويلة» هي «خولان» وان «شيبا» هي سبا . وان فروايم هي فروة . وأما «اوفير» فمذكور في التوراة . ويظن انه في المكان المسمى سينباني

- (١) ضبطها الاستاذ موريتز ، بضم فسكون وهكذا في تاج العروس انه على وزن قنقد ، وقد جاء في معجم البلدان «خترب» اسم موضع لكن بفتح فسكون
- (٢) جاء في القاموس للفيروزابادي: والنقرة ويقال معدن النقرة وقد تكسر قافهما
- (٣) جاء في المعجم: الحسن في ديارضبة. وسنذكر كلام الهمداني نفسه عن هذه الاماكن
- (٤) الحفير كزير جاء ذكره في المعجم وفي التاج - اسما لمدة مواضع أشهرها موضع بين البصرة ومكة يمر عليه الحاج . ولكن المقصود هنا معدن الحفير بناحية عمارة وسنقل كلام الهمداني نفسه
- (٥) ضبطه موريتز بفتح فسكون كزير ولم أجده اسم موضع إلا بضم ففتح كزير
- (٦) سنقل كلام الهمداني عن كل هذه المواضع اه من الاصل

وكثير من المؤلفين العرب لم يكونوا يعرفون من هذه المعادن الا أسماءها ولم يكونوا محققين أما كتبها ، ومن ذلك قول ياقوت : ان معدن البرم ( بضم فسكون ) بين مكة والطائف<sup>١</sup> وفي الوقت نفسه قالوا انه في وادي تربة . كذلك معدن « العثم » الذي جرى ذكره الى القرن العاشر والحادي عشر قد جعلوه في الساحل جنوبي الليث وفي « تثليث » الى جهة الداخل . ويجوز أن يكون المكان الثاني مقصودا به معدن نجران . وعلى ١٨٠ كيلومترا من نجران الى الشمال بالعقيق الأعلى معدن صعاد<sup>٢</sup> الذي بأرض بني عقيل الذي قال فيهم الرسول ﷺ « بأرض بني عقيل يطر الذهب » وقد كان هذا المعدن غزير المحصول الى القرن العاشر فاقطع ذكره . واشتهر معدن ضنكان (٣) شمالي عسير بجودة التبر الذي يخرج منه ، ثم اقطع خبره أيضا . ويجوز أن تتغير الاسماء بمرور الايام فان ناحية « قانونا » صار اسمها في الحديث قنفذة ، وان التي كان يقال لها ليتوس هاما يوم هي « الليث » اليوم

(١) قال في المعجم : معدن البرم قال عرام : قرية بين مكة والطائف يقال لها المعدن ، معدن البرم كثيرة النخل والزروع والمياه مياه آبار يسقون زروعهم بالزرايق . قال أبو الديار : معدن البرم لبني عقيل ، قات وقوله الزرايق معناه السواني ، والزونوقان حائطان مبنيان على رأس البئر من جانبيها فتوضع عليهما النعامة وهي الخشبية المعلقة عليهما ثم يعلق بها البكرة ، قيل واذا كان الزونوقان من خشب فهما النعامتان ، والخشبية المعترضة هي المعجلة والقرب معاق بالمعجلة

(٢) قال الهمداني في « صفة جزيرة العرب » : العقيق عقيفان ، العقيق الأعلى للمتفق ، ومنه معدن صعاد على يوم أو يومين وهو أغزر معدن في جزيرة العرب وهو الذي ذكره النبي ﷺ في قوله « مطرت أرض عقيل ذهابا ، والاسفل هو في طيء » (٣) قال في المعجم : هو واد في أسافل السراة يصب الى البحر وهو من مخاليف اليمن ، اه من حواشي الاصل

وفي صعدة من اليمن معدن الحديد ، وذكر السائح « هاتي » انه شاهد بعينه سنة ١٨٧٢ في خولان وسرواح شمالي صنعاء قطعا من الذهب مع الادلاء الذين كانوا معه من العرب ، وعلمت انهم يجدون هذا الذهب بشكل حبات في الرمل . وفي مجاري الانهر وفي الاودية ، وفي اليمن أيضاً معادن فضه منها معدن (الرحراح) في أرض همدان .

وختم الاستاذ مورتييز رسالته على معادن بلاد العرب بقوله :

« ان جزيرة العرب هي من البلاد التي عرفها انسياح أقل من جميع أقطار الارض وأكثر ما عرفوا منها السواحل وبعض القسم الشمالي . وفي جوف الجزيرة قطعة يعدل طولها بثمانمائة كيلو متر وعرضها بستمائة كيلو متر لا يعرف عنها شيء لامن أي شكل هي ولا إذا كانت صحراء مية او مسكونة ؟ وان عدم الاطلاع على حقائق هذه المجاهل ليس ناشئاً من طبيعة الارض كما هو ناشيء من طبيعة السكان » انتهى ملخصاً .

\* \* \*

## الدين النصيحة!!

فأنت ترى من هذه الرسالة المنشورة سنة ١٩١٢ أي منذ أربع عشرة سنة ان الاوربيين يعرفون ما في جزيرة العرب من المعادن ان لم يكن تفصيلاً فاجملاً ، وانه ليس عدم سماعتهم بثروتها المعدنية هو الذي ثبطهم حتى اليوم عن احتلالها ، بل لذلك أسباب سياسية مرجعها حفظ التوازن الدولي ، وعسكرية مرجعها صعوبة مراس أهلها .

فالاولى بنا أن نفتتح هذه الفرصة ونستغل ما أمكننا من هذه المعادن لتقوي بها جيوشنا ، ونصالح إدارتنا ، ونبث العمارة في بلادنا ، وأن لا نأخذ



هذه الامور بالتسويق والمطاولة حتى يصيبنا ما اصاب تركيا في مطاولاتها  
 باستخراج الكنوز التي كانت تحت يدها إلى أن جاء الاجانب واستولوا عليها ،  
 فقد كانت قادرة أن تستفيد من زيت الموصل من عهد طويل ، فلم تبت في أمره  
 شيئاً ، ولم تزل تماطل إلى أن أضاعت بهذه الماطلة ثروة تقوم بالمليارات الكثيرة  
 من الجنيهات لامن الفرنكات ، وكان عندها البحر الميت فلم تصنع في استخراج  
 ثروته شيئاً ، ولا أبدت ولا أعادت إلى أن جاء الانكليز بعد الحرب العامة  
 فخللوا مياهه وقوموا ما يمكن أن يستخرج منه ، فقالوا انه يمكن أن يستخرج منه  
 قيمة خمسة آلاف مليار جنيهه ، وعشرون الف مليون طن من الفوسفات وهم  
 جرا مما تعبي العقول عن تصوره ، وليس في جزيرة العرب شيء من الخيرات التي  
 تقوم بهذه المليارات من الجنيهات ولكنه بدون شك فيها كثير من المعادن التي  
 يمكن كلاً من حكومة الحجاز ونجد السعودية وحكومة اليمن الامامية أن ترتفق  
 به وتستعين به على اصلاح بلادها وتعزيز اجنادها ، وذلك على شرط أن لا تلجأ  
 في هذا الموضوع إلا إلى رؤوس اموال اصحابها مسلمون ليسوا من تبعه الاجانب  
 وهذا ممكن إذا ارادته هاتان الحكومتان وبدأتا بفحص في عن هذه الاماكن  
 حتى تعلمتا ماتحت ارجلهما قبل مباشرة العمل

\*

\* \*

### ﴿ كلام الهمداني في معادن جزيرة العرب ﴾

ولنذكر الآن مقاله الهمداني في كتابه المنقطع النظر « صفة جزيرة العرب »

المطبوع في « ليدن » من سبع وأربعين سنة وذلك عن معادن الجزيرة

« معادن اليمامة وديار ربيعة التي توطنتها اليوم عقيل بن كعب : معدن الحسن والحسن قرن أسود مأيح وهو معدن ذهب غزير ، ومعدن الضبيب عن يسار هضب القليب ، ومعدن الثنية ثنية ابن عصام الباهلي معدن ذهب ، ومعدن العوسجة (١) من أرض غني فويق الغيرا ببطن السرداح ، والغيرا الماء الذي يقال انه رمي عليه شاس بن زهير بن ثعلبة بن الاعرج الغنوي ، ويقال الغيرا قرن يقال له الوتدة في بطن الوادي ، ومعدنا شام الفضة وانصر ، ومعدن تياس ذهب مخف بتياس (٢) ومعدن العقيق (٣) معدن العقيق بين العمق وبين اقيمية ومعدن بيشة (٤) ومعدن الحجيرة (٥) ومعدن بني سليم (٦) فهذه معدن نجد » ثم ذكر الهمداني الاملاح وهي مما يجب أن يحال تحليلاً فنياً ليعرف ماذا يحتوي وما يمكن أن يستخرج منه من الاجزاء التي قد تقوم بالذهب كما جرى بالبحر الميت . قال الهمداني :

«الدبيل أملاح من أوله الى آخره . الحذيقة والرابعة وصيب والهوة ومياه الشرية ، وفيها يقول الحارث بن ظالم :

فلو طاواعت عمرك كنت منهم      وما ألفيت أنتجع السحابا  
ولا ضفت الشرية كل عام      أجد على أباثرها الذبابا  
أباثر ملححة بحزير سوء      تبيت سقاتها صردى سغابا

- (١) ورد ذكر العوسجة في المعجم انه معدن فضة ببلاد باهلة  
(٢) ورد ذكر تياس في المعجم ولم يذكر معدناً بل قال انه جبل بقرب اليمامة  
(٣) عقيق عارض اليمامة ذكره ياقوت  
(٤) تقدم ذكر بيشة  
(٥) لم يذكر ياقوت عن الحجيرة الا انها موضع  
(٦) تقدم ذكر معدن بني سليم ٥٠٥ من حوائثي الاصل

ومن أملاح العُصْق المنهلة والنعجاوي ، ومن أملاح العبامة والشعل والبغرة واحساء بني جوية، وبنوفة حننل ، وناضحة، والبصرة، والنُّجْلِيَّة، والنقرة، والحجارة مجازة الطريق سوى مجازة اليمامة بين إجلة وبين الفرعة . مياه الحمادة أملاح ونجيل ونجلة، والاباط، والحفيرة، والحامضة وشعبب مياه منيم الا الحدعاء وماء يُفَاء وبرك واوان، والخُيَّ نية ، والنَّهِيْقَة واللقيطة، وما احتازته بدران فقبة إرام الى خلفة وعماية عذاب كله ، والقطانية ملح بيطان السُّرَّة . فأما الملح الذي يمتاح فصباح ملح الحاجر ، وملح المظلفية ، وملح القصبية، وملح يبرين ، وملح بناحية البحرين ، وفي رؤوس الجبال ملح نحيث أحمر عروق . وهذه ملححات أهل نجد ، ذما ملح اليمن فن جبل الملح بمأرب ، وملح بالقمة من تهامة بناحية آمور ، والمهجمو تشير من مياه تهامة املاح، فمنها المعجر والجبال والحويتية، وجوخلي، وكل ما قارب الساحل جميعاً أملاح الا اليسير »

تم يعود إلى المعادن في موضع آخر فيقول :

قد ذكرنا معادن الذهب ، فأما معدن الفضة بالرَّضْرَاض (بفتح أوله) فما لا نظيره وبها معادن حديد غير معمولة مثل نغم (بضمتين) وعُمدان (بضم أوله) وبها فصوص البقران (محركة) ويباغ الماث بها مالا<sup>(١)</sup> وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود ، والبقران ألوان ومعدنه بجبل أنس (بفتح أواه وكسر ثانيه) وهو ينسب الى أنس بن ألمان بن مالك ، والسعوانية من سعوان (بفتح فسكون) واد الى جنب صنعاء وهو فص أسود فيه عرق أبيض

(١) قال يا قوت في معجمه البقران بثلاث فتحات وقد تكسر القاف وربما سكنت من مخاليف اليمن لبني نجيد يجلب منه الحزق البقراني وهو اجود انواعه قالوا وقد يبلغ الفص منه مائة دينار قلت لعل هذا كان قديماً فأما في زماننا فما رأيت ولا سمعت فص جزع بلغ دينار قط ولو انتهت غايته في الحسن الى اقصى مداها  
اه . من هوامش الاصل .

ومعدنه بشهارة ( بضم أوله ) وعيشان ( بفتح أوله ) من بلد حاشد الى جنب  
هنوم ( بكسر فسكون ففتح ) وظليمة ( بضم ففتح ) والجش ( بفتح أوله ) من  
شرف همدان ، والعشاري ( بضم أوله ) وهو الحجر السماوي من عشار بالقرب  
من صنعاء ، والبور يوجد في مواضع منها ، والمسنيّ لذي يعمل منه نصب  
السكاكين يوجد في مواضع منها ، والعقيق الاحمر والعقيق الاصفر العتيقان  
من ألهان ، وبها الجزع الموثي والمسير وهو في مواضع منها منه النُقمي وهو  
فحل العرف والسعواني والظهري منه أجش والحولاني والجرتي ( بضم فسكون )  
من عذيقه ، والشرب ( بفتح فسكون ) يعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف  
ونصب سكاكين ومداهن وفحفة وغير ذلك ، وليس سواه إلا في بلد الهند ،  
والهندي بعرق واحد »

ثم ذكر الهمداني معدن الرضراض في موضع آخر صفحة ٨١ من النسخة  
المطبوعة بليدن فقال :

وأودية الرضراض وحريب نهم ومشاربها من جبال السرضرع ، وسامك  
ومساقط بلد عندر مطرة ، وبلديام وهيلان ، وتحت سامك الرضراض ، واليه ينسب  
معدن الرضراض ، وثم قرية المعدن معدن الفضة وهو معدن لا نظير له في العز  
وخرّب بعد قتل محمد بن يعفر . اهـ

وقد تقدم ذكر الهمداني معدن البرام بقرب الطائف ، وقد ذكر أيضاً  
في كلامه على بلد حرام من كثانة معدن ضنكان ( بفتح فسكون ) وقال عنه هو  
معدن غزير ولا بأس بتبره ثم ذكر معدن عشم ( محرّكة ) أيضاً

ولقد كان الملك حسين بن علي في أثناء ولايته انتدب بعض متخصصين في  
الزراعة وفي علم طبقات الارض للبحث في أراضي الحجاز وأبداء آرائهم فيما يمكن  
عمله لاستثمارها فجالوا في الاراضي ونظروا ودققوا ورفعوا اجلالته تقريراً نشر

الخير الزركلي خلاصته في كتابه « مارآيت وما سمعت » ومنه يظهر ان أراضي المنطقة الطائفية صالحة جداً للزراعة وانه ينبت فيها أكثر الاشياء النافعة كالشوندر والبطاطا والتبغ والقنب والسمسم والارز والقطن والورد وغيرها. فأما عن تشكيلات الارض الجيولوجية فقد قررت البعثة الفنية المذكورة ما يلي نأثره بحرفه :

تقرير علمي فني في صفة أراضي الحجاز وصخورها

« الاراضي التي في منطقة الطائف هي من أقدم طبقات الاراضي الجيولوجية جميعها من الصخور الاندفاعية الصلبة وهي لا تمتص المياه ولذلك يقل وجود الماء في الجبال إذ تتسرب عنها وترسب في الاودية .

« وهذه الصخور مركبة من « غنايس » رمادي اللون فيه ذرات سوداء ويتركب من « ميغا » و « كورانس » و « فلدسبات » ثم تليه طبقة صخور « الغرانيت » وهو على الغالب أحمر اللون فيه حبيبات رمادية لماعة وتركيبه أكثر كيب « الغنايس » وتاليه طبقة صخور « البازالت » وهو صخر بركاني كحلي او أسود اللون مشتب كالاسفنج . وقد تتغير هيئة الصخور في منطقة الطائف ويكثر فيها صخر « الميكاشيت » وهو صخر أسود اللون مصفح ذو طبقات بعضها فوق بعض و « الكوارس » وهو صخر أبيض لماع وقد يوجد بصفة متبلورة ويتركب منه « السيليس الصلبي » ويعلو هذه الطبقة القديمة طبقة مركبة من « الكلست » اجتمعت في الاودية ومجاري السيول ، وعلى مرور الزمان تألفت الطبقة العليا التي هي من تفتت الصخور الممتدة فوق الارض . ومن خصائص هذه الطبقات القديمة انها تحتوي على معادن من الجنس الجيد ومن جملتها معدنان

( أحدهما ) رمل مركب من حديد « مؤكسد » ممزوج به قليل من النحاس و يبلغ مقدار الحديد نحو ٦٠ في المائة ولا بد من تحسن المعدن في العمق ( والثاني ) حديد مؤكسد أيضاً إنما هو صاف من الجنس الجيد يصلح

للاستخراج ويحتوي على نحو ٧٠ في المائة حديداً صرفاً، وفي منطقة الطائف خصوصاً ما بين عين الخضرة والطائف -مقادير وافرّة من المرمر الاحمر الجميل الذي من فوائده انه يعمل أعمدة للابنية الجميلة وتوضع منه أشكال عديدة للزخرف «  
ثم جاء في ذلك التقرير :

«وعلى بعد أربع ساعات من الطائف محلة تدعى « المعدن » فيها جبل مرتفع ٥٤٠ قدما به حفريات قديمة تذيء باستخراج معدن منه، وفيه آثار معدنية تحتوي على شيء من الحديد وقليل من النحاس ، واذا حفر هذا الموضع فلا بد من وجود أشكال معدنية غير الشكل الظاهر على السطح ، وبما يبرهن على استخراج هذا المعدن قديماً آثار بيوت مبنية في قمة الجبل وبوادي من حجر يحرق فيها المعدن بنار الحطب أو الفحم ويستخرج منها الحديد ، واذا أريدت متابعة استخراجها الآن لم يكف له الحفر على وجه الارض ، بل ينبغي حفر آبار تتفرع منها سراديب تحت الارض

وفي جبل الوهط جنس صخر يدعى « ميضا » أبيض اللون ، تتجزأ منه صحف رقيقة كالورق، شفاقة كالزجاج ، وهو غير قابل للذوبان في النار مها بلغت حرارتها . ومن فوائده انه يستعمل الآلات الكهربائية ، وللمواقد الحديدية ، المتخذة للدفء . وفيه من الحجر الكلس المتبلور الصافي ، الصالح لاستخراج الكلس ، الصافي اللون « انتهى

(قلت) قد رأيت في بلاد الطائف أشكالاً وألواناً من الحجارة وأتذكر اني رأيت في العقبة المسماة « بكرا الصغير » التي يصعد بها الانسان من وادي المحرم إلى الهده حجراً أخضر كثيراً . وقد جاء في معجم ياقوت عند ذكر حرة بني سليم ان بها معدن « الدهنج » وهو حجر أخضر يحفر عنه كسائر المعادن

## رسالة قريظة في معادن البصرة

ولقد جردنا ذكر المعادن إلى نقل رسالة صغيرة عن معادن اليمن وجدتها في آخر الجلد الذي فيه الجزء العاشر من كتاب «الأكليل» للهمداني من النسخة التي في المكتبة الملوكية في برلين ، وليس الكلام للهمداني ولا هو من عبارته وإنما فيه شواهد أحيانا من كلام الهمداني

قال : « حجري وترابي في الخلقة معدن في الجبل فضة وذهب . وفي خرابة ذي ح ب معدن ، وفي أب (١) معدن ، وفي أفيق (٢) معدن ، وفي بلده عنس (٣) معدن ذهب في وسط الجروف فوق المزارع ، فوق العجرن معدن رصاص أسود

(١) قال ياقوت أب بالفتح والتشديد هي بليدة باليمن ، ونقل عن عمر بن عبد الخالق الأبي أن إِب بالكسر وان أهل اليمن لا يعرفون الفتح ، وجاء في تاج العروس عن أبي طاهر السلفي أنها بكسر الهمزة ، وجاء أن إِب بالكسر من قرى ذي جبلة باليمن ، وقال الصغاني هي من مخلاف جعفر

(٢) لم نجد في الأصل مضبوطاً فلا نعلم هل هو بفتح فكسر أم بضم ففتح فسكون — وياقوت يذكر «أفيق» على وزن أمير — البلدة ذات العقبة المشرفة على بحيرة طبرية ويذكر بلداً بالتصغير — على وزن سهيل — يقول عنه موضع ببلاد بني يربوع ولا يقول غير ذلك إلا أن تاج العروس يقول إن أفيق — على وزن أمير — بلدة بين حوران والنور ومنه عقبة أفيق وبلدة لبني يربوع أو بلدة بنواحي ذمار . وقد اغفله ياقوت والصغاني والمفهوم من كلام الفيروزبادي والزيدي أن جميعها — على وزن أمير — وليس فيها ما هو بالتصغير ولم يذكر منهم أحد معادن لافي أب ولا في أفيق

(٣) بفتح أوله وسكون ثانيه قال ياقوت هو مخلاف باليمن وجاء في تاج العروس أن عنس لقب زيد بن مالك بن أددأ بوقبيلة من اليمن ومخلاف عنس ما مضاف إليه ولم يذكرها ما معدناً (بالحاشية) أهكل ما تقدم وما سيأتي في هذا الفصل من حواشي الأصل

في جرشة عنس في الشعب الذي ينزل الى ورقة في الاكمة السوداء على الشمال  
اذ انت نازل الى ورقة وهي حجارة سود تشبه الكحل ، تكسر الحجارة ويوقد  
عليه زبل الدجاج إلى أن يصير كالماء ، وفي بلد بني غصين (١) معدن فضة عند  
خشران بالخرابة العالية عند الخربتين الكبيرتين وهو تراب لونه أصفر مرتجح  
إلى خضرة يؤخذ منه ويخنط عليه فراز الخلل وعضة (٢) الكشر (٣) واللين.  
العامض ستة أيام ويطعم فانه يصير ماء فيطلع الزبد في أعلاه

ومن المعادن المشهورة معدن فضة جيد في موضع يقال له الرضراض حد  
ما بين خولان وهمدان كان لبني يمفر ، وقد خرب فوقه الآن جبل ذكره صاحب  
جزيرة العرب (٤) ولعله في حوزة نهم (٥) معادن يابسة من نهم مشهورة منها  
ما هو رصاص اسود جيد ، ومنها ما هو فضة . معدن فضة في بلد سارع (٦) في  
المغرب كان يعمل منه الامام شرف الدين عليه السلام ، وربما انهدم عليه جبل  
على ما وصفه أهل الخبرة

(١) قال ابن دريد واحسب أن بني غصين بطن ، قال الزبيدي قلت وهم اليوم بفضة  
وشردمة بالرملة نهم الامام المحدث الشيخ عبد القادر بن غصين الغزي الشافعي ولم يذكر ،  
هل هي بالتشديد أم لا ؟  
(٢) العضة القطعة (٣) الكشر الحبز اليابس (٤) يريد أن يقول صاحب كتاب صفة  
جزيرة العرب وهو الهمداني  
(٥) نهم - بالكسر - ابن عمرو بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن  
بكيل أبو بطن من همدان قال الزبيدي صاحب تاج العروس : ومنهم بقية اليوم بصنعاء اليمن  
(٦) لم نجد ذكر سارع في تاج العروس وإنما وجدنا فيه ذكر شارع بالمهجمة وقال بلدة .  
ولم يذكر أين هي أما الهمداني في « صفة جزيرة العرب » فيذكر سارع الاعلى بمخلاف  
شيام مغرب صنعاء



معادن جبل نغم (١) كثيرة فيه، معدن ذهب جيد ومعدن حديد كانت حيرت عمل منه السيوف الحيرية التي تسمى البرغشية، صنعت في زمن الملك برغش المشهور، قال صاحب جزيرة العرب: وفيه معادن الجواهر: الزمرد والياقوت والبلور والزجاج والعزج . وفي سهوان (٢) معدن ذهب ومعادن حجارة منها الحجر المريني معدن صرواح (٣) ذهب جيد ، وفي بيهجان في الجوف (٤) معدن ذهب

(١) (نغم) بضمتين قال في القاموس: نغم بالضم بادة باليمن . قال الزبيدي: قلت قد أجهف المصنف في ضبطها وبيانها لإجحافاً كلياً والصواب في ضبطها بضمتين وبفتحتين . وكعضد - كما صرح به ياقوت . وأما الضم وحده مع تسكين القاف فلم يذكره أحد، قال ياقوت هو جبل مطل على صنعا قرب غمدان قال فيه زياد بن منقذ :

الأحبذا أت يا صنعا من بلد ولا شعوب هوى مني ولا نغم

(٢) قال الهمداني جبل عيبان وجبل نغم وما بينهما من حقل صنعا وشعوب وادي سهوان وادي السر ومطرة وفيها أودية كثيرة وأورد مثلاً يمانياً : أحلك الأرض مسور (بفتح فسكون) وأخذها بتوعر (بضم فضم) وأحور، فأحور (على وزن أفل) وسهوان لو نطر

(٣) صرواح حصن باليمن ذكره في التاج . وقال ياقوت: والصرواح في اليمن قرب مأرب وأنشد له جملة شواهد من الشعر منها :

أبوا الذي أهدى السروج بمأرب      فأبت إلى صرواح يوماً نوافله  
ومنها :

تشتوا على صرواح خمسين حجة      ومأرب صافوا ريفها وترهبوا

(٤) قال ياقوت عند ذكره لفظة جوف والاماكن المسماة بها . قال أبو زياد الجوف جوف المحورة ببلاد غمدان ومراد . وقال الجوف من أرض مراد واستشهد عليه بشعر :

فلو أن قومي أذلتهم رماحهم      نطقت ولكن الرماح أجرت  
شهدنا بأن الجوف كان لأكمم      فرال عمار الأم منها فمرت  
سيعنكم يوم الله في فوارس      يطعن كأهواء المزداد استكرت

وقال الهمداني : الجوف منفق من الأرض بين جبل نهم الشمالي الذي فيه أنف اللوذ وأوين الجنوبي الموصل بهيلان من يمد، وذكر الهمداني أن سكان بيهجان مراد

وذكر صاحب كتاب التيجان معادن الجبل الابلق وهو بالقرب من سد مأرب (١)

(١) بهمة ساكنة وكسر الراء، قال ياقوت: هي بلاد الازد باليمن. وقال السهيلي مأرب اسم قصر كان لهم، وقيل اسم لكل ملك كان يلي سبأ كما ان تيمناً اسم لكل من ولي اليمن والشحر وحضرموت. وروى ياقوت عن المسعودي ان سد مأرب من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب وكان سافله سبعين واديا، فأت قبل أن يستتمه فأنته ملوك حمير بدمه، وقال انه حدثه شيخ فقيه محصل من ناحية شبام كوكبان وكان مستيناً متبناً فيما يحكي قال له انه شاهد مأرب بعينه وهي بين حضرموت و صنعاء وبينها وبين صنعاء أربعة أيام، وهي قريبة ليس بها عامر إلا ثلاث قرى يقال لها الدروب الخ، قال، وسأله عن سد مأرب فقال هو بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد ليس لذلك الماء مخرج إلا من جهة واحدة، فكان الاوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع ما يجتمع من مياه السيول فيصير خلف السد كالجرف فكانوا اذا أرادوا سقي زروعهم فتحوا من ذلك السد بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحركات مهندسة، فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه اذا أرادوا، قال عبيد الله بن قيس الرقيات

يا ديار الحيات	بين صنعاء ومأرب
جادك السعد غدوة	والثريا بصائب
من صريم كأنما	يرتمي كالقواضب
في اصطفاق ورنه	واعتدال المواكب

وأما قصة خراب سد مأرب فطويلة، والمؤرخون على ان قبائل اليمن تفرقت في البلدان من بعده، وهم يقولون ان جرذانا حمراً حفرن السد بأنيابها حتى اقتلعت الحجر الذي لا يستقله مائة رجل، ثم أخذت تدفعه بمخالب رجلها الى غير ذلك من الاقاريل. وما أراه إلا خرب من قلة التعاهد وانقطاع الترميم الذي يجب استمراره انله، وان نهاية الامر انه لما وقع فيه الحرق انهار وغرق ماؤه البلاد وأذهب الكروم والجنان والحدائق والبساتين والقصور والدور، وجاء السيل بالرمل فطمها وذهب

أكثر عمران اليمن وتفرقت عربه عباديد في الاقطار، وقال الاعشى

ففي ذاك للمؤتسى أسوة	ومأرب عقى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير	اذا مانأى ماؤهم لم يرم

كان كل من بني قحطان وحمير وعاد يعرف معادنه، والابلق جبل متصل بالجبال الزرق، وإنما قيل له الابلق لانه في ارض سوداء فيها معادن اللجين متصل بالسد وأرض غبراء فيها معادن العقيان، وأرض زرقاء فيها معادن الزرجد والجزع، كان يقال له الباذخ ولأرب الشامخ، فأرب متصل بجبال عمان، والابلق متصل ببحر لجة

قال الحسن الهمداني: وفي بلد الهان بن زيد بن مالك معادن البقران الجيد وكذلك في جبل أبي أنس<sup>(١)</sup> بن الهان بن زيد بن مالك وهو جبل صوران<sup>(٢)</sup> الحجر العتيق من العتيق اليماني والبقراني، ويقال ان في بلد يسمى دهم في حد بني قشيب معدن، وفي رأس جبل الشرق معدن فضة. وفي وادي «مونا» بموضع خربة «الساوة» معدن فضة

قال الهمداني في كتاب جزيرة العرب

وفي جبل عشار معادن البقران وهو جيد، وفي جبل هزان<sup>(٣)</sup> قبلي مدينة ذمار معادن الحجارة النفيسة اليمانية من العتيق الاحمر والابيض والاصفر والورد وفي قرية ملص<sup>(٤)</sup>

فأروى الحروث وأغنامها على ساعة ماؤم أن قسم  
وطار الفيول وفيها لهم يهماء فيها سراب بطم  
فكانوا بذلك حقبية قال بهم جارف منه دم

(١) الهمداني لا يقول جبل أبي أس بل جبل أنس بن الهان بن مالك، هكذا في النسخة المطبوعة من «صفة جزيرة العرب» ويعيد ذلك مرة ثانية في صفحة ١٠٥ فيقول جبل أنس وفيه معدن البقران

(٢) هذا الجبل مذكور في «صفة جزيرة العرب» للهمداني

(٣) جاء في التاج وهزان بن الحارث الحولاني شهيد فتح مصر ولعل هذا

الحيل منسوب اليه او الى رجل آخر اسمه هزان

(٤) قال في التاج وملص اسم موضع

من مغرب ذمار (١) معادن العقيق اليمني والجواهر النفيسة وذلك مشهور معانين . وعمما رواه بعض حكماء العقيق من أهل ملص ان في بلد زبيد (٢) معدن الزمرد العال وانه لما ظهر هدموا عليه أهل البلاد جبلا خشية أن تعيرهم

«١» قرية باليمن قيل على مرحلتين من صنعاء وقال قوم ذمار اسم صنعاء وصنعاء كلمة حبشية اي حصين وثيق قاله الحبش لما قد سوا مع ابرهة ورأوا صنعاء ورواها بعضهم بالكسر . وقال ابن دريد بالفتح قيل انه وجد في اساس الكعبة لما هدمتها قريش مكتوب بالمسند «لن ملك ذمار؟ لمحير الاخير، لن ملك ذمار؟ للحبشة الاشرار . لن ملك ذمار؟ لفارس الاحرار، لن ملك ذمار؟ لقريش التجار، ثم حار حار» اي رجع مرجماً . واما الهمداني فقد قال في « صفة جزيرة العرب » عن ذمار ما يلي: بخلاف ذمار قرية جامعة فيها زروع وآبار قريبة ينال ماؤها باليد ويسكنها بطون من حمير وانفار من الابناء (قات: الابناء ابناء الفرس الذين كانوا احتلوا اليمن) ورأس مخاليفها بلد تنس وساكنه اليوم بعض قبائل عنس بن مذحج ، ثم ذكر ذمار القرن وقال: قرية قديمة خراب وقال ان ذمار الخدر غيرها قال واما مخاليف ذمار من غربها فهي مصنعة اتيق للعقيين - قبيلة - وجمع والموفدوسرية ووادي القصب لبي عبد كلال - الى ان يقول - ويسكن هذه المواضع من بطون حمير: اوزاعي ومغربي وغير ذلك «٢» من اشهر مدن اليمن بل مدن العرب، ذكر السيد مرتضى الزبيدي صاحب «تاج العروس من جواهر القاموس» زبيد فقال - كبير - بلد باليمن مشهور اختطه محمد بن زياد مولى المهدي في زمن الرشيد العباسي إذ بعثه الى اليمن فاختر هذه البقعة واخطب بها هذه المدينة المباركة وسورها وجمل لها ابواباً، ثم مات سنة ٢٤٥ ثم خلفه ابنه ابراهيم بن زياد واستمر الى سنة ٢٨٩ وخلفه ابنه زياد بن ابراهيم ومات سنة ٢٩١ ثم ابنه زياد وهو طفل فتوزر له حنين بن سلامة وهو باني السور، ثم ادار عليها سوراً ثانياً الوزير ابو منصور الفاتكي ثم ادار عليها سوراً ثالثاً سيف الاسلام طفتكين ابن ايوب في سنة ٥٨٩ وهو الذي ركب على السور اربعة ابواب، قال ابن الجاور عدت ابراج مدينة زبيد فوجدتها مائة برج وسبعة ابراج بين كل برج وبرز ثمانون ذراعاً قال ويدخل في كل برج عشرون ذراعاً فيكون دور البلد عشرة آلاف ذراع وتسمائة ذراع وقد تكفل بتفصيل اخبارها =

القبائل وتسميهم الحكاكين (١) بلاد برط (٢) كثيرة المعادن يوجد فيها معادن الرصاص الاسود في مواضع كثيرة صلب صاف جيد ، وفيها معادن ذهب وفضة ، ويوجد فيها معادن المرقيشيا الذهبية والفضية وما شابهها . وفي بلاد صعدة (٣)

= ابن سمرة الجندي في تاريخ اليمن وكذا صاحب المفيد في تاريخ زيد « اه قلت اتذكر انى قرأت ان احد خطباء الجوامع كان يدعو لاحد الملوك واظنه صلاح الدين الايوبي قائلاً عنه صاحب مصر وصعيدها ، واليمن وزبيدها ، والحجاز وعبيدها ، والشام وصناديدها . ولعل قائلاً يقول هذه جرتها السجمة فاقول له لا يحسن وقع السجمة الا اذا جاءت في محلها

(١) قات ما احد سلم من التعبير . وقولهم عن اهل زيد « حكاكون » اهلون من قول بعضهم عن اهل اليمن ، دايع جلد ، وناسح برد ، وسائس قرد ، وراكب عرد ، اي حمار . ولعمري ان دبع الجلود ونسج البرود لما يتنافس فيه اليوم ، وان حير اليمن لا نظير لها في تسلق الجبال والمشي على الصخور التي قد يزل عنها الماعز ، عرفها في الطائف جيداً ، ولما صعدنا الى الجبال المسماة بالشفاء التي لا تكاد تسلكها الطير لم يكن لنا حيلة بدون هذه الحير اليمانية

(٢) برط ( محرقة ) من بلاد همدان قال الهمداني جبل برط ساكنه دهمه من شاكرين بكيل وزروعه اعقار ، وعلى المساني واهله انجد همدان وحماة العدو ومئة ابجار

(٣) قال الهمداني اما حقل صعدة فانه مخزل من بلد همدان ولذلك خبر في كتاب الايام ، ومدينة خولان العظمى صعدة وحدثت قرية الفيل من قرب صعدة وصعدة بلد الدباغ في الجاهلية الجهلاء ( قات من هنا جاء دايع جلد عن اهل اليمن ) وهي في موطن بلاد الفرظ ربما وقع فيها الفرظ من الف وطل الى خمسمائة بدينار مطوق على وزن الدرهم القفلة ( درهم قفلة بفتح فسكون اي وازن ) وقال ياقوت صعدة مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً وبينه وبين خيوان ستة عشر فرسخاً قال الحسن بن محمد المهلبى : صعدة مدينة طاهرة آهلة بقصدها التجار من كل بلد وبها مسدابع الأدم وجلود البقر التي للتعامل وهي خصبة كثيرة الحير ، وهي في الاقاييم الثاني عرضها ست عشرة درجة وارتفاعها وجميع وجوه المال مائة الف دينار

معادن الحديد يدخله أهل البادية تراباً إلى مدينة صعدة وبخاص فيها ، والكثير منه في بلاد بني جماعة (١) وأجود ما كان من بلاد باقم (٢) معدن الهندوان (٣) : والمرقيشيا في التام ( أي الشمال ) كثير موجود ، وفي قلعة وادي ظهر (٤) معدن حديد ومعدن فضة . قال الهمداني في كتابه هذا : كان بنو يعفر يحملون الفضة من شبام (٥) سحماً إلى صنعاء ، وهي بالقرب من صنعاء على ساعتين قريب من ذي مرمر ، فظاهر قوله ان فيها معدن فضة .

وذكر بعض الفقهاء انه وجد بجبل صبر (٦) معدن ذهب وعمل منه عملاً إلا انه كان يقسى عليه ولعله لم يحكم تدبيره

«١» قال الهمداني وادي نجران فروعه من ثلاثة مواضع من بلد بني خيف من وادعة ومن بلد بني جماعة من خولان ومن بلد شاكر  
«٢» ذكر في تاج العروس البقوم قبيلة من الازد وقال ان واحدهم باقم  
«٣» لا أعلم ما يريد بالهندوان فلعله مختصر من الهندواني وهذا منسوب إلى الهند.  
«٤» اهله منسوب إلى ظهر بطن من حمير  
«٥» شبام بكسر أوله حي من همدان من اليمن وجبل همدان باليمن وبه سميت القبيلة المذكورة لنزولهم فيه على مافي تاج العروس وأيضاً بلد تحت جبل كوكبان. وأيضاً بلد لبني حبيب عند ذي مرمر والارجح أن شبام المقصودة هي هذه . والهمداني يقول ان شبام هي أول بلاد حمير وهي مدينة الجميع الكبيرة وبها ثلاثون مسجداً لكنه يذكر أن نصفها خراب خربت بها كندة

«٦» قال ياقوت: صبر - بفتح أوله وكسر ثانيه - بلفظ الصبر من العقاقير اسم الحيل الشاخ العظيم المطل على قلعة « تمز » فيه عدة حصون وقرى باليمن وقال ابن أبي الدمينه جبل صبر في بلاد المعافر وسكانه الركب والحواشب من حمير وسكسك

وفي بلاد المعافر (١) من اليمن الاعلى والاسفل معادن كثيرة إلا اننا لم نطلع على شيء من أخبار مواضعها

١ «معافر أبوحي من همدان لا ينصرف لانه جاء على مثال ما لا ينصرف من الجمع واليه تنسب الثياب المعافرية ويقال ثوب معافري فتصرفه لأنك أدخلت عليه ياء النسبة ونسب على الجمع لأن معافر اسم شيء كما تقول لرجل من كلاب كلابي وجاء في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني مخلاف المعافر أما الجوة من عمل المعافر فالرأس فيها والسلطان عليها إلى آل ذي المفاس الهمداني ثم المراني من ولد عمير ذي المران قيل همدان الذي كتب اليه الرسول ﷺ وأما جباً وأعمالها وهي كورة المعافر فهي في فجوة بين صبر وجبل ذخر وطريقها في وادي الطبات ومنها اودية ذخر وباشعة ويسكنها السكاسك ورسمان ويسكنه الركب وبنو مجيد وجبرة لهم من بني واقد ومن الركب النشورة وملوك المعافر آل الكرندي من سبأ الاصفر ينتمون إلى ولادة الايض بن حمال منازلهم بالجبل من قاع جباً، ومثرب الجميع من عين تنحدر من رأس جبل صبر غزيرة يقال لها «أف» أخف ماء وأطيبه ويصلح عليه الشعر ويكثر، وأهل المعافر وما والاها يستعملون السكينية في الرأس وتحسن في بادهم (قات السكينية طرقة من ذرة إلى سكينة على وزن جبينه وهي بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما شهدت مع أبيها الطيف ولما رجعت إلى المدينة خطبها أشرف قريش فأبت وترفعت وبقيت تبكي على أبيها حتى ماتت كمد أرضي الله عنها) ويفضي قاع جباً في المنحدر إلى ناحية بلد بني مجيد إلى كثير من قرى المعافر مثل حرارة وسحارة وعزازة والدمينة ويزداد وساكن هذه المواضع من بطون حير من ولد المعافر بن يفر اه

(قلت) وكانت معافر كثيرة العدد في جباله العرب إلى الاندلس وقد جاء أمامي ذكر «المعافري» كثيراً في كتاب الصلة لابن بشكوال والنكالة لابن الأبار البندي وبغية المتلس لابن عميرة ونفع الطيب للمقري وناهيك أن محمد بن أبي عامر الملك المنصور الشهير الفاتح - الممدود من أعظم رجال الاسلام بل رجال العالم الذي غزا ستاً وخمسين غزوة في الافرنج لم تنكس له في واحدة منها راية - هو معافري ونسبه محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري وعبد الملك جده هو إلوافد مع طارق بن زياد على الاندلس

ووصف بعض أهل الصناعة في صيغة الفضة انه وجد معدن فضة فوق مدينة جبلة (١) ومعدن رصاص أسود في الشعب المدني . وذكر أيضاً ان في جبل بني سبأ (٢) قبلي ضرية (٣) عمرو ، وفي رأس نفيل سمارة (٤) مما يلي بني سيف معدن نحاس وقد أخذ منه وعمل عملاً وهو بالقرب من الطريق الذي ينزل منها إلى بني سيف ، وفي مكان يسمى حوبر (٥) قفر حاشد (٦)

(١) جبلة (بكسر فسكون) مدينة باليمن تحت جبل صبر وتسمى ذات النهرين وهي من أحسن مدن اليمن ، وأزهارها ، وأطيبها . قال عمارة جبلة رجل يهودي كان يبيع الفخار في الموضع الذي بنت فيه الحرة الصليحية دار العروبة وسميت باسمها . وكان أول من اختطها عبدالله بن محمد الصايحي . ويقال لها ذو جبلة أيضاً . ويقوت قال انها مدينة ، وصاحب ناج العروس قال انها قريبة - ولعلها في زمن الزبيدي أي منذ نحو ٢٠٠ سنة - كانت المحطت الى قرية (٢) بفتح أوله وتانيه وهمز آخره وقصره - أرض باليمن مدينتها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام - على قول يقوت - سميت سبأ باسم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان اسم سبأ عامراً وإنا نسمى سبأ لأنه أول من سبى السبي ولما كان سيل العرم تفرق أهل اليمن فقبل ذه واليدي سبأ أي طرائق سبأ ، فاليد الطريق وهي قيل تفرقوا أيدي سبأ لا ينبغي الهمز لأنه كثير في كلامهم فاستثقلوا الهمزة (٣) الضرية بفتح فسكون وياه مشددة مأخوذة من الضراء وهو ما رارك من شجر . ويقال للأرض المستوية إذا كان فيها شجر ضراء فإن كانت في هبطة فهي غيضة . (٤) النقييل بلغة أهل اليمن العقبة وفي اليمن نقييل بين مخلف جمفرو وبين حقل خمار وعمل فيه سيف الاسلام عتياً سهل به طلوعه وفي رأسه قلعة تسمى سمارة قاله يقوت (٥) لم يعرف هل هو حوبر بالمهولة أو حوبر بالمعجمة أو هو مصحف عن حوير بالياء أو حوير أو عن غير ذلك وقد وجدنا حوير اسم نهر بالحاء المعجمة في أرض حاشد (٦) حاشدحي من همدان يذكر مع بكيل قال الهمداني أما بلد همدان فإنه أخذ لما بين الغائط وتها من نجد والسراة في شمالي صنعاء ما بينها وبين صعدة من بلد خولان بين عمرو بن الحاف بن قضاة وهو منقسم بخط عرضي ما بين صنعاء وصعدة فشرقيه لبكيل وغربه لحاشد وفي قسم بكيل بلاد حاشد وفي قسم حاشد بلاد لبكيل ثم شرح الهمداني أقسام كل من حاشد وبكيل ومدن الفريقين وقرأها وأوديتها وأسواقها فن شاء معرفة ذلك فعليه بطالمة « صفة جزيرة العرب »



وعتمة (١) معدن ذهب، وفي بلاد سماه معدن فضة، وفي وادي حراز (٢) معدن ذهب  
وفي ذمار القرن معدن نحاس أحمر جيد، وكذلك اثنان من المعادن في رداع (٣)

(١) حصن من جبال وصاب من عمل زبيد ولفظها بضمين

(٢) بالفتح وتخفيف الراء وآخره زاي - مخلاف بالين قرب زبيد سمي باسم  
بطن من حمير وهو حراز بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن  
قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن القوث بن أيمن ابن الهيمس  
ابن حمير ويقال لقبيرتهم حرازة وبها تعمل الاطباق الحرازية قاله ياقوت في المعجم وذكر  
الهمداني أيضا الاطباق الحرازية وربما نقله ياقوت عنه

وأما قول الهمداني عن حراز فهو مايلي : مخلاف حراز وهو وزن سبعة أسباع  
أي سبع بلاد: حراز المستخرزة، وهو وزن وكرارا وإليها تنسب البقر الكرارية،  
وصفان، ومشار، وهاب، ومجبع، وشبام، ويجمع الجميع اسم حراز وهو وزن وهما  
بطان من حمير الكبرى وهما ابنا القوث بن سعد بن عوف بن عدي

(٣) ذكر الهمداني رداع في وادي اليمن الشرقي وقال ياقوت: رداع بضم أوله  
- وأصله النكس من المرض وقيل وجمع الجسد اجمع - هو مخلاف من مخاليف اليمن  
وهو مخلاف خولان بين نجد وحمير الذي عليه مصانع رعين وبين نجد مذحج الذي  
عليه ردمان وقرن، قالوبه وادي النمل المذكور في القرآن الجبد وخبرني بعض أهل  
اليمن انه بكسر الراء . ومنها أحمد بن عيسى الخولاني له ارجوزة في الحج تسمى الرداعية  
قلت هذه الارجوزة استوقفا للهمداني في آخر كتابه «صفة جزيرة العرب» أولها

أول ما أبدا من مغالي	قالحمد للنعم ذي الجلال
والمن والآلاء والافضال	والملك والجد الرفيع العالي
عدخليلي كم مضت ليال	من شهر ذي القعدة مع شوال
ثم انم بالكور على شملال	عيديّة او قطم ذبال
قددق منه موضع الجيالي	تمت نادى القوم بارتجال

قوله «الجد الرفيع العالي» أي العظمة قال في تاج العروس الجد العظمة وفي التنزيل  
(وانه تعالى جد ربنا) قيل جده عظمتة وقيل غناه وقال مجاهد جد ربنا جلال =

== ربنا وقال بعضهم عظمة ربنا وهما قريبان على السواء وفي حديث دعاء الاستفتاح في الصلاة « تبارك اسمك وتعالى جدك » اه قال لي السيد جمال الدين الافغاني . تعالى جدك أي سريرك والجد هو معرب « ككد » وهو السرير بالفارسية ولكن غاب عن علمائنا أصلها ثم منها

فتيان صدق من بني أييكا	فانهم أولى بما يعنيكا
واسرع القوم لما برضيكما	لاني سأصفيك الذي أصفيكا
فاسمع الي قولي إذ أوصيكما	أوامراً أضعاف ما يوليكا
من برة يرغب ويزدد فيكا	ثم ادع رباً مالكا مليكا
فانه أجدر ان يكفيكا	وقل صحابي ارحلوا وشيكا

وهي نحو ٥٥٠ بيتاً مقسومة إلى مقطوعات كل مقطوعة خمسة أبيات يذكر فيها جميع منازل الحج إلى البيت الحرام برجز ساس متين بقاية الانسجام ويقول عند الوصول الى البيت

بمقبة في الحرم المحرم	ألتي به يا اقرحلي واسلمي
في منزل كان لرهط الاقدم	ثم عن الحججون لا تلعمني
الى جوايبها العظام العظم	ثم اشربي ان شئت او تقدي
منها لردم السؤدد المردم	ردم بني مخزومها المخزم
حتى تناخي عند باب الاعظم	وتشربي رياً بمحوض زمزم

\*\*\*

والحمد لله الذي قد انما	سيرنا في ارضه وسلمنا
حتى اتينا بيته المحرما	منا فعظمتناه مع من عظما
ثم هدانا نسكا وعلما	كما هدى قبل ابانا آدما
ثم تطوفنا به تحرما	وسنة يفعلها من اسلما
ثم استلمنا ركنه المكرما	ثم ركننا ووردنا زمزما

\*\*\*

ويقول في الاقاضة

حتى اذا ضوه النهار ادبرا . وغابت الشمس استطاروا جهورا

واثنان ذهب وحديد في القانع ( ١ ) وكذلك معدن في البيضا ( ٢ ) نحاس  
 • ومما وجد في بعض الكتب المكتوم سرها وتركيبها من معادن الاجساد  
 الترايبية التي بين يشة وذمار خمسة وعشرون موضعاً مشهورة ، ولا يصلح منها

يدعون ذاللز الذي تحضرا ثم مضى امامهم وكبرا  
 افاضة لم يك فيهم منكرا قد لزموا التودة والتوقرا  
 حتى اتوا جماعاً وجاءوا المشعرا ثم اناخوا ساهمات ضمرا  
 بها يخافون المذاب الاكبرا حتى اذا ضوه الصباح اسفرا

\*\*\*

وانجاب ليل ودنا النهار سار امام الناس ثم ساروا  
 مع كل مرء منهم احجار سبع لطاف صنع صغار  
 ثم مضوا عليهم وقار لجرة من دونها حجار  
 ثم رموها ولهم كبار وحلقوا وذبحوا وازداروا  
 يوماً به للبدن مستطار من طول ما يشحذها الشفار

\*\*\*

واخر مقطوعة منها

فالحمد لله على احسانه وفضله المعروف وامتنانه  
 سيرنا ذو اللطف في بلدانه في رزقه العفو وفي امانه  
 حتى اتينا البيت في مكانه ثم قضينا شاننا من شان  
 من طوفه والمسح من اركانه ثم هدانا الله في ضيانه  
 كلا الى المحبوب من اوطانه مع الذي يأمل من غفرانه

« ١ » لم نعتز على ذكر القانع او هي مصحفه

« ٢ » ذكر ياقوت في المعجم ستة عشر موضعاً باسم البيضاء لكنه لم يذكر

ولا يضاء في العين .

إلا ستة : واحد منها بنجران ، الثاني بشرمس (١) في مكان يسمى القروات ، الثالث بسحر من نواحي هجرة عريمان (٢) الرابع في بلاد بني شداد (٣) يسمونه كحال ، الخامس بردمان بني النمرى (٤) في سكان يسمى العنقفير ، السادس في جبل الاحزم (٥) في سارع وهو أفضل هذه لكن قد نزل قدر ثمانين ذراعاً (وفي الاصل ثمانون) وصاحب هذه الرسالة لا يقيم النحو كثيراً) وحلف عليه من عرضه وهو رطب لا يحتاج لدواء.

( والثاني ) مما يذكر يخرج قاسيه يحتاج إلى مليونات . ثم خرج واحد في

١) ذكر الهمداني شمس هذه وضبطها بفتح فكسر وذلك عند كلامه على أسواق حاشد قال : فأولها وأقدمها سوق حمل ، وحمل (بفتحيتين) من الحارث وهي سوق جاهلية . والكلايج المرابين من الحبر (بفتحيتين) ونارى للفائشين من الجبر . وسوق صافر ، وسوق الفاقمة ، وسوق الاهنوم وسوق الظهر ، وسوق قطابة « بضم أوله » والعراقة « بفتح فكسر » اقرس بن قدم « بضم ففتح » عيان سوق قديمة من همدان وادران وحجة . ونمل وقيلاب « بفتح فسكون » وشرس ، وحملان « بضم فتكون » وينذ الخ

٢ « أورد الهمداني ذكر سحر وهجرة

٣ « ذكر الهمداني بني شداد وقال إن لهم أودية كثيرة النخل مثل البجاجة .

ولحية واللوب والنتكا

٤ « ردمان مشرق صنعاء الذي يقع بينها وبين مأرب وهو مخلاف خولان بن

عمرو . وهم خولان العالية الذين ذكرهم رسول الله ﷺ فقال « اللهم صل على

السكاسك والسكون وعلى الاملوك املوك ردمان وعلى خولان العالية » وقال

الهمداني مخلاف رداق القرينتان رداق وراث والعروش وبشران « بضم فسكون » وأذنة

« محركة » ورحبتها وبلد ردمان « بفتح فسكون »

٥ « جبل الاحزم قال الهمداني انه الجنوبي من جبلي لاعة في غربي صنعاء

قرب سوق (كذا) (١) فوق قرية الهجر (٢) من بلاد الاهنوم (٣) في زمن الامام، شرف الدين عليه السلام وضع منه ولده شمس الدين بن الامام وهو جيد مماثل الذي في أحزم بالصلاح.

• وحكي ان في سارع بادية تسمى السواد فيها مكان يسمى بني سعيد فيها مكان يسمى عدة الزعلا مقابل لمكان يسمى القتال فيها جنس يفرح القلب

ومما حكي ان جبل شايبه جبل الصلب (٤) في شرقيه لون شمسي والمليح الذي يناله الشمس. والثاني غربي الجبل مشهور كثير بجدوه (?) يظهر في فضة مليحة طيبة. وأما المواضع التي تكثر شهرتها فواحد بجبل الشرق من بلاد أنس بمكان يسمى الركن، والاشهر في اسمه ابو صلاح بن علي، وواحد بمكان يسمى البونين (٥) مستور، وواحد في اكام بني الاقرعي في مكان يسمى السهر تحت القدرة لونه عجيب يفرح القلب، وواحد في ملتقى وادي مزهر ووادي صيحان (٦) يقرب الجود يعرفوه البداوة وبعض المخاددين « انتهى

« ١ » هنا كلمة لم نقدر ان تبينها فوضعنا بجانبها لفظة كذا

« ٢ » الذي عثرنا عليه هو أن الهجر في بلد حكم بتهامة فهل هي هذه أو قرية أخرى بهذا الاسم؟ لا نعلم فقد ذكر الهمداني أن معنى هجر القرية بلغة حمير والعرب العاربة فنمنا هجر البحرين وهجر نجران وهجر جازان وهجر حصبة من مخلاف مأذن .

« ٣ » ورد ذكر الاهنوم في اسواق حاشد وقال الهمداني في محل آخر جبل لاهنوم من همدان ثم من حاشد بطن من خولان بن عمرو بن الحاف وهو قبالة « نخلي » من شماليه وعلى وصفه من جبال السراة وهو أحسن وأتلع واوسع

« ٤ » نظمه الصلب بضم ففتح مشدد أي حجر المسن

« ٥ » قال ياقوت بون مدينة باليمن وزعموا انها ذات البئر المعطلة والقصر المشيد المذكورين في القرآن العظيم قال وحدثني أبو الربيع سليمان المكي والمفضل بن أبي الحجاج انها بونان وهما كورتان ذاتا قرى البون الاعلى والبون الاسفل. ولا يقوله

أهل اليمن الا بالفتح وهي مذكورة هنا بالثنية

« ٦ » وادي صيحان بأرض نجران

## عمران جزيرة العرب

﴿ وما يجب على الحكومتين السعودية والامامية من استئذاف ﴾

هذا ما أثرنا ذكره على وجه الاختصار عن معادن جزيرة العرب التي يجب على حكومة الحجاز ونجد من جهة وحكومة اليمن من جهة أخرى ان تبادرا فيها إلى مباحث فنية دقيقة عميقة بدون أن يثبطهما عن ذلك ملاسختات سياسية كالتي تقدم ذكرها . فن هذه الملاحظات غير واردة ، وان استئذاف عمران جزيرة العرب متوقف على أمرين

( أحدهما ) ترقية أحوال الزراعة باستعمال الآلات الرافعة الحديثة واستنباط المياه وبناء السدود، وحفر الآبار الارتوازية وما أشبه ذلك مما يزيد كمية مياه الري ( والثاني ) تمدين المعادن التي في الجزيرة واستخراج افلاذ هذه الارض التي طالما كانت تغني الاهالي في الاعصر اقديمة ، وما صلح به أول الامر يصلح به آخره

فاذا دأبت الحكومات العربية المستقلة في هذه السبيل من الآن وسارت تدريجاً وجدت من العرب الآخرين الذين بالشام ومصر والعراق والمغرب وغيرها من يأخذ بأيديها . وذلك لان جميع العرب في الدنيا يهتمون بتقوية الجزيرة العربية وصيانتها واصلاح أمورها كما يهتمون ببلدانهم ومساقط رءوسهم ، إن لم نقل زيادة، لانها هي دار العروبة، وعقر الأمة الناطقة بالضاد، والمركز الذي تفرقوا منه إلى سائر البلدان ، والملاجأ الذي يلجأون اليه اذا نبا بهم الدهر، وأديل من المد بالجزر . وحسبك أنها هي أيضاً دار الاسلام ومبعث الدين ، ومهوى أفئدة المؤمنين ، وان فيها المثابة التي تخفق عليها قلوب ثلاثمائة وخمسين مليون نسمة

من العالمين وهي البيت الحرام - حماه الله - مركز الحج ومقصد المسلمين من كل فج .  
فلا يوجد مسلم على وجه البسيطة إلا وقلبه مشغوف بهذا البيت وجواره، مشغول  
بنصرة حماته وعماره .

ولقد صادفت كثيرين من مسلمي الامم غير العربية - أذكر الآن منهم  
كثيرين من أعيان التتر وفضلائهم لقيتهم في موسكو بعد صلاة الجمعة - فرأيت من  
اهتمامهم بامر الجزيرة العربية والحجاز الشريف واحفائهم في الاسئلة عنه ،  
وتواجدهم الشديد، مالا يمكن ان يكون أكثر منه عند العرب أنفسهم

### دمضى سبيرة على قابلية الجزيرة للمعمار

ومما يذهب اليه بعض الناس أن جزيرة العرب لا يتهاها لها أن تكون ذات مستقبل  
ياهر، وان تكون ميدان عمل للعرب، وذلك لحرارة اقليمها التي تزيد على درجة  
الاحتمال، وتمنع العرب الذين في الديار الشمالية من الدأب في اطراف الجزيرة  
ولا رأي أعرق من هذا الرأي في الوهم

لو كانت الحرارة تمنع العمل لمنعت الاوربيين الذين نجدهم في الهند والجاوى  
ومادغشكر وزنجبار والاوغاندة وموزامبيق، وبلاد الرأس، والكونغو، وغينية  
والسنيغال وامريكا الجنوبية وغيرها مما لا يحصى، وقد صاروا فيها كالجراد  
المنتشر، وعمروا فيها أوطاناً، وأدركوا أوطاراً، وهم أقل منا تحملاً للحرارة،  
وآلف منا للبلاد الباردة، ولكنهم قاتلوا حمارة القيظ بالوسائل الفنية، وبأسالة  
المياه، وغرس الاشجار، وبث الخضره حول المنازل، بحيث تجدهم بواسطة الفن  
في نعيم مقيم في وسط ذلك السمير

على أن الحرارة الشديدة انما هي في أشهر معدودات من الصيف، وفي  
سواحل الجزيرة وتهائمها التي إن ارتفع الانسان عنها مسافة بضع ساعات في

الجبال رق الهواء وطاب الاقليم ومن هناك كلما ارتفع صار إلى الالهوية اللطيفة والاماكن التي لايفضلها في الصيف مكان من المعمور كله

جبال جزيرة العرب أطيب هواء من لبنان وسويسرة

إن في جزيرة العرب سلسلة جبال عالية لايجد أحسن منها هواء ولا أطيب اقلها لافي جبال لبنان ولا في جبال سويسرة ولا في غيرها

ولاجل أن تعلم ارتفاع هذه الجبال أريد ان أذكر لك علو بعض المدن والقرى العربية عن سطح البحر مما أمكنتني الاطلاع عليه في كتب من تأليف ضباط من أركان حرب الجيش التركي أطالوا الاقامة باليمن وكتبوا عنه

فالطائف تعلو نحو ١٦٠٠ متر عن سطح البحر على حين عين صوفر أبدع مصيف في لبنان لاتعلو أكثر من ١٠٥٠ ولا يوجد في جبل لبنان مكان مسكون يعلو عن سطح البحر أكثر من ١٥٠٠ متر

وان علو « ابها » — مركز حكومة عسير — عن سطح البحر ٢٢٧٥ مترا وأعلا منها «سوغا» فهي تعلو ٢٣٦٠ مترا . وهناك بلدة غامد وعلوها ٢١١٠ أمتار . ومحائل وعلوها ١٦١٠ أمتار

ثم ان صنعاء اليمن تعلو عن سطح البحر ٢٣٤٢ متراً . وجبل نُقْم — الذي تقدم ذكره — يعلو ٢٩٤٢ متراً، و كوكبان ٣٠٠١ متر، وتعز ١٣٤٧ متراً وعمران ٢٣٠٢ وصعدة ٢٢١٦ والروضة ٢٣٠٦ وتلا ٢٨٦١ وذمرم — تقدم ذكرها في بحث المعادن — ٢٦٩٨ وشبام — تقدم ذكرها أيضا — ٢٦٣٥ وذمار ٢٤٣١ وبوعان ٢٩٣٦ وسوق الخميس ٢٣٧٢ ومناخه ٢٣٢١

فارتفاعات مثل هذه مهما يكن من وجودها في منطقة جنوبية لا يمكن الا أن تكون المثل الاعلا في رقة الهواء وطيب المناخ، والملاءمة للصحة . وهذه الجبال



هي عندي أوتاد البيت العربي لاني منعتها الطبيعية ومواقفها الحربية فحسب، بل في بيئتها الصحية ، ونقاوتها الجوية ، إذ ذلك من أعظم العوامل التي تعتمد عليها الأسرة العربية في صيانة نفسها

وهذه السلسلة الجبلية العالية ممتدة من بلاد الشام، ومن أهم أقسامها وأطيبها نجمة جبال الشراة التي كانت معمورة جداً في صدر الاسلام، والتي لها مستقبل كبير للعرب ومستأنف باهر لوخلصت من أيدي الانكليز

ولقد أقيمت بقصبة معان شيع شهر في أثناء الحرب العامة سنة ١٩١٥ إذ كنت ذاهباً ومعى ١٢٠ مجاهداً من جماعتي إلى حرب التربة منقماً إلى الجيش العثماني الحجازي الذي كان يقوده وهيب باشا، وسرنا من معان هبوطاً مستمراً إلى قلعة النخل في صحراء التيه . ولقد قطعت في تلك الرحلة جانباً من جبال الشراة وعرفت أي جبال هي وأي نجمة طيبة هنالك

ومن حول وادي القرى في الحجاز جبال وأودية وعيون تقدم الكلام على شيء منها ، وفي جهات المدينة المنورة جبل رضوى الشهير ، قل أبو زيد وقرب ينبع جبل رضوى ، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ، ورأيت من ينبع أخضر ، وأخبرني من طاف في شعابه ان فيه مياهاً كثيرة وأشجاراً ، ومن رضوى يقطع حجر المسن ويحمل إلى الدنيا كلها ، قال النبي ﷺ «رضوى رضي الله عنه ، وقدس قدسه الله [ قدس بضم فسكون جبل بتلك الناحية ] وأحد يحبنا ونحبه» (١)

(١) اما جبل احد فخديته في الصحيحين وأما رضوى وقدس فلا يصح فيهما ما ذكر وقالوا ان المراد بحب احد لنبي ﷺ حب اهله وهم الانصار رضي الله عنهم وجوز بعضهم حمله على الحقيقة بمعنى غيبي واما قوله ﷺ « ونحبه » فجواز الوجهين فيه اظهر فان الناس يبرون بلادهم واطنهم ويفضلون بعض جبالها ومواقفها الجميلة في الحب على بعض واحب ما يحبون منها اهلها ولا سيما الآل والاصحاب والاحباب قال الشاعر

امر تلي الديار ديار ليلى      اقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حب الديار شغفن قلبي      ولاكن حب من سكن الديارا

قلت وحدثنا من يعرفون رضوى أنه مصيف كأحسن ما يوجد من مصايف الشام ماء وهواء ، وهو على مقربة من المدينة ومن ينبع وعلى ليلتين من البحر فلا يلزم لرضوى إلا تعبيد طريق تسير عليها السيارات ليحمر وتسكنه الناس وتقصده في أيام القيظ

وقال الهمداني : الجبال المشهورة عند العرب المذكورة في أشعارها : أجاً وسلمى جبلاطي ، وابان ( بفتح أوله ) وتعار ( بفتح أوله ) وابن ( بضم فسكون ) وقدس ورضوى وعروان ويسوم وحرء وثبير والعارض وقنان « بفتح أوله » وافرع ( على وزن افعل ) والنير ( بكسر النون ) وعسيب وبندبل والمجيمر ولبنان واللكام ومن أنزه الجبال في الجزيرة : أجاً وسلمى جبلاطي . قيل ان أجاً اسم رجل وسلمى اسم امرأة ، وقيل أجاً علم مرتجل وقيل بل منقول معناه الفرار ، يقال أجاً الرجل إذا فر

قل الزمخشري : أجاً وسلمى جبلان عن يسار السميراء وقد رأيتهما شاهقان ونقل ياقوت عن أبي عبيد السكوني : أجاً أحد جبلي طيء وهو غربي قيد . وبينهما مسير ليلتين وفيه قرى كثيرة . قال ومنازل طيء في الجباين عشر ليال من دون قيد إلى أقصى أجاً إلى القرىات من ناحية الشام . وبين المدينة والجباين على غير الجادة ثلاث مراحل . قال امرؤ القيس :

ابت أجاً أن تسلم العام جارها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل  
أى أبت أهل أجاً ، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، مثل قالت  
انكلترة لفرنسة كذا ، واحتجت ألمانية على كذا ، وعقدت أمريكا معاهدة  
كذا الخ . وقال عارق الطائي :

ومن أجاً حولي رعان كأنها قنابل خيل من كيت ومن ورد  
وقال العيزار بن الاخفش الطائي :

ألا حي رسم الدار أصبح بالياً      وحي وإن شاب القذال الغوانيا  
تحملن من سلمى فوجهن بالضحي      إلى أجأ يقطنن بيذا مهاوياً  
وقال زيد بن مهلهل الطائي :  
جلبنا الخيل من أجأ وسلمى      تخب نزائماً خيب الركاب  
جلبنا كل طرف أعوجي      وسلمية كخافية الغراب

وكان يحدثني عن هذين الجبلين وما فيهما من الريف والخصب والاوودية  
والعيون الاخ رشيد باشا النجدي الذي كان معتمداً لابن رشيد في الاستانة العملية  
أيام السلطنة العثمانية . وسمعت أخبارها من نجديين آخرين ، وطالما تمنيت لو  
أمكنني الرحلة إلى نجد والتنزه فيهما

والسلسلة الجبلية من الحجاز الى اليمن متصلة ، وعن يمين الذهاب من الشام  
إلى مكة التهامم الواصلة الى سيف البحر الاحمر ، وعن اليسار بلاد نجد وهي من  
أطيب البلاد نجمة وأنظفها هواء يضرب المثل بجودة هوائها فيقال بلاد  
نجدية الهواء ( ١ )

وإذا سار الراكب من الطائف إلى صنعاء اليمن لم يصل اليها الا في مسيرة  
شهر كما في الجبال العالية ، والاهوية اللطيفة ، والمناظر البديعة ، والمناهل العذبة ،

(١) للشعراء من المدح لهواء نجد والحنين الى صبا نجد ما يكاد يفوق نسبيهم  
وتشبيهم بغواني الحسان ، ولعل أمير البيان لو تذكر هذا هنا لروي لنا من  
محفوظه الواسع من الشعر الرائع ، هو اشد تشويقاً لجزيرة العرب من سرد اسماء  
المواقع ، فان ذكر تلك الصبا ، يكاد يكون ارق من ذكرى ايام الصبا ، وحيبي في  
هذه الحواشي التي اكتبها باذن الامير لتكون ذكرى لاخائنا الذي لا يلزبه نظير ،  
قول الشاعر الشهير

خذنا من صبا نجد أمانا لقلبه      فقد كاد رياها يطير بليه  
وليايكما ذاك النسيم فانه      اذا هب كان الوجد أيسر خطبه

ما شاهدنا من الاماكن النزهة بحوار الطائف

وأما ما تيسر لي مشاهدته من الاماكن النزهة بحوار الطائف فهو وادي محرم  
 أى قرن المنازل الذى ينتهي إلى وادي السيل ، ومنه يحرم الحجاج الذين هم  
 آتون من الشرق ، ولا يبعد وادي محرم عن الطائف أكثر من ساعة ونصف  
 وهو على طريق الكرا ، وهو واد يجف في الصيف إلا أن البساتين منتظمة بجانبه  
 على مسافة ثلاث أو أربع ساعات ، تشرب بالسواني وفيها من جميع أصناف الفواكه  
 وألذها ، ولم أصادف عنباً أشهى ولا أكبر حجماً من عنب وادي محرم . ومن  
 هذا الوادى يصعد الانسان إلى الهدة مرتقياً العقبة المسماة « الكرا الصغير »  
 ونحنت علوها بثلاثمائة متر ومرتقاها صعب

وقد كان الواجب على الحكومة وعلى أهالي القرى الكثيرة المجاورة ولاسيما  
 وادى محرم أن يصلحوا هذا المرتقى الذي يترجل فيه كل الركبان من وسط العقبة .  
 وإذا وصل الانسان إلى سواح الجبل وجد يقاعاً منبسطة ينشرح له الصدر ،  
 وشاهد جنانا ناضرة تشرب بالسواني أيضاً يقال لها بستان المغربي وبستان البني  
 وغيرهما . ولقد بتنا ليلتين بوادي محرم ، و ليلة واحدة في بستان المغربي ضيوفاً  
 على صاحب البستان وهو مغربي تونسي الاصل أبوه جاء الى هذا المكان وتمكن  
 به . وهناك جبل عال جداً ربما يعلو ٢٥٠ متراً عن البساتين يقال له جبل الهندي  
 وهو ناتئ من الارض صعداً أشبه بالثدنة وكان في إحدى ذراه حصن بقيت  
 فيه مدافع وجنود إلى آخر أيام الملك حسين ، وقد طلعتنا هذا الجبل إلى قنته  
 فظهر لنا جانب كبير من الحجاز وبدت لنا خضرة ونضرة وأودية لا يأخذها  
 الاحصاء ، وكان منظرًا يبهر العقول

وبإزاء هذا الجبل جبل آخر أقل منه ارتفاعاً اسمه « جبل الكمل » بجذائه  
 قرية بل قرى وبساتين تسقيها النواضح . ومن الكمل الى قرية الهدة مسيرة

خصف ساعة لاغير ، والهددة قرية من أشهر قرى الحجاز تعلو ١٧٦٠ متراً عن سطح البحر، وفيها جنان ومنازه وبعض مصايف لاهل مكة ، ولها منظر على وادي نعمان لا مثيل له في بلاد العرب لان الناظر يشرف منها على شفير الوادي المسمى « السكر الكبير » ذي العقبة الشهيرة التي تأخذ ثلاث ساعات على الصاعد وهي من الوقوف في مثل الحائط ، واذا أشرف الراي على حافة هذا الشفير لم يكن أمامه العمق الهائل فقط ، بل العمق الهائل والمرض المدهش ، فلانظر هناك حد ليس له حد

وتكتب « الهددة » بتشديد الدال لكن غلب عليها التخفيف ، وقد ذكرها ياقوت في المعجم وقال انها مكان بين مكة والطائف فيه القروود (١) قلت والقروود توجد في جبل الكمل الذي فوق الهددة وتقدم ذكره وتكثر في بعض جبال الحجاز ولكنها في جبال اليمن أكثر جداً ومن كثرة ما توصف اليمن بالقردة صار الذين يريدون أن يتنادروا على أهل اليمن يقولون ان أباهم قرد .

روى ياقوت ان زياد بن عبيد الله الحارثي خال الخليفة أبي العباس السفاح اجتمع بابن هبيرة الفزاري - وكان الاول يمانيا وكان الثاني قيسيا - فقال ابن

(١) اقتصر الامير هنا على هذا خلافا لعادته في الاستقصاء وقد ذكر ياقوت في حرف الهاء ثلاثة مواضع (١) الهدى المقصور قال (الهدى) بالفتح منقول عن الفعل الماضي من هدى يهدي اذا ارشد - موضع في نواحي الطائف (٢) (الهددة) بالفتح ثم التشديد وهو الحسفة في الارض ، والهد الهدم - وهو موضع بين مكة والطائف والنسبة اليه هدوي ، وهو موضع القروود وقد خفف بعضهم داله (٣) الهددة بتشفيف الدال من الهدى او الهدى بزيادة هاء - بأعلى مر الظهران بمدة أهل مكة ، والمدرطين ايض يحمل منها الى مكة تأكله النساء ويدق ويضاف اليه الاذخر ينسلون به ايديهم اه وذكر هذه في التاج وزاد ان بعضهم يريد فيها ألف فيقول الهدياة . اقول ولم أسمع من نطق أهل مكة الا (الهدى) بالفتح والقصر

هبيرة لزياد : ممن الرجل ؟ فقال زياد : من اليمين . فقال ابن هبيرة : فاخبرني عنها . فقال زياد : اما جبالها فكروم وورس ، واما سهولها فبر وشعير وذرة . فتغير وجه ابن هبيرة وقال : او ليس ابو اليمين القرد ؟ فقال زياد : انما يكنى القرد بولده وهو ابو قيس فيوجب أن يكون ابا قيس عيلان ، فاصفر لون ابن هبيرة من هذا الجواب

فمن هنا يظهر ان مذهب داروين كان ملحوظا في الغابرين، وكان خاطر ابوة القرد لابن آدم وارداً ، الا ان ما كان يقال في الماضي مزاحا صار اليوم جدّاً بحتاً، وحقيقة علمية . اقول حقيقة علمية بحسب رأي بعضهم ، والا فليس بصحيح ان الجمهور كلهم في اوربة تلقوا هذا الرأي بالتسليم ، بل العلماء في اوربة لا يزالون فيه مختلفين . وقد كثر في السنين الاخيرة العلماء القائلون بنقضه ، والا كثيرون على عدم الجزم لعدم كفاية دلائله ، ولوفرة نواقضه ونواقضه ، ومن العلماء من يقف موقفاً وسطاً في النظرية الداروينية فيحكم بصحة بعضها ويرد البعض الآخر مما ليس هنا موضعه

#### ناحية الشفا من جبال الطائف

ومن أنزه الجبال التي عهدتها في حياتي وأبدعها مصيفا وأطيبها نجمة وأنقاها اقباما الناحية التي يقال لها « الشفا » ( بفتح أوله ) وهي جبال المسكون منها يعلو عن الطائف نحو ألف متر وربما أكثر . وسكان هذه الناحية السفائية من ثقيف ولا تبعد عن الطائف أكثر من أربع أو خمس ساعات بالسير المعتدل . قصدنا اليها من الوهط والوهيط في رفقة من اخواننا الدكتور محمود بك حمدي . رئيس الصحية الحجازية ، وفؤاد بك حمزة مستشار الخارجية ، وفوزي بك القاوقجي قائد القوة النظامية الحجازية ، والسيد الطيب الهزاز من رجال المعية الملوكية ، ورشدي بك ملحق محرر جريدة « أم القرى » فبتنا ليلة في الوهط

وايلة في الوهيط، ثم أصبحنا قاصدين شقرا صاعدين اليها في عقاب، فبلغناها بعد مسير ساعتين من الوهيط، ومررنا في طريقنا بخربة ذات جبانة متسعة يستدل منها على أن القرية كانت ذات شان. وفي تلك الاودية سدر كثير وطلح وأشجار غيرها، وفي الجبال عرعر كثير.

وأما شقرا ففي واد لطيف عن جانبيه البساتين تسقيها النواعير أو السواني وهي حارتان : شقرا العليا وشقرا السفلى . وقد كان نزولنا عند مختار شقرا السفلى ، وشعرنا من النشاط ورقة الهواء في شقرا ما لم نعهده لا في الطائف ولا في مكان آخر . ولما أهل تلك الديار فصيحة ، سمعتم يقولون : خصر الماء ، أي برد ، فخطر ببالي قول شاعر قريش في الحجاز عمر بن أبي ربيعة :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر

ومن شقرا صعدنا عقابا أوعر وأعلى من التي توقلنا فيها بين الوهيط وشقرا ثم انحدرنا من رأس العقبة الى واد هو مبدأ وادي اية الشهير . وكنا كما تقدمنا في السير رأينا الحراج تزداد ولا سيما العرعر والعفص . ومن ذلك الوادي عدنا الى التصعيد فوصلنا الى قرية صغيرة اسمها (مسيمير) فبتنا فيها وشممنا هواءاً عاطرأً ، وشربنا ماءً خصرأً<sup>(١)</sup> وشاهدنا منظرأً ناظرأً

### قرية الفرع وموقعها من أفضل مصايف الدنيا

ومن مسيمير تسلقنا في عقبة أوعر من كل ما مضى أخذت أكثر من ساعة ونصف أفضنا في منهاها الى يفاع أفيح عليه قرية كبيرة متفرقة الحارات اسمها (الفرع) هي من أعلى المعمور في جبال الحجاز ، ومعنى الفرع في اللغة أعلى الشيء

(١) خصر الماء وغيره فهو خصر ( كتب فهو تعب ) أي برد

ومن محاسن هذه القرية انها مع علوها - ولا أظنه أقل من ٢٥٠٠ متر عن سطح البحر - واقعة في بسيط من الارض تحيط به الهضاب الخضر المغطاة بالحراج من الارز والعرعر ، وهذا البسيط المظمتن في الوسط منه ما هو مزارع للحبوب ومنه ما هو مباحل للخضر ومنه ما هو جنان للفواكه ، وكل ما ينبت هناك يأتي بغاية الزكاء والفكاهة ، والجنان تسقى بالسواني والماء غزير

ولما صرت في الفرع تمنيت أن يكون لي هناك مصيف ، ورجعته على أي مصيف آخر حتى على عين صوفر التي هي أنزه مصايف جبل لبنان مع كثرتها والتي قضيت مدة شبابي أقيظ بها، ولي فيها الاراضي الواسعة والعقارات ، نعم لم أجد أعلى ولا أهنأ ولا أعزل من الفرع

وإلى الغرب من الفرع على مسافة ٢٠ دقيقة فقط شفير عال يشرف منه الانسان على واد عميق قد حذرت انحطاطه عن الفرع بنحو ألف متر، وقد ذكر لي أهل الفرع انهم في فصل الشتاء ينحدرون من الفرع الى هذا الوادي بمواشيتهم وبشتون فيه ولا يبقى في القرية سوى بعض الحراس

وأمام هذا الوادي الى جهة الغرب - أي الى البحر - جبل عال أيضاً لكنه ليس بعلو جبل الفرع ، ووراء هذا الجبل أودية أخرى ثم جبال أقل ارتفاعاً وهكذا الى أن تصل الى البحر بين جدة والليث ، وقد سألتهم : كم مرحلة من الفرع الى جدة ؟ فقالوا انهم يصلون الى جدة في ٨ أيام بسير البعير

والى الجنوب الغربي من الفرع جبل متصل بالفرع له قمة شاهقة تعلو نحو من ثلاثمائة متر عن أرض القرية يشرف منها الانسان على البحر الاحمر، وقد حدثني صديقي الشيخ عبد القادر الشيبني انه رأى بناظوره من تلك القمة المرآكب الشراعية ماخرة في بحر الليث ، وشعفت الجبال هناك كلها شاهقة في السماء أينما وقف فيها الرائي رأى منظراً عجبا



وإلى الشرق الشمالي من الفرع قرية يقال لها «الشرف» (محرقة) هي على مساواة الفرع . ولم يقدر لنا الذهاب إلى هذه القرية وما جاورها من القرى التي هي في جبال هذيل . وجبال هذيل ممتدة من هناك إلى تهامة أي إلى ساحل البحر قال الهمداني في (صفة جزيرة العرب )

« منازل هذيل عُرنة ( بوزن همزة لمزة ) وعرفة وبطن نعمان<sup>(١)</sup> ونخلة<sup>(٢)</sup> ورجيل وكبكب<sup>(٣)</sup> (بفتح فسكون مرتين) والبوابة<sup>(٤)</sup> (بفتح فسكون) وأوطاس<sup>(٥)</sup> »

« ١ » عرنة واد بحذاء عرفات وعرفة وبطن نعمان تقدم ذكرهما من الاصل  
« ٢ » نخلة واديان لهذيل الشامية واليمانية على ليلتين من مكة يجتمعان بيصن  
حر وسبوحة والوادي الشامي يصب من الغمير واليماني من قرن المنازل من الاصل  
« ٣ » هما كبكبجان احدهما من ناحية الصفراء وهو نقب يطلمك على بدر

والاخر يطلمك على العرج وهو نقب لهذيل . قاله ياقوت اه من الاصل

« ٤ » قال ياقوت : البوابة صحراء بارض تهامة اذا خرجت من اعالى وادي  
النخلة اليمانية وهي من بلاد بني سعد بن بكر من هوازن . قال رجل من مزينة  
خيلى بالبوابة عوجا فلا ارى بها منزلا الا جديب المقيد  
نذق برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة في حمامها المتوقد

فكلامه يختلف عن كلام الهمداني الذي يجمعها من بلاد هذيل . ولعل منها ما هو لهوازن ومنها ما هو لهذيل

« ٥ » اما اوطاس فيقول ياقوت انها في ديار هوازن وبها كانت غزوة حنين وبها قال النبي ﷺ « حمى الوطيس » فارسها مثلا قال ابن شبيب النور من ذات عرق الى اوطاس واطاس على نفس الطريق ونجد من حد اوطاس الى القرينين ولما نزل المشركون باوطاس قال دريد بن الصمة - وكان مع هوازن شيخاً كبيراً - بأى واد لستم ؟ قالوا باوطاس ، قال نعم مجال الخيل ، لاحزن ضرس ، ولا سهل دهن ، وقال لاحد بن فارس في اماله

( بفتح فسكون) وعروان (١١) ( بفتح فسكون)

(قلت) ان جبل الفرع وجبل الشرف وجميع الشعاف والشناخيب التي هناك هي داخلة تحت اسم عروان . واقدم سألت الاهالي عن درجة البرد في الشتاء والربيع في تلك الجبال الشاخنة فقالوا: ان الماء يجمد فيها دائماً ، ولكنه لا ينزل.

= يادار اقوت باوطاس وغيرها من بعد مأهولها الامطار والمور  
كم اذا لاهلك من دهر ومن حجج واين حل الدمى والكنس الحور  
ردى الجواب على حران مكتئب سهاده مطلق والنوم مأسور  
فلم تبين اما الاطلال من خبر وقد تجلي العمايات الاخابير

«١٤» واما عروان فقد جاء في المعجم انه جبل بمكة وهو الجبل الذي في ذروته الطائف وتسكنه قبائل هذيل وليس بالحجاز . وضع اعلى من هذا الجبل ولذلك اعتدل هواء الطائف وقيل ان الماء يجمد فيه وليس في الحجاز موضع يجمد فيه الماء سوى عروان قال ابو صخر الهذلي

فألحقن محبوبا كأن نشاصه مناكب من عروان بيض الاهاضب

المحبوك الماتلىء من السحاب ونشاصه سحابه

(فات) مراده بقوله في ذروته الطائف : بلاد الطائف كلها لأن جميع هذه الجبال يطلق عليها اسم الطائف . واما الماء فيجمد في اكثر هذه الجبال واحياناً في نفس قصبه الطائف . واما ما يرى من الاختلاف بين قول الهمداني وياقوت — والهمداني طاش قبل ياقوت بثلاثمائة سنة — بقول هذا ان ديار كذا لهذيل وقول ذلك انها لهوازن، فلعل السبب فيه تغير الايام، والهمداني نفسه يقول بعد ان ذكر منازل هذيل ان بني سعد اخرجوهم منها في وقته ذلك بمؤونة عجب بن شاخ ساطان مكة . ثم يقول الهمداني ان عروان امنع الحجازواكثرها صيداً وعسلا من الاصل

بها الثلج المعروف ببلاذنا الشامية (١) وذكروا انه ينزل عندهم صقيع أبيض يجدونه  
حسباً قد غطى الارض

لغة ثقيف وهذيل في هذا العهد

وأما عربية الاهالي ثقيف وهذيل فنقية ، وكيف لا وثقيف مضرب المثل  
بفصاحتهم يقال : شاعر ثقيفي ، ويقال مثل آخر : أكثر من شعراء هذيل . وكان عمر  
يقول : لا يملي مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف ، وكان عثمان يقول عند جمع القرآن :  
اجعلوا المملي من هذيل والكتاب من ثقيف

ومررت بسانية في الفرع يديرها شاب لا يتجاوز العشرين فأخذت أحادثه  
وأسأله عن الفرع فقال لي : سقى الله الفرع فيها من فضول الله ما لا يحصى . أعجبني  
جداً كلاماً ، وقوله «سقى الله الفرع» هذه العبارة الشعرية ثم قوله : فضول الله . ولو  
كان من أهل بلاذنا الشامية لقال : افضال الله . مجمع فضلاً على افضال وهو خطأ  
وصوابه فضول كما قل الشاب الفرعي الثقيفي . وحسبك أن أدباءنا وقوموا في هذا  
الخطأ فضلاً عن عوامنا ، وانتقد احمد بن فارس الشدياق على ناصيف اليازجي  
— وكلاهما من مفاخر سورية — قوله

مضى يجمع الافضال وهي عبيدة

ولكن عند ثقيف وهذيل لغة لم أقرأ عنها في كتاب ولا سمعت بها في مجلس  
وهي أن يتلفظوا بالضاد والطاء كاللام المفخمة فيقولون مثلاً : الليف ، في الضيف  
وصلاة اللهر ، في صلاة الظهر ، وقرية الليق في قرية الضيق ، وهلم جرأً  
وقد لحظت أنا ذلك ولحظه جميع الرقوق وقضينا من هذه اللغة العجب ، ولم

(١) السبب في ذلك ان بلاد الشام يكثر فيها بخار الماء المتصاعد من البحر  
والانهار وجبال الطائف بعيدة عن البحر وليس فيها انهار كأنهار الشام

نسمع هذه اللفظة في بلدة الطائف ، ولا في وادي محرم ، ولا في الهدة ، ولا في وادي لية ، وانما سمعناها من الوهيظ فصاعداً اي في الشفا عند هذيل ، وهذا الحلي من ثقيف

ولما كنت في الصيف الفائت في الاندلس سمعتهم يقولون في كل بلدة «الرابال» يعنون به ضاحية البلدة فأردت ان أعرف مأخذها فقرأت في كتبهم اللغوية انها لفظة عربية محرفة عن «الربض» ففكرت حينئذ في قلب الضاد لاما عند هذيل ومن جاورهم من ثقيف ، وقلت من يدري؟ فلعل أول من تلفظ «بالربض» هنالك تلفظ بها باللام (١) فقد كان في غزاة الاندلس كثير من هذيل وثقيف

وبتنا ليلة واحدة في الفرع ، ولكن لم تقدر ان ننام إلا بعد ان أشعلوا النار في الموقد وأكبروها وبعد أن التحفا أسمك الاغطية وكنا في صلاتي المغرب والعشاء نتوضأ بالماء الساخن ، وجلسنا بعد الظهر

(١) مخرج الضاد العربية الفصحى قريب من اللام المفخمة فهو بينها وبين مخرج الظاء فلهذا تشبه الضاد تارة بالظاء في نطق أكثر العرب الى عهدنا هذا وتارة باللام المفخمة في نطق هؤلاء الهذليين والثقفين، ومثل هذا الاشتباه يكثر في النطق ولا سيما نطق الذي يعجل بالكلام فيلتقاء بهض السامعين محرفاً فيصير التحريف اصلاً متبعاً

وذكر علماء اللغة انه سمع ابدال اللام من الضاد فقالوا الضجع اي اضطجع كعكسه في قولهم رجل جضد اي جلد . وبعد كتابة ما تقدم راجعت مادة ضجع في التاج فاذا هو يقول قال المازني ان بهض العرب يكره الجمع بين حرفين مطبقين فيقول «الطجع» ويبدل مسكان الضاد اقرب الحروف اليها وهي اللام زاد في اللسان وهو شاذ وقال الازهري وربما ابدلوا اللام ضادا كما ابدلوا الضاد لاما قال بعضهم الطراد واضطراد لطراد الخيل اهـ واورد شاهد الكلمة الطجع .

على سطح بيت فلما كان عند أذان العصر شعرنا بالبرد ودخلنا إلى الداخل وكان.  
مبيتنا في الفرع ليلة ٢٢ أغسطس اي في إبان الفيض ، فاذا كان هذا في الصيف فما  
ظنك بالربيع والشتاء والخريف ؟

ثم انحدرنا من الفرع إلى واد لطيف ملآن بالشجر اسمه « الضيق » ( بفتح  
أوله ) او على رأيهم « الليق » بتعظيم اللام ، وتماولما الغداء في قرية بهذا الوادي  
ثم انتهينا إلى الوادي الذي ذكرنا انه مبدأ لمياه وادي لية وصعدنا منه عقبه أفضنا  
منها إلى أراض منبسطة جيدة للزرع وفيها السواني والبساتين والقرى ، وأبنية  
جميع القرى هناك وفي جميع جبال الحجاز كلها بالحجر وبغاية المتانة ، ومنها ما يخاله  
الانسان أبراجا وحصونا ، وفي كل قرية أو دسكرة برج للحصار مستدير الشكل  
عال متين البناء معمم الرأس بمدماك من الحجارة البيض

وكانوا في أثناء غزوات بعضهم لبعض والوقائع التي تحصل بينهم اذا هاجمت  
القرية قوة تفوق قوة أهائها لجأوا إلى هذا البرج واعتصموا به ، وجعلوا يرمون  
بالبندق من أعلاه

أما اليوم فقد مضى كل هذا وأينا سرت يقولون لك ذلك القول الذي روينا  
من قبل وهو : ان الامن في زمن ابن سعود خيم تخيما تاما على جميع البلاد ، وان  
الدماء واثارات كلها انقطعت ، وصار الجميع يسرون في كل مكان بدون سلاح .  
وقيل لنا إن لاودية التي سلكنها ، وانفروع التي فرعناها ، لم يكن أحدي الماضي  
ليسلكها إلا برفقة شائكة السلاح ، وان الحكومة في أيام الاتراك لم تصل ولا  
مرة إلى الفرع والشفاء ، ولا قدر أحد من اترك ان يطأ تلك الارض .

ومن هناك سرنا إلى قرية يقال لها « الأمت » ( بفتح فسكون ) هي أدنى  
قرى الش. ا إلى مدينة الطائف لا تبعد عنها أكثر من ثلاث ساعات وقد كان مبيتنا  
بتلك القرية وهي قرية في واد تشرف عليه جروف جبال كثيرة الصخور والجنادل.

والأمت بالعربي معناه المكان المرتفع ، ومعناه الروابي الصغار ، ومعناه مسايل الاودية ، ومعناه الوهدة بين نشزين ، ومعناه الانخفاض والارتفاع ، ومنه قوله تعالى ( لا ترى فيها جوعا ولا أمتاً ) أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع . وأصح معنى ينطبق على الامت الذي نحن في صددده « مسايل الاودية » او « الوهدة بين نشزين » لان القرية هي في مسيل واد وهي منخفضة بين نشزين ، ويجوز أن يكون من باب الانخفاض والارتفاع لاننا هبطناها بمقبة ثم بعد أن وصلنا اليها وجدنا عقبة ثانية على مقربة منها إلى ناحية الطائف

ومن « الامت » إلى الطائف مررنا بواد كانت فيه سدود عدملية قديمة تجري منها المياه باقنية منحوتة في الصخر إلى بساتين خاوية الآن على عروشها . ثم اننا ملنا إلى بستان اسمه بستان القصر في نفس هذا الوادي عليه سائبة غزيرة الماء تخص رجلا من القبيلة التي يقال لها قريش فتناولنا فيها الطعام وبعد القيلولة ركبنا عائدین إلى الطائف

وأقول باختصار ان مسافة الانتقال من حرارة مكة بالنصيف الى برودة الشفا التي وصفناها للقاريء لاتزيد اليوم على نهار واحد ، فن مكة الى الطائف بالسيارة الكهربية خمس ساعات (١) ومن الطائف الى الفرع خمس الى ست ساعات ، ولو كان للشفا طرق معبدة لكان المصطاف يركب السيارة من مكة صباحا فيكون في الفرع وقت أذان العصر

(١) بلغنا في العام الماضي انهم وجدوا او عبدوا طريقنا آخر يقطع في ثلاث

ساعات او اقل

سكان الطائف وما حولها

أما سكان الطائف فهم شتى شواطيط من عرب من ثقيف وعتيبة وغيرها ومن ترك وهنود وأجناس أخرى

وأما اقليم الطائف فسكان وادي لية من أوسط الوادي الى أسفل الزوران فخذ من عتيبة أي هوازن، ومن وسط الوادي الى أعلاه الفعور وهم أشراف تقدم ذكرهم ، وأما الذين هم بأعلى الوادي - ونزلنا عندهم لما ذهبنا الى وادي لية - فهم عوف بطن من حرب ، حرب من بني هلال

وأما ركبة الشهيرة التي تقع الى الشرق الشمالي من الطائف ففيها عدة أخاذ من عتيبة أهمها : العصماء ، الشيايين ، الروقة ، المقطاء ، الجمعة ، الودانين ، السوطة ، العمارة ، القثمة ، الثبته

وأما وادي محرم فعلموه ثقيف ووسطه النمرور وأسفله الى وادي السيل طويرق وأما الهدة فأهل وادي الاعمق الذراوة ، والزنان ، وآل أبي شذب ، والمعالوه ، وكاهم من ثقيف .

ونفس قرية الهدة فيها الغشامرة والقصران وبنو صخر ومرجمهم أيضاً الى ثقيف والدرج وهو عدة قرى على واد ينصب الى وادي وج الى الشرق من لقيم سكانه الاشراف ذوو ناصر الذين منهم حمود وشاكر

وكانت ثقيف ممتدة الى ركبة لكن هوازن أرجعهم الى جبال الحجاز ثم ان ثقيفا تنقسم الى عدة أخاذ اكبرها سفيان وثمالة ، ومنها قریش بني سالم والغشامرة والقصران . وبنو سفيان سكان الشفاء ينقسمون الى بني عمر آل حجة والى آل ساعد وآل عيشة وآل حسن

وتمالة تنقسم الى المشايخ الحدادين ( يقال انهم من سلالة الشيخ الحداد )  
والضباعين والسودة وآل زيد وآل مقبل وآل ساعد وآل عمر  
وجميع قبائل الطائف وبلادها ما عدا الاشراف وما عدا المدوان تفرع مع  
ثقيف ضد هوازن، وتسمى ثقيف يوم الفرزة خندقاء، وتسمى هوازن أوعتية شبابة  
ولا تنحصر عتبية في هوازن بل قد دخلها بطريق الحلف قبائل أخرى  
وهذيل يسكنون في جبل برد وما يليه وتسمى هذيل الطلحات

## استطراذ

( في قبائل الحجاز بين الحرمين وشمالى المدينة المنورة )

لما كنا قد ذكرنا قبائل هوازن وثقيف وهذيل وغيرها من سكان جبال  
الطائف فلا بأس بذكر سائر قبائل الحجاز ممن ينزلون بين الحرمين ، ومن المدينة  
إلى الشمال ، وقد كنا يوم زرنا المدينة النبوية قبل الحرب العامة بسنة أخذنا  
جدول هذه القبائل من سجلات الحكومة ، وإطلعنا على معلومات ذات قيمة بشأنها  
قرأنا إلحاقها بهذا الكتاب تماما للفائدة

فأهم هذه القبائل حرب . وهم بنو حرب بن هلال بن عامر بن صعصعة  
من العرب العدنانية وحرب خلف أربعة أولاد : سالم ومسروح وعبدالله وعمرو .  
فسروح أكثرهم ولداً ، وقد دخلت بطون بني عبدالله وبني عمرو في مسروح .  
أما صبح الاعشى فيقول نقلاً عن الحداني : انهم ثلاثة بطون : بنو مسروح  
وبنو سالم وبنو عبيدالله ، وقال ان من حرب زبيد الحجاز وذكر ان منهم بني عمرو .  
ومنازل مسروح من مكة إلى المدينة المنورة وعددهم يزيد على ستين الف نسمة  
وأما بنو سالم من حرب فمنازلم من مكة إلى المدينة إلى وادي الصفراء إلى



الجديدة إلى ينبع البحر وهم يزيدون على خمسين الفا . فحرب إذا اجتمعت تزيد على مائة الف نسمة ، وكان شيخ مشايخ حرب خلف بن حذيفة الاحمدي . وكان ناصر بن نصار الظاهر ومنصور الظاهري من مشايخ الراوحة من بني سالم من حرب .  
 وبنو مزينة الذين باطراف المدينة والذين منهم زهير بن أبي سلمى المزني صاحب المعلقة داخلون الآن في بني سالم من حرب . والحال ان مزينة في الاصل هم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن اد بن طابخة واسمه عمرو بن الياس بن مضر على ما في صحيح الاعشى . فقد دخلوا اليوم في بني سالم من حرب وكان شيخهم حجاب بن نجيت معدوداً من مشايخ الراوحة من بني سالم .  
 وكان من مشايخ حرب يوم زرت المدينة المنورة أو قبل ذلك بقليل نجيت ابن بنيان شيخ اللمبة من عوف من مسروح ، والشيخ ابراهيم بن فهيد شيخ قرية قبا والشيخ احمد بن معين من مسروح . وكان محارب بن موقد شيخ الصواعد من عوف من مسروح ، ومرزوق بن عمر شيخ بئر الماشي من عوف من مسروح أيضاً . وكان أحمد بن مزيع بن ريبيق شيخ بني عمرو من مسروح بوادي الفرع ، ومريع بن محمد شيخ قبيلة جهم من بني عمرو بوادي الفرع أيضاً ، وكان عبدالله أبو ربة شيخ قبيلة السهلبة من عوف ثم قبيلة صبح بيدر وشيخها ابن حصاني الصبهي . وقبيلة صبح تنقسم الى اللبدة ، وبني عبدالله وذوي مرزوق . ويوجد فرقة من الاشراف بيدر كان شيخهم الشريف محمد بن سالم بن عبدالله بن نامي ثم قبيلة زبيد بين ينبع وجدة . ومن زبيد هذه في الجزيرة الفراتية وفي الديار الشامية وفي بلدان أخرى مما نزله العرب . وزبيد بضم الزاي وفتح الباء الموحدة هو ابن معن بن عمرو بن عزيز بن سلامان بن عمرو بن الغوث بن طيء .  
 ومنهم بساحل الحجاز الشمالي عدد كبير يقال ان منهم نحواً من ثلاثين ألف رجل يعملون في البحر ، يجلبون الصدف ويفوضون على الاؤلؤ . وكان الشيخ حسين

ابن مبيريك شيخ رابع هوشينخ زبيد . ومن مشايخهم الكبار محمد بن حسم والى المشرق منهم بنو سليم وبنو عبد الله والروقة . وبنو سليم ( بضم السين ) من أشهر قبائل العرب ويقول الحمداني أنهم أكبر قبائل قيس ، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان من العدنانية . ومن منازلهم جرة سليم وحره النار بين وادي القرى وتيماء . وأكثر عرب بركة والجبل الاخضر من بني سليم بن منصور وهم هم الذين ابتلاهم الله بالطليان في هذا العصر ولم يزالوا يجاهدون عن دينهم ووطنهم منذ عشرين سنة . وفي عرب مصر كثير من بني سليم بن منصور ، ومشايخ الاحامدة الذين هم مشايخ حرب في الحجاز يقال انهم من سليم وإن جدهم العباس بن مرداس السلمي

ثم قبيلة جهينة المنتشرة من ينبع الى الوجه . وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث ابن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة من العرب القحطانية ، وهم من أكبر القبائل ، قيل ان إبراهيم باشا بن محمد علي باشا أحصاهم فبلغوا في أيامه ٤٠ ألفاً ، وسمعت من يحزرم اليوم بسبعين ألفاً وبمائة ألف . وهم فئتان : موسى ومالك . وكان أمير جهينة من قبل العرب الشريف جابر بن حمد العياشي يقيم بينبع النخل ، ومن جهة الدولة العثمانية لأواخر أيامها بالحجاز الشريف محمد بن علي بن بديوي الهجاري يقيم بينبع البحر . والروان فرقة تابعة لجهينة . وكان من شيوخ جهينة أحمد بن حماد الشطيري في ينبع النخل وصالح بن حامد الصريصري . وكان حنيشان بن سليم شيخ قبيلة عروة من جهينة . وكان من مشايخهم في ينبع النخل عبد الرحمن أبو رقيقة ومطلق المشرق . وأشهر فرق جهينة العياشي وهم أشراف ، والصبحة ، والعلاوين ، وذبيان ، والعقبي ، والحجوري ، والحياوي ، والفايدي ، والراوين ، والزايدي ، والعامري ، وهم من قبيلة موسى . وعروة وأشراف ذوي هجار ، والموال ، ورقاعة ، والحصينات ، وبنو كليب ، والحمدة ،

والاساوردة، والسنانى، والصيادى، والريباوى، والقضاة، وغيرهم. وهؤلاء هم بنو مالك  
ثم قبيلة بلي من الوجه الى ظبي ومن البحر الى مدائن صالح شرقا. وبلي (بفتح  
الباء) بن عمرو بن الحافى بن قضاة. وقد ذكر القلقشندي ان من بلي ومن جهينة  
قبائل في صعيد مصر. وقيل لي في المدينة المنورة ان عدد بلي قريب من عدد  
جهينة وهم عدة فرق، المعائلة، والعريفات، والرموث، والهلبان، ووابصة، والسحمة  
والقواعين، والمواهب، وذبالة. وكان شيخهم سليمان باشا بن رقامات في  
أثناء الحرب العامة

وإلى الشرق من بلي قبيلة الفقير وهم من عنزة، ومنازلهم من المدائن الى تيماء، وهم  
فرق: الشفقة، والجيمات، والغاصيب، والحجور، والخاعلة، وعددهم نحو ١٠ آلاف  
وولد علي وهم من عنزة أيضا، ومن هؤلاء قبيلة في بر الشام هي فرقان:  
(إحداهما) شيخها ابن سمير (والثانية) شيخها الطيار، وأما الذين من ولد  
علي بالحجاز فنمازلهم بين الملا وخيبر، وقد يبلغون ٢٠ ألفا وهم: المسعد، والسند،  
والشراعية، والمطيفات، والرميلات، والخالد، والركاب، والطلوح، والدحجان،  
وجبارة، والطوامة، وكان أشهر مشايخ ولد علي يوم زرت المدينة فرحان الايدة  
وأولاد سليمان وهم كذلك من عنزة. ومنازلهم بأطراف خيبر من جهة  
الشمال والشرق وهم من ٥٠ الى ٧٠ ألفا وهم الشمالان، والسبعة، والجمافرة،  
والبجائرة، والخشة، والسلامات، وشيخهم العواجبي

ثم ان من قبائل الحجاز مطير وهم أربع فرق: الاولى ميمون وهم العيابين،  
والهويات، والسكان، والوهيطات، والسميحات، والرمائية، والمدخال، والحرشان  
وغراية، والجمافرة، ويبلغون نحو ١٠ آلاف

ثم الصعبة ومنازلهم بقرب الحناكية الى الشرق وهم: المها لكة، والشطار، والحشوش  
والشتيات، والمضبيلات، والمشاريف، والوطابين، والمجلة، وهم في العدد نظير ميمون

ثم ذوو عوز ومنازلهم من الصفية إلى السوارقية وهم: الحجيلات، وذوو ميزان، والسقاين، وذوو شطيظ، وذوو بدير، والحلف، وذوو عزيز، وعددهم كعدد ميمون أو الصعبة

ثم الرياحين ومنازلهم باطراق السوارقية وهم: الوسمي، والعوارض، والعنائرة، والكركرة، والمعاسي، والعطال، والمطارقة، والهبور، وعددهم أقل من إحدى الفرق الأخرى ومجموع عدد مطير قد يناهز ٤٠ ألفا ويقال انهم أكثر

ثم ان من قبائل الحجاز الحويطات. ومنازلهم من ظبى إلى المويلح إلى العقبة وكان أكبر شيوخهم ياسين بن عليان . ويبلغ الناس في عددهم فيقولون ١٠٠ ألف ويقولون ٢٠٠ ألف ولهم كثير من المراسي على البحر . ويتصل محلهم ببني عطية الذين في جبال الشراة التابعة اليوم لشرقي الاردن

ومن خبير الى الحائط، والحويط إلى الحرة قبيلة هتيم وليست من القبائل المعروفة بالاصالة في العرب ولكنها كثيرة العدد تصادم شمر، وتصادم حرب وتصادم أية قبيلة كبيرة . ويقال إنها نحو ٢٠٠ ألف نسمة . وشرقي هتيم حرب الشرقية أي حرب نجد ومن شرقيهم شمر وهي من أعظم قبائل العرب نسبها في طيء فيما أتذكر

وأما منطقة الجوف فهي تابعة لنجد والجميع الآن في مملكة ابن سعود وعرب الجوف هم من عنزة، والشرارات، والحوازم، ويبلغ عدد أهل الجوف ١٠ آلاف ولكنها تسم أضعاف هذا العدد لكثرة مياهها ونخيلها وخصب أرضها وهي تبعد عن دمشق مسيرة ستة أيام وعن بغداد سبعة أيام وعن المدينة المنورة ثمانية أيام وعن حائل سبعة أيام . فلا يوجد بلدة أوسط منها في بلاد العرب. وعلى مسافة ١١ ساعة من الجوف مدينة سكاكة وقد تكون أكثر سكانا من الجوف وأقرب نقطة إلى الجوف من المعمور الغربي هي الكرك لان من الجوف إلى محطة

القطرانة مسيرة يومين ، ومن محطة القطرانة على سكة حديد الحجاز إلى الكرك  
مسيرة ست ساعات لاغير

وفي منطقة الجوف الطوير وفيها ٤٠٠ مقاتل وقارة وفيها ٧٠٠ مقاتل ويتبع  
هذه المنطقة قريات الملح وهي: الكهف، واثرة، والقرقر، والشواش، والعقيلة ،  
وأم الاجراس، وفيها كلها نحو ٤٠٠ مقاتل . وهي واقعة في وادي السرحان ومركز  
عامل ابن سعود فيها قرية كهف . وعلى مسافة ساعتين منها النبك الذي نزل  
به بقية المجاهدين السوريين لما أجلاهم الانكايز بالاتفاق مع الفرنسيين عن  
الازرق منذ ثلاث سنوات . وأقام أخي عادل بالنبك نحو سنتين، ولا يزال فيه  
محمد باشا عز الدين الحلبي ومعه بضع مئات منهم، كما ان سلطان باشا الاطرش ومعه  
بضع مئات نازلون بالحديثة وعين كرم على مقربة من النبك

وعلى مسافة ثلاثة أيام من مدينة الجوف إلى القبلة بلدة تيماء وهي عن سكة  
الحجاز الحديدية على مسافة يوم الى الشرق . ويقول ياقوت ان الابلق الفرد  
حصن السموأل بن عادياء مشرف عليها .

وشرقي تيماء قرى متعددة هي: موقد ، وقبة ، وقنا ، وأم القلبان، وطوية،  
والجدامية ، والوزيد . وبين المدينة وحائل الحائط والحويط

## خاتمة الارتسامات

(في صفة موقع الطائف الجغرافي والعسكري ومكانه من البلاد العربية كلها وما كانت شرعت فيه الدولة العثمانية من جملة مركز قوتها في بلاد العرب وما يجب على الامة العربية من ذلك )

ألا إن مدينة الطائف مركز عظيم في بلاد العرب لأنها لمكة من قبيل لازم وملزوم ، ولأن اقليمها من أبداع الاقليم ، وثمراتها من أشهى الثمرات ، ولكونها متوسطة في الجزيرة الحجاز محيط بها ، واليمن جنوبيها ، ونجد والعراق شرقيها ، والمدينة المنورة والشام شماليها . فأختم كتابي ببيان ما يجب على الامة العربية في موقعها لحظت الدولة العثمانية هذه الاهمية لموقع الطائف فكان السلطان عبد الحميد الثاني العثماني عزم على مد الخط الحديدي من الشام إلى المدينة ثم إلى مكة فالطائف فمسير فصنعاء اليمن ، ولم يقر ذلك بمجرد رأيه ، بل جمع الوزراء وكبار رجال العسكرية ، وبعد مذاكرات طويلة استمرت عدة ساعات أصدر ذلك المجلس قراره بملزوم انشاء هذا الخط وقاية لجزيرة العرب من عوادي الاعداء ، وتقريباً لها من مركز السلطنة (١)

ولقد تمكن السلطان من إيصال الخط من دمشق إلى المدينة المنورة ، وسارت عليه القطر التي لم يكن في كل أوربة إذ ذاك قطر أجمل منها ، وكان المسافر يقطع ما بين دمشق والمدينة أي زهاء ألف وأربعمائة وخمسين كيلومتراً في ليلتين ، ولولا مصادفة خلع السلطان أيام العمل بهذا الخط لكان أكله إلى مكة وإلى الطائف وشاربه حتى صنعاء

(١) نزيد على هذا اعتقاد الترك ان سلطانهم على جزيرة العرب لا يتم ولا يدوم الا بذلك فكان همهم غرض لهم منه ان لا يتمكن العرب من مجيديد دولة لهم في معقل وطنهم وعقرب دارهم

فمن واجبات الامة العربية السعي في اكمال مشروع السلطان عبد الحميد هذا . فقد كان السلطان ووزراؤه يرونه ضروريا للوحدة العثمانية وكان ذلك حقاً ، ولكن العثمانية قد ذهبت وذهبت وحدثها ، وانطوى بساطها ، وأما العربية فلن تذهب ، وحدثها لن تزال نشيدة آمال العرب ، وان من أركان هذه الوحدة وأعمدها الكبرى هذا الخط الحديدي ، الذي لا يقف الانكاييز والفرنسيس في وجه استئناف اتصاله بالشام وفلسطين إلا خوفاً من نقطة هذه الوحدة

ثم ان الدولة العثمانية كانت قد شيدت في الطائف ثكنة عسكرية من أعظم ثكن الجنود في العالم . طولها ثلاثمائة متر ، وعرضها ما يقرب من ذلك ، وأمامها سهل منبسط مستو كخذ الحصان لا يجتازه الماشي من باب القشلة إلى آخره في أقل من عشرين دقيقة . وقد جعلت في جانب من هذه الثكنة العظيمة مستشفى متقناً ، وفي وسط ميدان الثكنة الفسيح قهراً لاجتماع أمراء الجيش ، وجميع هذه الابنية لاتزال ماثلة لا ينبغي لها الا بعض ترميمات غير ذات بال

ولقد علمت من حديث دار بيني وبين سمو الامير المهذب الكامل فيصل ابن عبدالعزيز - ثاني أنجال جلالة الملك ونائب جلالتة في الحجاز - ان ترميم المستشفى واعادته كما كان من الامور المقررة ، وكذلك ترميم القصر الذي في وسط الميدان بحيث يجاس فيه الملك عند ما يجيء الى الطائف ، وانهم ينوون نقل جميع دوائر الحكومة في الصيف الى الثكنة ، وكذلك دوائر امارة الطائف . وهذا لعمري من الامور التي تنبغي المبادرة اليها - وقاية لثكنة من التداعي ، لأن كل بناء مهجور ، محكوم عليه بالذئور ، ولقد كلف بناء هذه الثكنة الدولة العثمانية مبالغ طائلة ، فكما تأخرت اقامة الحكومة بالثكنة ازدادت على الحكومة الحجازية النجدية كلفة تجديدها

وأما الجند النظامي السمودي الذي في الحجاز فانه يقيم في مكة بالثكنة التي في

جرول في أول البلد الحرام للقادم من جدة، ويقوم في جدة بشكنة جدة المناوحة للبحر، ويقوم في الطائف بقلمه الطائف وهي قلعة بنيت منذ نيف ومائة سنة، قبل لي بناها الوهابيون قدمتهم الأولى في القرن الماضي . ولقد زرتها وسررت بانتظام الجند الذي فيها بقيادة ضابط تركي باق من أيام الملك حسين اسمه تحسين بك من خيرة الضباط ، ولقد ازدادت الثقة الآن بحسن قيادة الجيش الحجازي بعد أن عهد بها الملك عبد العزيز (أيداه الله) إلى المجاهد المناضل ، والعالم الفاضل ، فوزي بك القاقجي من نخبة ضباط العرب، وفقه الله لتحقيق آمال الملك وآمال العرب في القوة النظامية السعودية

ولما زرت القلعة جلسنا في الغرفة التي كان يسكن بها مدحت باشا أبو الدستور العثماني والتي قتل فيها ، وأمامها غرفة كان يسكن فيها محمود باشا الداماد ، وهناك غرفة ثالثة كان يسكن فيها خير الله أفندي شيخ الإسلام ، هؤلاء الثلاثة الذين نعام السلطان عبد الحميد إلى الطائف من أجل خلع عمه السلطان عبد العزيز

#### صفة قتل مدحت باشا ومحمود باشا الداماد

ولقد استقصيت من تحسين بك المذكور ومن الشيخ محمد بكر كمال رئيس بلدية الطائف ومن غيره من العمرين فيها عما يعلونه من كيفية قتل مدحت ومحمود الداماد ، فقبل لي ما خلاصته : جملوا إقامتهم من البداية في القلعة لكن مع الترفيه والاعتناء ، وكان لهم طاه خاص يصلح لهم طعامهم ، لكن بعد أن مضت على ذلك مدة شرعوا بالتضييق عليهم ، وأبوا أن يطعموهم إلا من غذاء العسكر . وبعد عدة سنوات من حبسهم بالقلعة وفي أيام الوالي المشير عثمان نوري باشا قرروا قتل مدحت باشا ومحمود باشا الداماد ، وكان مدحت في الغرفة التي جلسنا فيها وهي محل استقبال الزائرين اليوم ، فدخل عليه ملازم تركي اسمه اسماعيل . قبل لي يوم كنت بالطائف (صيف سنة ١٢٤٧) انه لا يزال حياً يرزق وانه مقيم



مجيدة ، ولم يكن قتل هذا الضابط لمدحت خنقا كما كنا نسمع ، بل قبض على أثيبه واستلها بقوة عصبه ، فبرد مدحت في مكانه ، ثم عادوا الى الداماد فحاول أن يجاحش عن خيط رقبتة، ولكنهم صرعوه وأزهقوا روحه ، ولم يستسلا للوت بدون صراخ ، بل استغاثا بالجيران الذين بيوتهم مجاورة للقاعة ، فصاح النساء بالذين في القاعة ووبختهم ودعون عليهم، واشتدت الولوجة، إلا أن ذلك لم يمنع قيام القتلة بانفاذ الامر ،

وأما خير الله افندي شيخ الاسلام فلم يمسه وبقي في القاعة الى أن مات ، وتزوج وهو بالقاعة وولد أولاداً وعاش طويلاً، ودفن مدحت ومحمود الداماد بتربة الخبر ابن عباس، ولكن رئيس البلدية قال لي انهم لا يعلمون في أية زاوية من الجبانة كانت مراقدهما، وقد جاء بعض الاتراك بعد اعلان الدستور العثماني وبخشا عنهما وبنوا لهما قبرين حيث رجح الناس انه وقع دفنهما  
وأما قطع رأس مدحت وارساله الى السلطان عبد الحميد في الاستانة كما هو شائع فلا يعلم هؤلاء الرواة شيئاً عنه  
ذكرنا هذه الواقعة لانها تاريخية مهمة

وكان الفراغ من تبييض هذا الكتاب بمدينة لوزان من بلاد سويسرة  
لأربع خلون من ذي الحجة سنة ١٣٤٩ الموافق ٢٢ ابريل سنة ١٩٣١  
والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله على سيدنا محمد  
وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

﴿ وقد تم طبعه في شهر المحرم سنة ١٣٥٠ لله الحمد ﴾

## استدراكان

(بعد ان تم طبع الرحلة الا هذه الكرامة ( الملزمة ) الاخيرة جاءنا  
من مؤلفها الامير هذان الاستدراكان لاجل إلحاقهما ببحث المعادن فنشرناهما  
هنا لما فيهما من المناسبة للاختام في الحظ والحث على المبادرة الى عمران  
الجزيرة)

### الاستدراك الاول

أرجو منكم اذا وصلتكم الى بحث المعادن أن تضيفوا الى المتن أو تضعوا  
بالحاشية الجملة الآتية :

« ومن المعادن المعروفة في الحجاز معادن السوارقية وهي على ثلاث مراحل  
من المدينة إلى الشرق منها وهي ذمب وفضة وورصاص وهناك طواحينها وافرانها .  
ومن الغريب اني لم أجدها في معجم ياقوت إلا اذا كان قد ذكرها تحت اسم آخر .  
وبحثت في القاموس وانتاج عن « السوارقية » فرأيت انه يذكر بلدة بهذا الاسم بين  
الحرابين الشريفين ولم يذكر ان فيها معادن ويقول انها « بضم أولها »  
واذا وصلتكم إلى ذكر خيبر أن تضيفوا إلى كلامي عليها الجملة الآتية :  
« ولما كنت في المدينة المنورة سنة ١٣٣٢ قيل لي ان خيبر هي عن المدينة  
على مسافة ثلاثة أيام الى الشمال بسير الجمل وانها كانت آتلة الى الخراب فبعد ان  
كان ابن رشيد يأخذ منها في السنة ١٢٥ ألف ريال أصبحت الدولة لا تأخذ منها  
إلا ألف ريال »

واذا وصلتكم الى ذكر الفرع أن تضيفوا الجملة الآتية : « وقيل لي في المدينة  
ميرزتها سنة ١٣٣٣ ان بالفرع ستين عين ماء

## الاستدراك الثاني

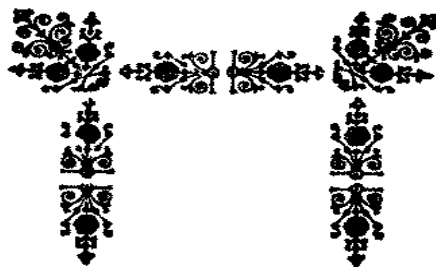
بينما نحن مباشرون طمع هذا الكتاب إذ حدث حادثان مهمان يتعلقان بالمعادن وأمر التنقيب عنها في الجزيرة العربية وفقاً للاماني التي تجول في صدور مفكري العرب من استثمار هذه الخيرات العظيمة والاستعانة بها على اصلاح أحوال العرب. وهذان الحادثان أولهما ان الامام عبدالعزيز بن سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها قد انتدب المستر توتشل المهندس الاميركي المتخصص بالمياه والمعادن للتنقيب عن المياه التي يقرب انبساطها والمعادن التي يتحقق وجودها من ممالك الحجاز ونجد، وان المهندس المذكور قد بدأ بالعمل وسار إلى سواحل الحجاز الشمالية ورافقه في رحلته الاخ السري الفاضل خالد بك القرقني الطرابلسي الغربي من سلالة بني هود الجالين من الاندلس وقد جاء في العدد ٣٣٥ من جريدة أم القرى الرسمية تاريخ ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ ما يفيد ان المهندس المذكور تجوّل في سواحل الحجاز الشمالية ودأب هناك في الفحص والبحث مدة ثلاثة أسابيع قطع خلالها مسافة ٣٥٠٠ كيلو متر وانه رأى ان المياه في تلك المنطقة لا تقل غزارة عن مياه المنطقة الواقعة بين وادي فاطمة وجدة ، وانها قريبة جداً من سطح الارض لا يتجاوز أقصى عمق لها عشرة أمتار كما ان امارة المياه في هذه المنطقة لا يحتاج فيها إلى حفريات ارتوازية

قالت الجريدة وانه عشر على منجم بترول غزير بين اللبانة والمويلح في ساحة لا يقل طولها عن ٣٥٠ كيلو متراً تقريباً . وكنا نسمع دائماً ان في ذلك الساحل زيت بترول يسيل إلى البحر ، فعسى أن لا يبطله الملك عبدالعزيز في استخراج هذا المنبع الغزير القريب من البحر الذي لا يلزم له مد أنابيب على مسافات طويلة جداً كما هو الشأن في منابم باكو ومنابم الموصل مثلاً

ثم قالت الجريدة ان هذا المهندس قد عشر أيضاً على منجم ذهب غزير في ضواحي الوجه مؤلف من عروق ذهبية عديدة ، وعلى منجم رصاص بالقرب من الوجه أيضاً

ففسى أن يطوف هذا المهندس في جميع مملكة ابن سعود وأن يردف بمتخصصين آخرين ويبحثوا في الاماكن كلها مما سبق العهد بالمعادن والزيوت والاملاح فيه وما لم يعرف عنه شيء إلى اليوم

وأما الحادث الثاني فهو ان الاخ الفاضل السيد رشدي الصالح ملحق نائبسي محرر جريدة أم القرى أخرج رسالة في المعادن بالحجاز ونجد. ولاحقتهما ذكر فيها ما فيها من مناجم مختلفة واملاح ، مما وصفه الحمداني وياقوت والمقدسي والزنجشري وبعض رجال الانراك الذين سبقت لهم ولايات في جزيرة العرب وغيرهم . وقد أهدي اليها نسخة من هذه الرسالة التي يقول انه انتزعه من كتاب هو شارع في وضعه تحت اسم « معجم البلدان العربية » فنصفحنها ، ووجدناها رسالة قيمة ثمينة كأنها هي بذاتها معدن من معادن العلم والتحقيق ، ورأينا فيها ذكر معادن كثيرة أوردنا الخبر عنها في كتابنا هذا ، وربما جاء فيها ما فاتنا ذكره ، كما ان في هذا الكتاب عن معادن اليمن ما ليس في تلك الرسالة واستيفاء البحث عن معادن الجزيرة العربية يستجلب على كل الاحوال أنظار العرب اليها ، ويستشير هم الناهضين منهم الى استخراجها ، وافاضة خيراتها على هذه الامة . فנסأله تعالى تمجيل هذه الامنية . آمين



## جدول خطأ الطبع

صواب	خطأ	سطر	صفحة
يوما	يوم	١٧	١٤
المسلوج	العتلوج	٣	٢٠
يطوفون	يتطوفون	٦	٢١
الائمة	لائة	١	٢٩
قذف	قذف	١١	٣٢
الى الظل	الى الطل	٢	٤٦
الا وقد سمعت	وقد سمعت	١٢	٥٢
ذكر	ذكري	١٦	٥٤
كانا	كان	٤	١٠٠
وتعبدها	وتعبرها	١٩	١٠٣
بها	بها	٢	١٠٨
فيها	انها	٢٤	١١٥
وبست الجبال بسه	وبنت الجبال بنا	٢٦	»
الكهرباء	الكهرباة	١٠	١١٧
الحجاز	الحجار	١٦	١٣٦
قبور	القبور	٢١	١٤٤
مساجد	مساحة ( برأس الصفحة )	١	١٤٥
بالعين	بالعين	١٥	»
طرفها	طرفها	٢٢	١٤٩
الاوزاعي	الاوزعي	١٨	١٥٠
مارأيت احدا	رأيت ما احدا	٢	١٥٢
اتتوني	اتتوني	١٥	١٥٨
لمال كان له بالمرج	لماء كان له ومال عليه بالمرج	١٨	١٦٥

صواب	خطأ	سطر	صفحة
بن	بن	١٣	١٦٦
اسماعيل	اسماعيل	٢	١٦٨
قيس عيلان	قيس بن عيلان	٥	»
الدا	لدا	٣	١٧٣
فيه	فيها	٤	»
الاودية	الوديان	٢٢	»
الرفيق	الرفيق	٢٠	١٧٤
اني	التي	٣	١٧٦
السفاينة	السفانية	٨	١٧٨
أخذته	خزته	١١	١٨٩
زياد	يزيد	١١	٢٠١
الدعار	الادعار	٦	٢٠٤
المال	الماء	٣	٢٢١
فتشكلاهما	فتشكلاهما	٥	٢٢٣
المحبجة	المحبجة	١٠	٢٢٩
العم	العم	٤	٢٣١
ها لفي	ها لقي	١	٢٣٢
ديناراً	دينار	٢٢	٢٣٥
وأختها بتوعر	وأختها بتوعر	١٣	٢٤١
بيجان	بيجان	٢٧	»
من شاكر بن	من شاكر بن	١٦	٢٤٥
نقيل	نقيل	٣	٢٤٨
المرض	المرض	٦	٢٦١
عوجا	جوجا	٣	٢٧٠

## فهرس الارقسامات اللطاف

	صفحة
أهمية المياه في الحجاز	٣٣
لذة الماء والخضرة في البلاد الحارة	٣٦
أثر السيدة زبيدة والوصف التفضيلي لعمل هذا الأثر	٣٨
مخالفة الشيعة لاهل السنة في موقف عرفات	٤١
روعة موقف عرفات، ومواكب الحج فيها أيام دول الاسلام، ووصف ابن جبير لها	٤٢
محنة أمير الحج العراقي في عرفات وهواكبه في القرن السادس	٤٣
الوزير الجواد الاصفهاني وآثار العمرانية في الحجاز	٤٦
المبرة بتعمير السلف وتخريب الخلف	٥٠
<b>الاسلام</b>	
دين العمران، بريء من تبعة انحطاط مسلمي هذا الزمان	٥٢
(شفق بعض ملوك الاسلام بالعمران)	
آثار عبدالرحمن الناصر في الاندلس ووصف الزهراء	٥٥
عمران قرطبة العجيب في عهد الناصر (مثال آخر من النظام عند المسلمين)	٥٨
خير عبد المؤمن صاحب دولة الموحدين	٦١
(مثال آخر من حب العمران)	
سيرة المنصور السعدي الفاتح	٦٥
تصدير الكتاب لناشره	
مقدمة او فاتحة الرحلة	
من السويس الى جدة	٦
وصف جدة وخرابة أو ان بحرها وتعليقه	٧
مباني جدة وعمرانها	٩
<b>شعوري القومي</b>	
في جدة والحجاز	١٠
لقاء الملك ابن السمود وكلمة في جلالاته	١٢
الطريق من جدة الى مكة	٥
الكلام على مكة المكرمة ﴿﴾	١٤
صفاتها الحسية والمعنوية، وكتبها الالهية وهوي القلوب اليها من جميع البرية، ورزقها من جيم الاغذية والثمرات	
استجابة لدعاء ابراهيم عليه السلام	
مياه مكة في الجاهلية والاسلام	١٦
عين زبيدة وعين الزعفران	١٧
الحر في الحجاز واقتضاؤه لكثرة المياه	١٩
عرفة في القديم وخبر عبد الله بن عامر الصحابي العمراني	٢٥
المناهل في مكة	٢٩
سوء تصرف المسلمين في أوقاف بلقهم	٣٢

الانسان هو غير العمر الحقيقي	٦٦	سيرة مولاي اسماعيل سلطان المغرب
قرية لقيم وكرومها ومياها	١١٧	تعميره العجيب ونخريب خافه
السامل في بمر الملك العادل	١٢٢	كتب الافرنج في فن المعمار الاسلامي
الامام عبد العزيز بن السعود	١٢٣	﴿خبر المطوفين بمكة المكرمة﴾
أمير الطائف الملقب بالصحابي	١٢٤	والمزورين بالمدينة المنورة ( وهو من أم فصول هذه الرحلة )
﴿الكلام على الطائف﴾ وفضل صيفها	١٢٥	٧٩ اقتسام المطوفين والمزورين لحجاج الاقطار . وجوب اعتناء حكومات الدنيا كلها بامر الحج والحجاج
﴿ شرفاء مكة وامراؤها﴾ واستنثارهم باحسن أراضى الحجاز وأملاكها ولا سيما الطائف	١٢٧	٨٦ اعتناء الحكومات الاسلامية على أوقاف الحرمين
عين سلامة وعين المشاة في الطائف	١٣١	٨٩ طمس الدول المستعمرة لاوقاف المسلمين
الكتب والرسائل المؤلفة في الطائف	١٣٣	٩٣ مرضي في مكة وتأثيره في أثناء أداء المناسك
حديث «الطائف قطعة من الشام» تشبيه وهو غير صحيح	١٣٤	٩٨ الكلام على الزاهر من ضواحي مكة
رواية الحديث وكتابه	١٣٥	١٠٠ الصعود الى عرفة في شدة المرض
حديث « من كذب علي متعمدا» الخ متواتر	١٣٦	١٠٠ الالتجاء إلى الطائف
الآثار في فضل الطائف	١٣٧	١٠٢ الكلام على ذات عرق
موقع الطائف وهاؤها وماؤها	١٣٨	١٠٤ الكلام على سوق عكاظ
حدود الحجاز ووجه تسميته	١٤٠	١٠٧ ذكر أسواق العرب في الجاهلية ( استطراد )
الشام : هاؤها وماؤها ووباؤها	١٤١	١١٠ في قطع بعض الافرنج في تحليل الحوادث، والتشكيك في الحقائق .
عمران الطائف ونقله بعد الحرب	١٤٣	١١٢ الكلام على صحور الطائف والحجاز
فتكة الملك ابن السعود بسلاطون بن بجاد ويفصل الدويش من غلاة قواده التجديدين	١٤٣	١١٣ كيفية تشكل الصخور
مسجد ابن عباس بالطائف وقبره وبعث ترجمته	١٤٤	١١٤ العمر الطبيعي المقدر للحياة على الأرض كالعمر الطبيعي الذي يقدر
هدم الوهاية لقباب النهور		



عرض الطائف الجغرافي وسبب تأسيسه	١٨٣	حكم الصلاة الى القبور وفي المساجد المبنية عليها	١٤٥
خبر فتح النبي ﷺ الطائف	١٨٦	مسند ابن عباس وغلط بعض العلماء	١٤٦
دعوة النبي ﷺ أهل الطائف الى الاسلام ودعاؤه بالبلغ هنالده	١٩٠	في عدد أحاديثه	١٤٨
خبر إيمان عداس النصراني بالنبي (ص)	١٩١	الموضوعات في العباسيين ،	١٤٨
وجوب اتخاذ آلات الحرب الحديثة وقنون صناعتها	١٩٢	ترتف العلماء الملوك بخلود ملكهم	١٤٩
آثار حضارة العرب في الطائف كتاب الاكيل، العادم المثل	١٩٥	اتارة تاريخية في امارة آل ارسلان	١٥١
الخطوط والرسوم الاثرية الطائف	١٩٦	علي لبنان	١٥٣
الشيخ عبدالقادر الشيبني وآله سدة الكعبة أقدم وظيفة وأقدسها في الاسلام	١٩٨	فوائد تراجم المظاه	١٥٣
اشراف الحجاز على العمران بعمول المدل والاحسان	٢٠٣	اسلام عروة ابن مسعود وقتله	١٥٤
قابلية خبير للعمران	٢٠٧	كما أخبر النبي ﷺ	١٥٤
العلي ووادي القرى	٢٠٩	وفود ثقيف على النبي ﷺ كما	١٥٥
أودية العقيق في المدينة واليامة وغيرها	٢١١	بعد فتح الطائف	١٥٥
سبع المدينة المنورة	٢١٤	من كان في الطائف من علماء السلف ومن فيه من شهداء الصحابة	١٥٩
ينبع ورابع وبيشة	٢١٥	أشهر الرجال المولودين في الطائف	١٦٠
الطريقة المثلثي	٢١٨	الحجاج بن يوسف الثقفي . وبيض ترجمته المظيعة	١٦١
لعمران الحجاز الاقتصادي وهو من أهم فصول هذه الرحلة	٢٢٢	سغراء الطائف	١٦٥
أماكن معدن الذهب في جزيرة العرب	٢٢٢	المرجعي الشاعر	١٦٥
		أمية بن أبي الصلت	١٦٦
		طريح بن اسماعيل الثقفي	١٦٨
		غيلان	١٧٠
		تخطيط الطائف	١٧٣
		وسبب نزول ثقيف بها	١٧٨
		الوسيلتان لاستئناف عمران الطائف	١٧٨
		وادي لبة ووادي جلدان	١٧٩

( وهذه الحقائق في وصف جزيرة العرب وقابليتها لأعلى الممران لا توجد في غير هذه الرحلة فملى كل عربي التأمل فيها )	٢٣٢	الدين النصيحة
٢٣٣	كلام الهمداني في معادن جزيرة العرب	
٢٣٧	تقرير علمي فني في أراضي الحجاز	
٢٦٧	لغة ثقيف وهذيل في هذا العهد	
٢٦٩	قرية الامت	وصخورها
٢٧١	سكان الطائف وما حوالها اليوم	٢٣٩ رسالة في مآذن اليمن
	استطراد	عمران جنيرة العرب
٢٧٢	في قبائل الحجاز بين الحرميين وشمالى المدينة المنورة	٢٥٤ وما يجب على الحكومتين السعودية والامامية من استشفاه
	خاتمة الارتسامات	٢٥٥ دحض شبهة على قابلية الجزيرة للممران
٢٧٨	( في صفة موقع الطائف الجغرافي والمسكري ومكانه الوسط من البلاد العربية كلها ، وما كانت الدولة العثمانية شرعت فيه من جعله مركز قوتها ومواصلاتها في بلاد العرب وما يجب على الامة العربية من ذلك )	٢٥٦ جبال جزيرة العرب وكونها أطيب هواء من لبنان وسويسرة
٢٨٠	صفة قتل مدحت باشا ومحمود باشا الداماد في قلعة الطائف	٢٥٧ حديث « أحد جبل بحينا ونجد »
٢٨٢	استدراك	٢٥٨ أجأ وسلوى جبال طيء بنجد
		٢٥٩ هواء نجد ، ووصف الشعراء له
		٢٦٠ الاماكن النزهة بجوار الطائف
		٢٦٢ ناحية الشفان من جبال الطائف
		٢٦٣ قرية الفرع وكون موقعها أفضل مصايف الدنيا